موسوعة الفتوحات الإسلامية

تأليف
محمود شاكر

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن / عمان

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن – عمان

هاتف : ٤٦٣٣٣٠٤ – تلفاكس : ٤٦٤٧٤٤٧

ص.ب : ١٤١٧٨١

الطبعة الأولى

٢٠٠٣ م

رقم الايداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٤/٩٠١ / ٢٠٠٢)

٩٥٦

شاك موسوعة الفتوحات الإسلامية/ محمود شاكر _ عمان:
دار أسامة، ٢٠٠٢.

( ) ص.
ر. إ. : ٩٠١/ ٤ / ٢٠٠٢
الواصفات: /التاريخ الإسلامي/ الفتوحات الإسلامية/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

إن سياسة التحرير والفتح التي انطلقت في عهد الخلفاء الراشدين قد حققت نجاحا باهرا ، حيث استطاعت الجيوش الإسلامية في عهد الدولة العباسية أن تصل حدودها إلى الأندلس غربا والصين شرقا .

وقد استطاعت الجيوش الإسلامية أن تهزم أكبر إمبراطوريتين في العالم حيث تمكنت من خلال توحيد أبناء القبائل العربية ضمن إطار الأمة الواحدة ، وتأمين المجال الحيوي للدولة العربية الإسلامية أن تنمو وتتطور على أرضية ملائمة اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا .

لقد تساءل العديد من الباحثين عن السر الذي يقف وراء هذا النجاح العظيم الذي حققه العرب المسلمون في حروب التحرير ، وحاول البعض البحث عن ذلك السر في الضعف الداخلي الذي كانت تعاني منه الإمبراطوريتان الساسانية والبيزنطية من انقسام ديني وتباين اجتماعي وإنهاك نتيجة الحروب الطويلة ، غير أن هذه العوامل على أهميتها هي سلبية ساعدت العرب المسلمين على التغلب على هاتين الإمبراطوريتين .

إن العامل الإيجابي المحرك للأحداث الذي وحد أبناء القبائل العربية المتفرقة ، وأوجد لديهم الحافز المعنوي على الجهاد والاندفاع في حروب التحرير هو الإسلام فالقوة الدافعة في الدين الجديد ، وقوة الشعب العربي وتحفزه واجتماع حكمته كانت سر تفوقه .

وهكذا حقق العرب أعظم أمجادهم بالإسلام ، وحقق الإسلام أكبر نجاحاته بالعرب ، فلا عجب أن يبقى الإسلام والعرب متلازمين في نظر مختلف شعوب الأرض مدة طويلة من الزمن .

وسنحاول في هذه الموسوعة أن نسجل الأحداث التاريخيـــة الإســـلامية ممثلة بالفتوحات التي قام بها المسلمون وسطروا من خلالها أروع البطولات فـــي التضحية والعطاء وأعظم الانتصارات على ساحات المعارك.

نسأل الله أن يوفقنا فيما أردناه والله من وراء القصد ,,

المـــــؤلـــــف

الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين

(١) الفتوحات في عهد الخليفة "أبو بكر الصديق" رضي الله عنه

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو ابن سعيد بن قيم بن قـــرة بـــن كعب بن لؤي القريشي ، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ، واســـم أبـــي قحافــة عثمان .

لقب عتيقاً لعتقه من النار ، وقيل لحسن وجهه ، وعن عائشة **(رضي الله عنــها)** أن رسول الله (ﷺ) قال (أبو بكر عتيق الله من النار) فمن يومئذٍ سمي "عتيقـــاً" وقيل سمي عتيقاً لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب فيه ، وأجمعت الأئمــة علــى تسميته صديقاً ، قال الإمام علي بن أبي طالب(ﷺ) : (إن الله تعالى هو الـــذي سمى أبا بكر على لسان رسول الله (ﷺ) صديقاً) وسبب تسميته أنه بادر إلـــى تصديق رسول الله (ﷺ) ولازم الصدق فلم تقع منه هنات ولا كذبة في حال مـــن الأحوال .

بعد وفاة الرسوم (ﷺ) في ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة (٩ حزيران سنة ٦٣٢م) ، اجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة [١] لترشـــيحه لخلافة الرسول (ﷺ) في قيادة الدولة العربية الإسلامية ، فتم اختيار أبـــي بكـــر الصديق (ﷺ) بعد أن بايعه عموم المهاجرين والأنصار بيعة الخلافة . [٢]

بعد أن تمت بيعة أبي بكر الصديق (ﷺ) بيعة عامة ، صعد المنبر بعد أن حمـد الله وأثنى عليه :

{أيها الناس قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فـــأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكــم قــوي عندي حتى آخذ له حقه ، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شـــاء الله تعالى لا يدع أحد منكم الجهاد ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بـــالذل ،

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله [٣] }.

وهكذا أصبح أبو بكر الصديق (ﷺ) أول خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول (ﷺ) ، وقد عرفت الخلافة بأنها " خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا [٤] " فكان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله(ﷺ) في أمته، وقد أصبح من المقرر لدى الفقهاء استنادا إلى هذه السابقة التاريخية أنه لا يجوز لأحد أن يتولى الخلافة إلا عن طريق البيعة وهي : " **العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء عن ذلك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره** [٥] ".

ولقد باشر أبو بكر الصديق(ﷺ) في إدارة شؤون الدولة والسهر على مصالحها بعد مبايعته في الخلافة مباشرة ، وكانت أهم الأعمال التي قام بها هي:-

❁ البدء بفتح العراق والشام

أطلق المؤرخون المسلمون على حروب التحرير مصطلح " الفتوحات" ، وهي لا تعني التغلب والقهر وإنما هي تعني إعلاء كلمة الله في الأرض وإظهار الحقيقة للناس .

يميل بعض الباحثين المعاصرين إلى التساؤل عن الدوافع التي حملت الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) على اتخاذ قرار المباشرة بحروب تحرير العراق والشام على الرغم مما فيها من صعوبات ومخاطر ، إذا أنها كانت تعني الدخول في حرب مع أكبر إمبراطوريتين في العالم في ذلك الوقت ، وهما الإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية [٦].

يبدو أن الخليفة أبا بكر الصديق (ﷺ) وكبار الصحابة الذين من حولـــه كانوا يعيشون حرارة العقيدة والجهاد ويتطلعون إلى مواصلة الرسالة التي حملـها الرسول (ﷺ) إلى العرب والإنسانية ، لذا فقد أعلن الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) بعد مبايعته بالخلافة مباشرة التزامه بمواصلة سياسة الجهاد وذلك لأنه " لا يــدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل [٧] " .

ومن ثم فقد قام الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) بإرسال بعثة أســامه بــن زيد[٨] إلى بلاد الشام لمحاربة حلفاء الإمبراطورية البيزنطيـــة تنفيـذاً لسياســة الرســول (ﷺ) في هذا المجال على الرغم من مخاطر حركات الردة التي اشــتد وراءها في مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية .

عند خروج جيش أسامه أوصى الخليفة أبو بكر الصديــق (ﷺ) جيــش أسامه قائلاً :-

(يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشرٍ فاحفظوها عني :

لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلـــوا ، طفــلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقـــروا نخــلاً [٩] ولا تحرقــوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعــيراً إلا لمأكلـــة، وســوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهـــم ومـــا فرغـــوا أنفســهم له. وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فـــإذا أكلتــم منــها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقـــون أقوامـــاً قـــد فحصـــوا أوســاط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصـــائب فـــأخفقوهم الســيف خفقـــاً واندفعــوا باسم الله).

فسار أسامة وأوقع بقبائل من قضاعـــة التـــي ارتـــدت وغنــم وعـــاد وكانت حملته هذه نحو أربعين يوماً وعاد بجيشه دون أن يفقد أحداً من رجاله.

ولم يكن أبو بكر الصديق (ﷺ) ينتهي من تصفية حركات الـــردة فـــي السنـــة الأولى من حكمه حتى حشد كل طاقاته من أجل تحرير العراق والشـلم ، وكان هناك عدة عوامل دفعت الخليفة أبا بكر الصديق في إتباع هـــذه السياســة منها:-

(١) لقد أشير إلى أن شبه الجزيرة العربية كـــانت شــحيحة فـــي مواردهـــا الاقتصادية بسبب مناخها الصحراوي ما كان يحمل أبناء القبائل العربيـــة على الصراع من أجل الحصول على الكلأ والماء لرعـــي مواشـــيهم أو الهجرة شمالا إلى العراق والشام حيث مصادر الرزق الوفير ، فلما نجح أبو بكر الصديق في توحيد العرب تحت سلطة مركزية واحدة ، كان من الضروري أن يوجه طاقاتهم إلى الجبهة الخارجية من أجل إعلاء كلمـــة الله في الأرض وتحسين أوضاعهم المعاشيه [١٠] .

يقول البلاذري :

" لما فرغ أبو بكر (رضي) من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام ، فكتب الى أهل مكة ، والطائف ، واليمن ، وجميـــع العـــرب فـــي نجـــد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه ، وفي غنائم الروم ، فسارع الناس إليـــه بين محتسب وطامع[١١]".

(٢) أورد الطبري حوارا بين خالد بن الوليد وبين زعماء الحيرة يشير الى أن دوافع التحرير القومي كانت تتداخل وتتكامل في فكره مع دوافـــع نشـــر رسالة الإسلام القائمة على العدل والإنصاف ، **قال خالد :**

" ويحكم ! ما أنتم ! عرب ؟ أو عجم ؟ فما تنقمـــون مـــن الإنصـــاف والعدل! فقال له عدي : " بل عرب عاربة وأخرى مستعربة فقال : لو كنتم كما تقولون لم تعادون وتكرهوا أمرنا ، فقال له عدي: ليدلك على ما تقول أنه ليـــس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال : صدقت، وقال : اختاروا واحـــدا مـــن ثـــلاث: أن

تدخلوا في ديننا فلكم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم في دياركم أو الجزية أو المساندة أو المناصرة ، فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة ، فقال: بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تباً لكم ، وبحكم إن الكفر فلاة مضلة فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان : أحدهما عربي فتركه ، واستدل الأعجمي(١٢).

(٣) لقد كان الهدف المركزي من حروب التحرير كما يفهم من الحوار الآنف الذكر هو نشر عقيدة الإسلام بين الناس ، غير أن هذه الحروب لم تسع إلى إكراه أحد على اعتناق الإسلام وإنما كانت تستهدف توفير الظروف الموضوعية التي تساعد الناس على الاختيار الحر بين اعتناق الإسلام وبين أداء الجزية والعيش في ظل عدالة الإسلام .

إن تحقيق الأهداف الآنفة الذكر كان يتطلب أن يحشد المسلمون من وسائل القوة المادية والمعنوية ما يكافئ قوة الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية ويتفوق عليها ، فهل استطاع المسلمون أن يحشدوا مثل هذه القوة قبل الشروع في حروب التحرير .

إن المصادر التاريخية تشير إلى أن تطور الأحداث لم يفسح المجال للتريث ، ريثما تتوافر مثل هذه القوة ، وإنما شرع المسلمون في حربهم ضد الإمبراطورية الساسانية ومن بعدها الإمبراطورية البيزنطية نتيجة ثقتهم العالية بأنفسهم التي نشأت عن وحدتهم الدينية والسياسية .

وقد كان الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) حريصاً على أن يبدأ حروب التحرير على جبهة الشام تنفيذاً للسياسة التي بدأها (ﷺ) في حياته، غير أن سير المعارك في حروب الردة ، وبخاصة في البحرين قد أدى إلى الاحتكاك بالساسانيين في منطقة السواد في جنوب العراق وحفز المقاتلين المسلمين على إقناع الخليفة أبي بكر الصديق بفتح جبهة تحرير العراق (١٣).

❁ بـــدء تحـــرير العـــراق :

كان بنو شيبان قد اكتشفوا مدى الضعف الذي تعاني منه الإمبراطوريـــة الساسانية منذ أن انتصروا على قواتها في معركة ذي قار بحدود سـنة ٦١٠ م ، لذا فقد كانوا يغيرون على سواد العراق الذي كان خاضعا لسيطرتها دون خشـية من بطشها وانتقامها ، وكان من جملة زعماء بني شيبان الذي درج على الإغارة على السواد في رجال من قومه خلال حروب الردة ، المثنى بن حارثة الشيباني " فبلغ الخليفة أبا بكر الصديق (ﷺ) خبره، فسأل عنه ، فقال لـــــه قيــس بــن عاصم بن سنان المنقري: هذا رجل غير كامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد : هذا المثنى بن حارثة الشيباني ، ثم أن المثــــنى قـــدم علـــى الخليفـــة أبي بكر الصديق فقال له : يا خليفة رسول الله (ﷺ)، استعملني علـــى من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس، فكتب له الخليفة أبو بكــر في ذلك عهدا فسار حتى نزل خفان ، ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا [١٤].

إن موافقة الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) على قيام المثنى بـــن حارثـــة الشيباني على بدء حروب تحرير العراق ، ربما جاءت بعد أن أوضح المثنـــى مدى ضعف الفرس ومدى استعداد عرب منطقة الخليج العربي وجنوب العــراق على التعاون معه في قتال الفرس ، ومن المحتمل أن الخليفة أبا بكر الصديــق بعد أن اقتنع بوجهة نظر المثنى بن حارثة الشيشاني ، قد توجه لاستشارة مـــن حوله من كبار الصحابة حول هذه المسألة فوجد لديهم القناعة والتشجيع .

لذا فإنه لم يترك أمر الاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة إلى المثنى وحده وإنما كتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالتوجه إلى العراق بقيادة عمليات تحريـــر العراق بعد أن فرغ من القضاء على المرتدين في شبه الجزيرة العربية [١٥].

ويبدو أنه كان ثمة صلة بين حروب الردة في البحرين وبـــدء حــروب تحرير العراق، وذلك لأن بعض القبائل التي ارتدت عن الإسلام كانت تقيم فـــي

كل من البحرين وجنوب العراق وأن الفرس الساسانيين قد حاولوا تشجيع المرتدين وتوحيد صفوفهم تحت قيادة المنذرين النعمان بن المنذر المسمى بالغرور [١٦].

لذا فقد أخطر المقاتلون وعلى رأسهم المثنى بن حارثة الشيباني إلى دخول العراق من أجل مطاردة المرتدين مما ولد لديه شعورا بان تحرير عرب العراق من تسلط الفرس خطوة مكملة لحروب الردة التي استهدفت توحيد العرب في إطار سيادة الإسلام وسلطته المركزية .

وهكذا فقد توجه خالد بن الوليد إلى العراق في محرم عام ١٢هـ /٦٣٣م ، على رأس جيش مؤلف من عشرة آلاف مقاتل .

وقد انضم إليه في العراق ثمانية آلاف مقاتل فأصبح عدد أفراد الجيش الذي تولى تحرير العراق ثمانية عشر ألف مقاتل .

ولقد كانت توجيهات الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) لخالد أن يبدأ عمليات تحرير العراق من منطقة الخليج العربي ويتوجه إلى الآيلة قرب موقع مدينة البصرة ، فكتب إليه (إن سر إلى العراق حتى تدخلها، وأبدأ بفرع السهند وهي الآيلة [١٧] ، وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم [١٨]) .

وقد كتب خالد بن الوليد قبل توجيهه لتحرير العراق رسالة إلى هرمز ، حاكم الفرس لمنطقة الآيلة ، ينذره فيها بالحرب إن لم يقبل الإسلام أو يدفع الجزية حسب التقاليد العربية الإسلامية جاء فيها :

" أما بعد ، فأسلم تسلم ، أو اعقد لنفسك وقومك الذمة، واقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك ،فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة " .

ولم يكن قبول هذا الإنذار من قبل هرمز بالأمر الميسور ، وهو الذي كان ينظر إلى العرب نظرة ، استخفاف يسيء معاملة الخاضعين لحكمه منهم حتى ضربوا المثل في كفره وخبثه فقالوا :

" أخبث من هرمز ، وأكفر من هرمز " لذا فما كاد يتسلم هذا الإنـــذار الذي يخيره بين الإسلام أو الخضوع أو الحرب ، حتى حشد قواته واتجه إلـــى كاظمة ، وهي محطة لاستراحة القوافل على طريق البصرة لمقاتلة خالد عندها ، وذلك لأن خالد بن الوليد كان قد توجه إليها وعسكرت قواته فيها [١٩].

وقـــد دارت على أرض كاظمة أولى المعارك الكـــبرى بيـــن العـــرب والفرس عرفـــت بمعركة ذات السلاسل ، وذلك لان مقاتلي الفرس قـــد قيـــدوا أنفسهم بالسلاسل خوفا من الهرب إذا مالت الحرب لغير صالحهم ، وقد اعترض بعضهم على هذا العمل .

فقالوا: قيدتم أنفسكم لعدوكم ، فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء .

فأجابوهم وقالوا : أما أنتم فحدثونا أنكم تريدون الهرب .

لقد انتهـــت هذه المعركة بهزيمة قوات الفرس التي لم تذكر المصـــادر كم كان عددها ، وقتل قائدهم هرمز ، وأخذ القائد خالد بن الوليد قلنسوة هرمـــز بمائة ألف لأنه كان قد تم شرفه في الفرس وكانت هذه عاداتهم إذا تـــم شـــرف الإنسان تكون قلنسوته بمائة ألف وكانت القلنسوة مرصعة بالجواهر ، وقد قـــام خالد بن الوليد بتوزيع حصة المقاتلين من الغنيمة ثم أرسل ما تبقى إلى الخليفـــة أبي بكر الصديق (ﷺ) في المدينة ، فكان ذلك أولى غنيمة من غنـــائم الفـــرس تصل إليها ، ويقال إنه كان بضمنها فيل فأثار منظره عجب الناس لأن الكثـــير منهم وبخاصة النساء لم يسبق لهم رؤية فيل [٢٠].

ثم سار خالد بن الوليد حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة وخـــرج المثنى بن حارثة الشيباني حتى انتهى إلى (حصن المرأة) فخلف المثنـــى بـــن حارثة عليه أخاه فحاصرها ومضى المثنى إلى زوجها وهو في حصنه المســمى (حصن الرجل) فحاصرهم واستنزلهما عنوة فقتلهم وغنم أموالهم ، ولمـــا بلـــغ المرأة ذلك صالحت المثنى وأسلمت فتزوجها المثنى ، وكان هذا الحصن قصـــرا

واسم المرأة كما جاء في البلاذري " كامور زاد بنت ترسي " وهي بنت عم التوشجان .

لما وصل خبر انهزام هرمز إلى المدائن عاصمة الفرس ، أرسل ملكهم أزدشير جيشا آخر وأمر عليه قارن بن قريانس ، فلما انتهى إلى مدينة المذار انضم إليه الجيش المنهزم ورجعوا ومعهم (قياذ) و (أنو شيمان) ونزلوا الثني وهو نهر متفرع من نهر دجلة والتقوا بالمثنى بن حارثة الشيباني الذي كان قد توقف عن الثني فأحدق الخطر بالمثنى ، فوافاه خالد بن الوليد والتقوا في الوقت المناسب ، ودار القتال بينهم وانتهى الأمر بفرار الفرس ، وقد كان النهر عائقا في سبيل اقتفاء أثر العدو ، غير أن الغنائم كانت عظيمة ، وأخذوا الجزية من الفلاحين ، وصاروا ذمة ، أرضهم لهم .

أما قارن بن قريانس أمير جيش الفرس الذي أرسله أزدشير لإمداد هرمز فقد قتله معقل بن الأعشى بن الياس ، وقتل عاصم أبوشيمان ، وقتل عدي بن حاتم قياذ .

اضطرب البلاط الفارسي من جراء انتصارات العرب ، وتحدثوا وتشاوروا فيما بينهم واستقر رأيهم على محاربة العرب بعرب مثلهم يعرفون خططهم الحربية فجهز الملك جيشا عظيما من قبيلة بكر والقبائل الأخرى الموالية له تحت قيادة قائد مشهور منهم يدعى الأندرزغر ، وكان فارسيا من مولدي السواد ، وأرسل القائد بهمن جاذرية في أثره ليقود جيش الملك ، وعسكر الأندرزغر بين الحيرة [٢١] وكسكر ، وتقدمت الجيوش الفارسية المتحدة نحو الولجة [٢٢] في شهر صفر سنة ١٢ هـ ، بالقرب من ملتقى النهرين .

أما خالد بن الوليد فقد ترك فرقة لحراسة الأراضي التي حررها في الدلتا وسار للقاء العدو من الثني ، فاشتبك الجيشان بالولجة في قتال عنيف وقد انتصر المسلمون فيه بفضل تدابير قائدهم الذي باغت العدو وأجهده بكمين في

ناحيتين ، وكمين من الخلف ، وكانت الهزيمة كاملة ، ففر الفرس ومن حالفهم بعد أن قتل وأسر منهم عدد كبير ، ومضى قائدهم الأندرزغر منهزما فمات عطشا .

وبعد انتصار المسلمين قام خالد بن الوليد في الناس خطيبا يرغبهم في بلاد العجم ، ويزهدهم في بلاد العرب وقال : -

(ألا ترون إلى الطعام كرفح التراب ، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل ، ولم يكن إلا للمعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ، وتولى الجوع والإقلال ممن تولاه ، فمن أثاقل عما أنتم عليه) .

بعد الانتصار الذي حققه القائد خالد بن الوليد في معركة الولجة ، كتب أزدشير ملك الفرس بهمن جاذويه وهو يقيانا ، أن سر حتى تقدم أليس ، فقدم بهمن جاذويه وجابان فسار جابان نحو أليس وهي في منتصف الطريق بين الحيرة والآيلة .

ثم انطلق القائد الفارسي بهمن إلى أزدشير ليعرف رأيه ويتلقى أمره فوجده مريضا فبقي ملازما البلاط .

أما جابان فإنه مضى حتى أتى أليس فنزل بها ، ونشبت المعركة بين الفريقين واقتتلوا قتالا شديدا ، ولما وجد خالد بن الوليد شدة مقاومة العدو قال :

(اللهم أن لك علي إن منحتنا اكتافهم ألا استبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم)، وأخيرا لم يستطع الفرس مقاومة المسلمين ففروا منهزمين وبعث خالد بن الوليد بالخبر إلى الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) يخبره بفتح أليس ويقدر ألفين وعدد السبي .

ولما فرغ خالد بن الوليد من فتح أليس سار إلى أمغيشيا وكانت مصرا كالحيرة فحررها فغنم جميع ما فيها وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد ، أرسل

إلى الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) بالفتح ومبلغ الغنائم، فلما بلـغ ذلك الخليفة أبا بكر قال : -

((أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد)) وفي رواية أخرى ((عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد)) .

سار خالد بن الوليد في ربيع الأول سنة ١٢ هـ من أمغيشيا إلى الحيرة وحمل الرجال والرحال والأثقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة (حاكمها الفارسي) ويدعى الأزاذية و أرسل ابنه فقطع الماء عن السفن ، وذلك بسد الفرات فبقت السفن على الأرض فسار خالد بن الوليد في خيل نحو ابن الأزاذية فلقيه على نهر الفرات باد قلى فقتله وقتل من معه ، غير أن المدينة كانت محصنة بأربعة حصون فأبت التسليم فحاصرهم وقاتلهم المسلمون فاقتحموا الدور وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان ((يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم فنادى أهل القصور المسلمين)) ، ((لقد قبلنا واحده من ثلاث : إما الإسلام ،أو الجزية أو المحاربة)) أما الأزاذية فإنه هرب إذ بلغه موت أزدشير.

وهذه أسماء قصور الحيرة التي تحصنوا فيها :-

١- **القصرالأبيض** : وفيه إياس بن قبيصه الطائي، وكان ضرار بن الأزور محاصرا له .

٢- **قصر الغربين** : وفيه عدي بن عدي، وكان ضرار بن الخطاب محاصرا له.

٣- **قصر ابن بقيله** : وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة ، وكان المثنى محاصرا له .

٤- **قصر ابن مازن:** وفيه ابن أكال ، وكان ضرار بن قعرن المزني محاصرا له.

خرج هؤلاء الرؤساء الأربعة من قصورهم فأرسلهم المسلمون إلى خالد بن الوليد فكان أول من طلب الصلح ، عمرو بن عبد المسيح فصالحوه على

١٩٠,٠٠٠ درهما وأهدوا لهل الهدايا وبقوا على دينهم ، وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) مع الهذيل الكاهلي فقبلها الخليفة من الجزاء ، وكتب إلى خالد بن الوليد : (أن أحسب لهم هديتهم من الجزاء إلا أن تكون من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك) .

لما فتح خالد بن الوليد الحيرة صلى صلاة الفتح ثماني ركعات لا يسلم فيهن وقال :-

(لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة أسياف وما لقيت قوما كقوم لقيتهم من أهل فارس ، وما لقيت من أهل فارس كأهل أليس) .

حيث مكث فيها عاما عين عمالا لجباية الخراج وأمراء للثغور ، وتم صلح الحيرة بدفع مبلغ (٦٠٠,٠٠٠) درهم جزية وهو مبلغ قليل ، لكنه كان في نظر العرب مبلغا عظيما .

سار خالد بن الوليد بعد تحرير الحيرة إلى الأنبار وهي فيروز سابور القديمة ، مدينة شهيرة في العراق بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، وهي التي غربها على الفرات ، ثم سميت بالأنبار لأنه كان يجمع فيها أنابير الحنطة والشعير والتبن وأنابير جمع أنبار .

حيث سار خالد على تعبئته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فحاصرها المسلمون وقد تحصن أهل الأنبار وخندقوا عليهم وأشرفوا من حصنهم وعلى جنودهم شيرزاد صاحب ساباط ، وكان خالد بالخندق وأنشب القتال وأوصى رماته أن يقصدوا عيون جيش العدو فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا آلاف عين تمت تلك الواقعة (ذات العيون) وتصايح القوم (ذهبت عيون أهل الأنبار) ، فلما رأى ذلك شيرزاد أرسل يطلب الصلح على أمر لم يقبله خالد ، فرد رسله ونحر من إبل العسكر كل ضعيف وألقى الإبل في أضيق مكان من الخندق حتى ردمه بها وجاز هو وأصحابه فوقها ، فاجتمع المسلمون

والمشركون في الخندق فأرسل شيرزاد إلى خالد يطلب منه الصلح على ما أراد فصالحه على أن يلحقه بمأمنه من غير أن يأخذ شيئا من المتاع ، وخرج شيرزاد إلى جهمن جاذريه ، ثم صالح خالد من أهل الأنبار وأهل كلواذى .

لما فرغ خالد بن الوليد من تحرير الأنبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر وسار إلى عين التمر [٢٣] وهي قلعة على حدود الصحراء على مسيرة ثلاثة أيام غربا ، وبها معران بن بهرام في جمع من العجم وعقه بن أبي عقه في جمع من العرب ، ولما سمعوا بقدوم خالد بن الوليد ، قال عقة لمهران: (إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالد) قال : (صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب مالكم لمثلنا في قتال العجم) ، فخدعه واتقى به وقال : (أن احتجتم إلينا أعناكم) فلامه أصحابه من الفرس على هذا القول فقال لهم : (أنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم ، فإن كانت لهم على خالد فهي لكم ، وإن كانت الأخرى لم يبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم ضعفاء) فاعترفوا بفضل الرأي ، وسار عقة إلى خالد بن الوليد فعبأ خالد جنده ، بينما كان عقة يقيم حقوقه حمل عليه خالد بنفسه وأخذه أسيرا ، فانهزم الفرس من غير قتال وأكثر المسلمون فيهم الأسر فسألوه الأمان فأبى فنزلوا على حكمه ، فأخذهم أسرى وقتل من رفض منهم الأسر .

أرسل الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) جيشين إلى الشمال وأمر على أحدهما خالد بن الوليد والثاني أمر عليه عياضا ووجهه نحو دومه الجندل وهي مدينة بينها وبين وقف خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة ، وهي أقرب بلاد الشام إلى المدينة وبقرب تبوك .

وعندما أرسل خالد بن الوليد الوليد بن عقبة إلى الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بخبر فتح عين التمر اهتم الخليفة فأرسل الوليد لمساعدة جيش عياض ، وعند فراغ خالد بن الوليد من فتح عين التمر ، أتاه كتاب عياض يستمده فسار

خالد إليه تاركا القعقاع على الحيرة ، وكان في دومه الجندل رئيسان أكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة يساعدها بنو كلب وقبائل أخرى من صحراء الشام

ولما سمع أكيدر بقدوم خالد بن الوليد تخوف وبادر بالتسليم ، إلا أن خالدا أسره ، ثم هاجم عياض القبائل المعادية من جهة الشام ، وخالد من جهة فارس فانهزم العدو شر هزيمة ، وأخذ الجودي أسيرا ، وأخذ حصونهم ، ثم رجع خالد إلى الحيرة .

وهكذا تواصلت عمليات تحرير العراق على يد خالد بن الوليد لمدة تقرب من السنة حتى كتب إليه الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) في صفر سنة ١٣هـ /٦٣٤م أن يلتحق بقوات تحرير بلاد الشام مع جزء من قواته ، وأن يسلم قيادة جند المسلمين في العراق إلى المثنى بن حارثة الشيباني ، وبذلك هدأت جبهة العراق قليلا ريثما تتم العمليات العسكرية التي كانت قد وصلت مرحلة حاسمة على جبهة الشام (٢٤) .

❁ بدء تحرير الشام

يبدو أن اهتمام الخليفة أبي بكر الصديق بتحرير الشام كان يتقدم على اهتمامه بتحرير العراق ، بدليل إنقاذه حملة أسامه بن زيد فور توليه الخلافة ، غير أن حروب الردة و تطور الأحداث على حدود العراق قد حملت أبا بكر الصديق على تأجيل الشروع بتحرير الشام ريثما يطمئن الى نتائج المعارك على جبهة العراق.

وكان الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) قد أرسلت خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش من المسلمين إلى تيماء [٢٥] قرب حدود الشام ليكون ردءا لمن وراءه من المسلمين في حالة تعرض الروم أو حلفائهم لهم في أثناء حروب الرده ، وفي بدء تحرير العراق ، غير أن خالد بن سعيد اندفع إلى داخل بلاد الشام على أمل تحقيق بعض الانتصارات على الروم، غير أنه فشل في تحقيق

هدفه وانقلب الموقف إلى هزيمته ، مما دفع الخليفة أبا بكر الصديق إلى عزله والشروع بحشد قوة عسكرية كبيرة لمواجهة الروم في جبهة الشام [٢٦] .

لقد شكل أبو بكر الصديق في مطلع سنة ١٣هـ / ٦٣٤م ثلاثة جيوش بقيادة كلب من أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان للتوجه الى بلاد الشام .

ثم أمر الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) يزيد بن أبي سفيان على رأس جيش عظيم هو وجمهور من القادة المسلمين أمثال سهيل بن عمرو وأوصاه وغيره من القادة ، حين قال الخليفة أبو بكر ليزيد :

(إني وليتك لأبلوك وأجربك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزودتك ، وإن أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك كل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد فإياك وعيبة الجاهلية فإن الله بغضها ويبغض أهلها ، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وأيدهم بالخير وعدهم أياه ، وإذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصلي الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها ، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا ترينهم قيود خيلك ويعلموا علمك ، وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تحزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك ، وأسحر في الليل في أصحابك تأتك الأخبار ، وتتكشف عنك الأستاد ، وأكثر حرسك وبدوهم في عسكرك وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط ، وأعقب

بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار ، ولا تخف عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعا ولا تغفل عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ، ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن في دين الناس ، واجتنب الغلول (الخيانة في المغتنم) فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر ، وستجدون أقواما صبروا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له [٢٧] .

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الأمر ، فإنه ذكر فيها واجبات القائد نحو جنده ، ونحو عدوه، ومنع من تعرض القائد للمتدنيين الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع احتراما لدينهم .

وقد انقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام ، كل قسم مؤلف من (٥٠٠٠) خمسة آلاف مقاتل وأمر على اثنين منهما شرحبيل بن حسنة الذي كان قد قدم من عند خالد بن الوليد إلى الخليفة أبي بكر الصديق (ﷺ) ، وعلى الثالث عمرو بن العاص ، وعين لكل جيش وجهته في الشام فوجه عمرا إلى آيله على رأس خليج العقبة ، ومن ثم بتحرير جنوب الشام أو فلسطين ، ووجه يزيد وشرحبيل وكان تعيين الأمراء الثلاثة في شهر صفر سنة ١٣هـ / ٦٣٤م ، ثم لما وصلت الجيوش الأخرى إلى المدينة أرسلهم أبو بكر لإمداد جيوش الشام وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وعلى ذلك كان عدد الجيوش التي أرسلت أربعة ، وكان أبو عبيدة أميرا عليهم جميعا ، وبلغ عدد الجيش الزاحف (٢٤٠٠٠) بما في ذلك جيش عكرمة [٢٨] وقد سار أبو عبيدة على باب البلقاء [٢٩] فقاتله أهلها ثم صالحوه فكان أول صلح في الشام .

وعند وصول هذه القوات جنوب بلاد الشام ، وجدوا أن قوات العدو كثيرة وأن استعدادها للقتال جيد . فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة أبي بكر الصديق " يعلمه كثرة عد العدو وعدتهم وسعة أرضهم وحدة مقاتلتهم ".

" فكتب الخليفة أبو بكر(ﷺ) إلى خالد بن الوليد .. وهو بالعراق، يأمره بالمسير إلى الشام " فيقال : " أنه جعله أميرا على الأمراء في الحرب ". وقال قوم : " كان خالد أميرا على أصحابه الذين شخصوا معه ، وكان المسلمون إذا اجتمعوا لحرب أقره الأمراء فيها لبأسه وكيده ويمن نقيته ".

لقد توجه خالد بن الوليد من العراق قاصدا بلاد الشام في شهر ربيع الآخر سنة ١٣هـ على رأس جيش مؤلف من عدد من المقاتلين يتراوح بين الخمسمائة والثمانمائة وفي الطريق أخضع عددا من المناطق والقرى لسلطان المسلمين حتى وصل إلى بلاد الشام [٣٠] .

وقد تولى خالد بن الوليد قيادة الجيوش العربية الإسلامية في بلاد الشام قبل وقوع معركة أجناد ين ، وكانت الجيوش الإسلامية قد خاضت بعض المعارك الصغيرة ضد الروم قبل هذه المعركة مثل معركة عربة وبصرى والتي انتهت بانتصار جيوش المسلمين ، مما حمل الروم على الإستعداد وحشد قوات كبيرة لخوض معركة حاسمة ضد الجيوش الإسلامية عند أجناد ين ، وهي بلدة قرب الرملة من أعمال فلسطين.

وعند أجناد ين دارت معركة كبيرة بين قوات المسلمين التي بلغ تعداد مقاتليها أكثر من سبعة وعشرين ألف رجل بقيادة خالد بن الوليد وقوات الروم التي كان عدد مقاتليها حسبما يذكر البلاذري زهاء مائة آلاف ، وقد قاتل المسلمون في هذه المعركة قتالا شديدا ، وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاء حسنا[٣١]. حتى تم لهم النصر المبين على أعدائهم وتكبيدهم خسائر جسيمة ، وبذلك تعززت ثقة المسلمين بأنفسهم ، وأخذوا يستعدون للتوجه شمالا من أجل تصفية الوجود البيزنطي في بلاد الشام ، لقد تحقق هذا الانتصار الكبير للمسلمين على الروم في أواخر شهر جمادى الأولى سنة ١٣هـ /٦٣٤م لليلتين أو ثلاث ليالي بقين منه ، وكان حريا بأبناء هذا الانتصار أن تدخل

الفرحة والسرور إلى قلب الخليفة أبي بكر الصديق الذي أخذ يعـــاني مــن آلام المرض الذي انتهى بوفاته في شهر " جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمـــان بقيــن منه[٣٢] " .

ويلاحظ أنه على الرغم من أن المدة التي انقضت بين الانتصـــار فـــي معركة أجناد ين ووفاة أبي بكر الصديق ، وهي حوالي خمسة وعشرين يومـــا ، كانت كافية لوصول أخبار هذا الانتصار إلى المدينة .

فقد كانت خلافة أبي بكر الصديق(ﷺ) على الرغم من قصر مدتــها ذات أثر عظيم على مستقبل الأمة العربية والمسلمين كافة ، لأنه استطاع في خلالــها أن يحافظ على وحدة الأمة والدولة في مواجهة حركات الانشقاق والــردة ، وأن يبدأ حروب التحرير التي أدت إلى امتداد دولة الإسلام وانتشار دعوتـــه حتــى أصبح المسلمون في خلال قرن من الزمن أعظم قوة في العالم .

وقد حرص الخليفة أبو بكر الصديق أن يجعل من الخلافة قيادة سياســية جديرة بخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا كما يقول الفقـــهاء ، ولــم يغادر الدنيا إلا وكان قد أعد مرشح من يشغل هذا المنصب من بين أكفأ صحابة الرسول (ﷺ) كي لا يجد المسلمون أنفسهم في وضع يدعو للاختلاف في وقـــت كانوا فيه بحاجة ماسة الى التماسك والوحدة بعد ان خرجوا من حروب الـــردة واتجهت جيوشهم الى حروب التحرير [٣٣].

كان عمر بن الخطاب من أقرب الصحابة إلى الخليفة أبى بكر الصديــق وهو يضطلع بواجبات الخلافة ، فجعل يستشيره في شتى الأمور ، ويعهد إليـــه بالعديد من الواجبات فكان كما ذكر خليفة بن خياط (على أمره كله) [٣٤] أو كان

بمثابة نائب الخليفة أو وكيله حسب المصطلحات المعاصرة ، وقد كان أبو بكر الصديق يدرك أن تولي عمر بن الخطاب للخلافة من بعده يشكل خير ضمان لاستمرار السياسة التي بدأها في مجال السياسة الداخلية والخارجية ، لذا فقد سعى الى توفير الظروف التي تساعد على توليه الخلافة من بعده .

(٢) الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ)

تولى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) الخلافة في نفس اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق ، وكان ذلك في ٢٢ من شهر جمادى الآخرة ، سنة ١٣هـ- ٢٣/آب/٦٣٤م .

لقد أطلق رسول الله (ﷺ) تسمية الفاروق على عمر بن الخطاب ، حيث فرق الله به بين الحق والباطل ، وعن أبي عمر ذكر أنه قال :-

((قلت لعائشة من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي (ﷺ))) . أن لتسمية عمر بالفاروق علاقة بظهور الإسلام ، لأن المسلمين قبل إسلامه كانوا يستخفون في دار الأرقم وهي في أهل الصفا ويؤدون شعائرهم الدينية في منازلهم ، فلما أسلم عمر قال لرسول الله (ﷺ) : ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ قال : ((بلى والذي نفسي بيده إنكم لعلى الحق متم وإن حييتم)) . قال : ففيما الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن . قال : فأخرجناه في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت إلي قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماني رسول الله (ﷺ) الفاروق وفرق بين الحق والباطل)) .

ولما توفي رسول الله(ﷺ) واستخلف أبو بكر الصديق كان يقال له خليفة رسول الله (ﷺ)، فلما توفي أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله (ﷺ)، قال المسلمون فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة

رسول الله (ﷺ) فيطول هذا ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة ، يدعى بـــه من بعده الخلفاء، فقال بعض أصحاب رسول الله نحن المؤمنون وعمر أميرنـــا ، فدعي عمر بن الخطاب بأمير المؤمنين .

لم يكن أمام الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بعد توليه الخلافة من وقـــت المراجعة والتأمل الطويل ، إذ كانت جيوش المسلمين مشتبكة في معـــارك مـــع الروم على جبهة الشام ، وكان المثنى بن حارثة قد جاء إلى المدينة يطلب النجدة لمعالجة الموقف على جبهة العراق بعد أن تنبه الفرس إلى خطورة الموقــــف ، وأخذوا يحشدون قواتهم لمقاتلة المسلمين فيه ، لذا فقد بدأ الخليفـــــة عمـــر بـــن الخطاب يحشد كل طاقاته لمعالجة الموقف العسكري وتوجيهـــــه علـــى النحـــو الآتـــــي :-

❁ حروب التحرير على جبهة العراق

في صبيحة الليلة التي توفي فيها الخليفة أبو بكر الصديق صعـــد عمـــر المنبر وألقى على الناس خطبة في المسجد فقال :

((إني قائل كلمات فأمنوا عليهن إنما مثل العرب مثل جمل آنف أتبـــع قائده فلينظر قائده حيث يقوده وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق)) .

كان أول عمل باشره الخليفة عمر بـــن الخطـــاب (ﷺ) بعـــد مبايعتـــه بالخلافة، تنفيذ وصية أبي بكر وهي دعوة الناس إلى الانضمام لجيش المســـلمين لمقاتلة الفرس في العراق ، وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد قدم على أبي بكر في حال مرضه ليتفاوض في شأن الهجوم على بلاد فـــارس لمـــا حـــدث مـــن الاختلاف فيما بينهم إلا أن أبا بكر لم يستطع إجابة طلبه لمرضه فأوصى عمـــر بن الخطاب أن ينتدب الناس بعد توليه منصب الخلافة فندب عمر النـــــاس مـــع المثنى لمحاربة الفرس ، فلم ينتدب له أحد لأن الفرس (كانوا أثقل الوجوه علـــى المسلمين ، وأكرهها إليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم [٣٥]) .

غير أن المثنى بن حارثة الشيباني شجع الناس على الالتحاق بهذا الجيش وعمل على تبديد المخاوف من نفوسهم بقوله :

" أيها الناس ، لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فإنا قد تبجحنا ريح فارس ، وغلبناهم على خير شقي السواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا إن شاء الله ما بعدها [٣٦] " .

وقد سارع في اليوم الرابع من تاريخ الإعلان عن تجهيز هذه الحملة أبو عبيد بن مسعود الثقفي الى التطوع فيها ولحقه آخرون حتى بلغ عدد جنده ألف مقاتل . وقد جعل الخليفة قيادة هذا الجيش الى ابي عبيد الثقفي على الرغم من أنه لم يكن من السابقين من المهاجرين والأنصار ، وذلك لانه بادر الى التطوع للجهاد قبل غيره ، غير أنه أوصاه باستشارة من معه من الصحابة وبالتزام بعض القواعد الأساسية في القتال بقوله :" اسمع من أصحاب النبي(صلى الله عليه وسلم) وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف [٣٧] " .

وبعد ذلك عاد المثنى إلى الحيرة قبل أبي عبيدة ، وكان قد تغيب عنها شهراً كان في أثنائها البلاط الملكي الفارسي يعاني من تقلبات شتى ، فاستولى أمير وأعقبته أميرة وسط سفك الدماء والثورة ، وأخيراً استدعت (بوزان) وهي سيدة من الأسرة المالكة القائد المشهور "رستم " على جناح السرعة من خراسان وتوجته وجعلت إليه حماية البلاد ، وسلمته الجند ، ثم أرسل رستم جيشين من المدائن ، أحدهما تحت قيادة (جابان) ليعبر الفرات وليتقدم نحو الحيرة ، والآخر بقيادة (ترسي) ليحتل كسكر على أقرب جهة ، وجمع المثنى بن حارثة جيشه فغادروا الحيرة وخرجوا إلى الصحراء ، إلى الطريق المؤدية إلى المدينة ، وهناك انتظروا أبو عبيد الذي توجه على رأس جيشه الى العراق بعد

أن أصبحت له قيادة جبهة العراق وأصبح المثنى بن حارثة أحد القادة التابعين له، فكان لا يمر من قوم من العرب إلا رغبهم في الجهاد والغنيمة فصحبه خلق[٣٨] .

وقد استطاع جيش أبي عبيد أن يحقق بعض الانتصارات على الفرس أثر وصوله العراق في معركة النمارق ، ومعركة السقا طية ، مما أقلق الفرس وجعلهم يحشدون قوة كبيرة لملاقاة جيش المسلمين عند موضع يدعى المروحة حيث وقعت عنده إحدى المعارك المهمة التي عرفت بمعركة الجسر .

عبر أبو عبيد الفرات ، وفاجأ القائد ترسي ، واستولى على معسكره وغنم شيئاً كثيراً من التمر الجيد المسميّ بالزسيان لا يأكله إلا الملك فوزعه على الجيش وأرسل الغائم إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) وكتب إليه : " أن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها وأحببنا أن تروها ولتذكروا أنعام الله وأفضاله " . وأتت القبائل المجاورة وقدمت الجزية برهاناً على ولائهم .

تغيظ رستم من الهزيمة ، فأعد قوة أكبر من الأولى تحت قيادة القائد (بهمن) ، المعروف بذي الحاجب ، وإنما قيل له ذا الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه بعصابة يرفعها ومعه فيلة بالجلاجل ، فأقبل بهمن ومعه راية كسرى "درفش كابيان " ، وكانت من جلود النمر عرض ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعاً ، فنزل " بقي الناطق " وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة وعبر الفرات وعسكر جيشه في الشاطئ الغربي ، وعسكر بهمن في الشاطئ الشرقي ، فبعث بهمن إلى أبي عبيد : أما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبر إليكم ، فقال الناس : لا تعبر يا أبا عبيده ننهاك عن العبور ، فقال : "لا يكونوا أجرأ على الموت منا ". فعبروا إليهم على "جسر " وضاقت الأرض بأهلها واقتتلوا فلما رأت خيول العرب الفيلة رأت شيئاً منكراً لم تكن رأت مثله فلم

تقدم عليها ، فقد حملت الفرس على المسلمين بالفيلة والجلاجل وفرقت خيولهم وأوقعت الارتباك في صفوفهم ، واشتد الأمر بالمسلمين فترجل القائدابو عبيد ونادى: احشدوا الفيلة واقطعوا بطانها (حزاماها) واقيلوا عنها أهلها، ووثب هو على فيل فقطع بطانه ووقع الذين عليه وفعل جنده مثل ذلك بشجاعة ، فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه ، وعندما حاول القائد أبو عبيد الثقفي التصدي لأحد الفيلة وقتله ، أصيب وسقط شهيدا في المعركة ، وحين أراد المسلمون الانسحاب من المعركة ، والعودة إلى الجانب الثاني من النهر فوجئوا بأن أحد المسلمين كان قد بادر إلى قطع الجسر لتشجيعهم على الصمود وعدم الهرب ، مما تسبب في إلحاق أضرار جسيمة بهم وخسارتهم نتيجة المعركة ، وكان ذلك في رمضان سنة ١٣هـ / ٦٣٤ م ، وقد تولى قيادة جبهة العراق بعد استشهاد أبو عبيد الثقفي ، المثنى بن حارثة الشيباني ، حيث انحاز المسلمون إلى ناحية أليس [٣٩] ، وعسكر هناك وحافظ على قوته السابقة ولم يعلم جابات برجوع بهمن فوقع أسيرا في أيدي المسلمين .

وفي الطبري خرج جابان ومردانشاة حتى أخذا بالطريق وهم يرون أنهم سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب (بهمن) من انقسام أهل فارس فلما رفض أهل فارس وخرج بهمن في آثارهم ن وبلغ المثنى فعلة جابان ومردانشاة استخلف على الناس عاصم بن عمرو وخرج يريدهما فظننا أنه هارب فاعترضاه فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل أليس على أصحابها فآتوه بهم أسراء وعقد لهم بها ذمة وقد مهما وقال : أنتما غررتما أميرنا وكذبتماه واستفززتماه فضرب أعناقهما وضرب أعناق الأسرى ، ثم رجع إلى عسكره وهرب أبو محجن من أليس ولم يرجع مع المثنى .

لقد أحزنت هزيمة المسلمين في هذه المعركة الخليفة عمر بن الخطاب كثيرا ، وكان فيمن ندب الجبلة وأمرهم إلى جرير بن عبد الله فلما اجتمعوا

أمرهم بالعراق ، إلا أنهم كانوا يرغبون بالمسير إلى الشـــام لكــثرة الخــيرات والغنائم ، وقدم جرير بن عبد الله فسأل أن يأتي العراق على أن يعطى وقومـــه ربع ما غلبوا عليه فأجابه الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) إلى ذلك فســار نحــو العراق (٤٠) .

ويبدو أن خطورة الموقف العسكري قد حملت الخليفة عمر بن الخطــاب (ﷺ) على تجاوز القاعدة التي وضعها أبو بكر الصديق فــي عــدم الاســتعانة بالقبائل التي وضعها أبو بكر الصديق في عـــدم الاستعانة بالقبائل التي ارتـــدت عن الإسلام في حروب التحرير ، فكتب إلى أهل الردة يدعوهم للمشاركة فــــي القتال، فلم يوافه أحد منهم إلا أرسله إلى جبهة العراق لنجدة المثنى بن حارثة.

وبذلك استطاع الخليفة عمر بن الخطاب أن يحشد طاقات الأمة جميعـــها في ميدان الجهاد وبحاجته أن جميع المرتدين كانوا قد عادوا الى حظيرة الإسلام وأصبحوا يتطلعون الى مشاركة إخوانهم في حروب التحرير ، وهكـــذا أخـــذت جبهة العراق تستعيد قوتها وحيويتها بكثرة من وفد إليها من المقاتلين مما ممكـن المثنى بن حارثة من حشد طاقات المقاتلين استعدادا لمواجهة الفرس عند موضع على الفرات مما يلي الكوفة يدعى البويب ، وكان نهر الفرات يفصل بين قــوات الطرفين ، لذا فقد كاتب مهران قائد الفرس المثنى بن حارثة إما أن تعبروا إلينــا وإما أن نعبر إليكم فقال المثنى: العبور ، وقال أغيروا فعبر مـــهران ، فــنزل على شاطئ الفرات ، فاجتمع العسكران على شاطئ اليويب الشرقي (٤١) .

تقدم الفرس مع ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ومشاتهم أمامهم فيلـــهم ولهم زجل ، فقال المثنى : إن الذي تسمعون فشل فـــالزموا الصمـــت ، وكـــان المثنى في صفوفه يعهد إليهم وهو على فرسه (الشموس) وإنما سمي بذلك للينـــه وكان لا يركبه إلا إذا قاتل فوقف على الرايات يحرضهم ويقول : " إني لأرجـــو

أن لايؤتى الناس من قبلكم اليوم والله ما يرى اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم " فيحيونه بمثل ذلك لأنه كان محبوبا لديهم ، وقال : ((إني مكبر ثلاثا فتهيئوا ثم احملوا في الراية)) ، ولكنه ما كاد يكبر حتى أعجلتهم الفرس وخالطوهم وركدت خيلهم ، ، فرأى المثنى خللا في بني عجل فأرسل إليهم يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم فقالوا : نعم واعتدلوا ، فلما طال القتال واشتد قال المثنى لأنس بن هلال التمري : ((إنك أمرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا فإذا حملت على مهران فاحمل معي)) فحمل المثنى على مهران فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم ، وكان المثنى قال لهم : " إذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه ، ألزموا مصافكم واغفلوا عمن يليكم " (٤٢) فقاتل المسلمون بشجاعة حتى انهزم الفرس ، وسبقهم المثنى إلى الجسر وأخذ طريق الأعاجم وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا فما كانت بين والفرس وقعة أبقى رمة منها ، وبقيت عظام القتلى زمنا طويلا وكانوا يقدرون القتلى مائة ألف ، وسمي ذلك اليوم الأعشار أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة ، فكانوا يفتخرون بذلك وغيرهم قتل تسعة فسموا أصحاب التسعة ، وندم المثنى على أخذه بالجسر وقال : " عجزت عجزة وقي الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر، حتى أخرجتهم ، فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها ، فإنها كانت زلة فلا ينبغي إخراج من لا يقوى على امتناع " يريد أنه بحجزه الحجر سبب خسارة لرجاله ، واستشهد عدد من الجرحى منهم مسعود أخو المثنى وخالد بن هلال فصلى عليهم المثنى وقال: "والله يهون علي وجدي أن صبروا وشهدوا البويب ولم ينكلوا " .

لقد انتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين انتصارا حاسما وقتل فيها مهران قائد الفرس ، وكان الذي قتله غلام نصراني من تغلب كما أن الفرس فقدوا فيها من القتلى أعدادا كبيرة حتى ان جثثهم شكلت (تلولا تلوح من هامهم

وأوصالهم) ، كما يروي الطبري ، وبذلك عادت موازين القتال لتؤشر ان المستقبل قد غدا لصالح المسلمين وأن عليهم أن يواصلوا الضغط على الفرس من أجل حسم المعارك على جبهة العراق بصورة نهائية لصالح المسلمين .

ومن ثم فقد أخذ المسلمون يشنون الغارات ويتابعونها فيما بين الحيرة وكسكر ، وبين كسكر وسورا .. وما بين الفلوجتين والنهرين وعين النمر .. وكانوا يعيشون مما ينالون من الغارات .. حتى وقعت معركة القادسية ، وقد استمرت هذه الحالة مدة ثمانية عشر شهراً حسبما يذكر البلاذري [٤٣].

❁ معركة القادسية

بعد موقعة البويب في العراق ، حدثت في المدائن أمور هامة ، فإن إشراف الفرس استاءوا من ضعف رستم والملكة ، وخشوا أن يؤدي ضعفهما إلى سقوط المملكة وهددوا رستم والفيرزان بالقتل، فطلب رستم والفيرزان من الملكة بوران ابنة كسرى أن تكتب إلى نساء كسرى وسرارية ، ونساء آل كسرى وسراريهم بالحضور ، فلما حضرن سئلن عن ذكر من أبناء كسرى لاختياره ملكاً عليهم فلم يوجد عند واحدة منهن أحد، وقال بعضهن لم يبقى إلا غلام يدعى (يزدجرد) من ولد شهريار بن كسرى، فأرسلوا إليه وطلبوه منها وكان ممن نجا من سيف عمه شيرى حين جمعهن وقتل الذكور وأرسلته أمه إلى أخواله. فلما سألوها عنه دلتهم عليه فولوه عليهم وكان عمره أحد وعشرين عاماً فاجتمع حوله الأشراف وقدموا له الطاعة، وهو آخر ملوك العجم.

ثم جمع يزدجرد عساكره وجعلهم تحت قيادة رستم لمحاربة المسلمين احتلوا الجزيرة، وحصنوا المدن إلى الحيرة، فلما رأى المثنى بن حارثة قلة جيشه انسحب إلى ذي قار وراء الفرات، ونزل الطف في عسكر واحد، وقد كان

من المستحيل على المسلمين الاحتفاظ بأرض الجزيرة لقرب المدائن منها، لذلك كان من المهم أن يستولي عليها المسلمون، فكتب المثنى إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) يطلب منه المدد، لأن العدو يهددهم.

لما رحل كتاب المثنى إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) اهتم بالأمر وقال: (والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب). وكان أول ما عمل به الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد أن كتب إلى عمال العرب على الكور والقبائل، حيث جاء في كتابه إلى عمالة: (لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه، ثم وجهتموه إلى العجل العجل).

فمضت الرسل إلى من أرسلهم إليهم مخرجة إلى الحج، ووفاة أوائل هذا الضرب من القبائل التي طرقها على مكة والمدينة، فأما من كان من أهل المدينة على النصف ما بينه وبين العراق، فوافاه بالمدينة مرجعه من الحج. وأما من كان أسفل من ذلك فانضموا إلى المثنى بن حارثة، فأما من وافى الخليفة عمر ابن الخطاب (ﷺ) فإنهم أخبروه عمن وراءهم .

ولما اجتمع الناس إلى الخليفة عمر بن الخطاب، خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى حراراً، فعسكر به. ولا يعلم الناس ما يريد، أيسير أن يقيم.

فقال عثمان لعمر: ما بلغك ما الذي تريد. فنادى العلاة جماعة فاجتمع الناس إليه فأخبرهم الخبر، ثم نظر ما يقول الناس فكانت الآراء منقسمة إلى قسمين الرأي الأول، الذي يمثل عامة الناس، بالسير لمحاربة الفرس ويسير الخليفة معهم فوافقهم الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) على رأيهم. وقال لهم: (استعدوا واعدوا فإني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك). وهذا بين أن الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) كان يلتمس خير الآراء.

أما الرأي الآخر فكان رأي الخاصة من أصحاب الرسول (ﷺ) وأعلام العرب ، ومنهم علي(ﷺ) وطلحة والزبير وعبد الرحمن على خلاف رأي العامة، وذلك أنهم أجمعوا على أن يبعث الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) رجلاً من الصحابة بالجنود ، فإن كان الذي يشتهي فهو الفتح ، وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر ففي ذلك غيظ العدو ، وهذا هو الرأي الصواب ، لأن الخليفة إذا قاد الجند بنفسه فإما أن ينتصر، وإما أن ينهزم أو يستشهد في ساحة الوغى ، وعندئذٍ تكون الهزيمة شديدة الوقع على المسلمين ، والخسارة جسيمة وهذا ما رآه المسلمون عندما خرج الخليفة أبو بكر الصديق إلى ذي القصة ليحارب بنفسه ، فإنهم قالوا له وقتئذٍ : ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك ، فإنك أن تصب لم يكن للناس نظام ، ومقامك أشد على العدو ، فابعث رجلاً فإن أصيب أمرت آخر ، وقد يعترض على ذلك بأن رسول الله (ﷺ) كان يقود الجند بنفسه ، لكن رسول الله (ﷺ) كان ينزل عليه الوحي ويبشره بالنصر وكان الله سبحانه وتعالى يمده بالملائكة ، ومع ذلك فإنه لما شاع أنه قتل في موقعه أحد ، اضطرب الجيش وفر من فر إلى المدينة .

وقد تم إخبار سعد بن ابي وقاص [٤٤] الذي له صدقات هوازن بنجد ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) كتب إليه بانتخاب ذوي الرأي ، فجاءه كتاب سعد وهو يستشير الناس فيمن يبعثه – يقول فيه لعمر : (قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم) فوافق كتابه مشورتهم فقالوا : قد وجدته ، قال فمن ؟ قالوا : الأسد عارياً ، قال : من ؟ قالوا : سعد فانتهى إلى قولهم فأرسل إليه فقدم عليه فأمره على حرب العراق .

وقال الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) يوصي سعداً :

« يا سعد، سعد بني وهيب لا يغرنك من الله أن قيل قال رسول الله (ﷺ) فإن الله عز وجل لا يمحوا السيئ بالسيئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ودخيلهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهو عيادة يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت النبي (ﷺ) منذ بعث إلى أن فارقنا فألزمه ، فإنه الأمر هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين » .

ولما أراد أن يسرحه دعاه وقال له :

" إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كربه ، لا يخلص منه إلا الحق ، تقود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، وأعلم أن لكل عادة عتاداً فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك ، يجتمع لك خشية الله ، وأعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين في طاعته واجتناب معصيته ، وإنما طاعة من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبته الناس فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حببه ، وإذا أبغض عبداً بعضه ، فاعتبر منزلك عند الله تعالى بمنزلك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك " .

وقد سار مع سعد بن أبي وقاص إلى العراق في المدينة (٤٠٠٠) مقاتل، وكان عمر بن الخطاب (ﷺ) كلما وفد عليه جيش سيره للانضمام إلى جيش سعد ، ومن الذين انضموا إليه طليحة الذي أسلم وعمرو بن معدي ، والأشعث ، وعلى ذلك وجد سعد نفسه قائد جيش كبير بلغ نحو (٣٥٠٠٠) مقاتل ، وهو

أعظم جيش وجه لقتال الفرس ، وإليك بيان الجيش مع ذكر القبائل :

(١) ٤٠٠٠ الجيش الذي خرج مع سعد من المدينة منهم :
٣٠٠٠ يماني
١٠٠٠ من سائر الناس

(٢) ١١٠٠٠ الجيش الذي انضم إلى سعد بعد خروجه من المدينة وهم كما يلي :
٢٠٠٠ يماني
٢٠٠٠ نجدي
٣٠٠٠ تميمي
١٠٠٠ ربيً
٣٠٠٠ من بني أسد ليكونوا بين سعد والمثنى

(٣) ٢٠٠٠٠ جيوش المثنى منهم :
٦٠٠٠ من بكر وائل
٢٠٠٠ من سائر ربيعة
٤٠٠٠ اتجهوا بعد أن ترك خالد المثنى
٤٠٠٠ ممن بقي يوم الجسر
٢٠٠٠ من أهل اليمن من الجبيلة
٢٠٠٠ من قضاعة وطيء

وقبل أن يصل سعد بن أبي وقاص إلى العراق، توفي المثنى بن حارثة على اثر الجرح الذي أصابه بموقعة الجسر ، وكان المثنى قبل وفاته قد استخلف على الناس بشير بن الخصاصية ، وكان المعنى بعد موت أخيه المثنى قد سار إلى قابوس ابن قابوس بني المنذر بالقادسية لقتاله لأن الفرس كانوا قد بعثوا قابوس بني المنذر بالقادسية لقتاله لأن الفرس كانوا قد بعثوا

قابوس ليستنفر بني بكر ، ثم رجع المعنى إلى سعد يوصيه بوصية المثنى بن حارثة الذي كان قد أوصى بها وأمره أن يعجلها على سعد في بزرود ، فلم يفرغ لذلك إذ شغله قابوس فلقيه بشراق ، وكانت وصية المثنى لسعد ، أن لا يقاتل عدوه وعدوهم (بني المسلمين من أهل فارس) إذا استجمع أمرهم وملأهم في عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العري وأن يقاتلوهم بعقر دارهم، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم.

فلما انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته ترحم عليه وأمر المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته قبراً .

لما ترك سعد بن أبي وقاص بشراف كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضى إلى الجبانة فكتب إليهم الخليفة عمر : " إذا جاءك كتابي هذا فعرف الناس وعرف عليهم ، وأمر على أجنادهم وعبّهم ، وأمر رؤساء المسلمين فليشهدوا ، وقدرهم ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية ، واضمم إليك المغيرة بن شعبه (٤٥) في خيله واكتب إلي بالذي يستقر إليه أمرهم " .

فبعث سعد إلى المغيرة فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل فأتوه ، فقدر الناس وعبأهم بشراف ، وأمر أمراء الأجناد ، وعرف العرفاء، فعرف على كل عشرة رجلاً ، وأمر على الرايات رجلاً من أهل السابقة ، وأمر على الأعشار رجلاً لهم وسائل في الإسلام ، وولى الحروب رجلاً ، فجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتصم ، وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط ، وعلى المجردة سلمان بن ربيعة الباهلي ، وعلى الرجل (المشاة) حمال بن مالك الأسدي ، وعلى الركبان عبد الله بن ذي

الهيمن الخشعي ، وجعل خليفة خالد بن عرفطة ، فكان أمراء التعبئة يولون الأمير ويليهم أمراء الأعشار ثم أصحاب الرايات ويلي أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل ، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وإليه قسمة الفيء وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي .

لقد كان سعد بن أبي وقاص عازماً على تنفيذ وصية المثنى بن حارثة لما له من الخبرة والدراية ، فآتاه كتاب من الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بمثل رأي المثنى وهذا نصه :-

(أما بعد ، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكل على الله ، واستعن به على أمرك كله، وأعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع ، وإن كان سهلاً كؤود لبحوره ودآدئه إلا أن توافقوا فيضاً من فيض ، وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدؤوهم الشد والضرب ، وإياكم والمناظرة بجموعهم ولا يخدعنكم ، فإنهم خدعة مكرة أمرهم غير أمركم إلا أن تجادوهم وإذا انتهي إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ، ولما يريدونه من تلك الأهل ، وهي منزل رغيب خصيب حصين ، دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر ، على حافات الحجر، وحافات المدر ، والجراع بينهما ، ثم ألزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إذا أحسوك أبغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم قلوبهم، وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم ، فانصرف من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة) .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرحل فيه من شراف : (فإذا كان يوم كـذا وكـذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوارس ، وشـرق بالناس وغرب بهم) .

ثم قدم عليه جواب كتاب الخليفة عمر :

((اما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية الحسنة ومن غفـل فليحدثها ، والصبر الصبر ، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة ، والحذر الحذر على من أنت عليه ، وما أنت بسـبيله واسـألوا الله العافية ، وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، واكتب إلـى أيـن بلغـك جمعهم، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم ، فإنه قد منعني من بعض مـا أردت الكتاب به قلة علمي بما هاجمتم عليه ، والذي استقر عليه أمر عدوكم ، فصـف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كـأني أنظـر إليـها ، واجعلني من أمركم ، وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن تصرفه عنك ويستديل بكم غيركم)) .

فكتب إليه سعد بن أبي وقاص بصفة البلد :-

((إن القادسية بين الخندق والعتيق ، وإن ما عن يسار القادسـية بحـر أخضر في جرف لاح إلى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر وأمـا الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الخُضوض ، يطلع بمن سـلكه علـى مـا بيـن الخورنق والحيرة وأن ما عن يمين القادسية إلى الولجـة فيـض مـن فيـوض سعياهـم، وأن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي أليت لأهل فارس قد خفوا لهم ، واستعدوا لنا ، وأن الذي أعدوا لمصادقنا " رسـتم " في أمثال لـه منهم فهم يحاولون إنغاظنا وإقحامنا ، ونحن نحاول انغاضهم وإبرازهم ، وأمـر الله بعد ماضٍ ، وقضاؤه سلم إلى ما قدر لنا وعلينا ، فنسأل الله خـير القضـاء وخير القدر في عافيته)) .

فكتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) :-

* لقد جاءني كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك ، وأعلم أن لها ما بعدها ، فإن منحك الله أدبارهم ، فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليه المدائن ، فإنه خرابها إن شاء الله .

سار سعد بن أبي وقاص متمهلاً نحو العذيب محاذياً حدود الصحراء ، وهناك ترك النساء والأطفال بحماية فرقة من الفرسان ، وتقدم نحو القادسية في سهل متسع يرويه الفرات ، ويحده من الغرب خندق سايور ، وقد كان هذا الخندق في تلك الأيام غديراً ، ووراءه تمتد الصحراء وهذا السهل يخترقه طريق من بلاد العرب ، وهناك يعبر النهر بجسر من القوارب إلى الحيرة ، ومن ثم الطريق إلى المدائن هذا هو وصف ميدان القتال الذي عما قريب يبين قيمة أمر الفرس ، وقد سار سعد على الشاطئ الغربي وجعل مركز القيادة القديس وهي قلعة صغيرة على الغدير بعد الجسر بقليل ، وهناك عسكر وانتظر بفروغ صبر حركات العدو كان قائد الفرس رستم يريد الانتظار كسعد لولا رغبة الملك يزدجر في التعجيل بالقتال لأن العرب كانوا يعبرون النهر إلى الجزيرة ، ويوالون الإغارات ، ويهاجمون حصون الأشراف ، وقد انقضى الربيع وأتى فصل الصيف ، واستاق المسلمون النعم من المراعي تأديباً للقبائل الموالية للفرس، ولتقديم الغذاء للجيش فلما استغاث أهل البلاد لم يعد الملك يستمع لرأي رستم بالانتظار فدعاه على التقدم في الحال ، وفي هذه الأثناء ، وكان سعد يراسل الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ، ويوافقه على كل شيء ويصف له القادسية .

أقام سعد شهراً ينتظر حركات العدو ، فلما طال به الانتظار كتب إلى الخليفة : " لم يوجه القوم إلينا أحداً ، ولم يسندوا حرباً إلى أحد علمناه ، ومتى ما

يبلغنا ذلك نكتب به، واستنصر الله فإنا بمنجاة دنيا عريضه دونها بأس شديد قد تقدم إلينا في الدعاء إليهم ، فقال ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد " .

ثم علم سعد بن أبي وقاص أن ملك الفرس ولى رستم حربه كتب بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : (لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتوك به واستعن بالله وتوكل عليه ، وأبعث عليه رجلاً من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعائهم تهويناً لهم وفلجاً عليهم ، واكتب إلي في كل يوم) .

- **وفد المسلمين إلى يزد جرد يدعونه إلى الإسلام**

لما وصل جواب الخليفة عمر بن الخطاب إلى القائد سعد بن أبي وقاص يأمره بإرسال وفد إلى ملك الفرس ، أرسل سعد نفراً منهم النعمان بن مقرن ، ويسر بن أبي رُهم ، وحملة بن جوية ، وحنظلة بن الربيع ، وفرات بن حيلن ، وعدي بن سهيل ، وعطارد بن عاص ، والمغيرة بن زرارة بن إلياس الأسدي ، والأشعث بن قيس ، والحرث بن حسان ، وعاصم بن عمرو ، وعمرو بن معدي كرب، والمغيرة بن شعبة ، والمعنى بن حارثة إلى يزدجرد دعاه ، فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجر وتركوا رستم ، واستأذنوا على يزدجرد ، فحيوه وأحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقول لهم ، واجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلها جهاد وعليهم البرود وبأيديهم السياط ، فأذن لهم وأحضر الترجمان وقال لهم سلهم ، ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل أننا تشاغلنا أجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرن لأصحابه : " إن شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته " فقالوا تكلم فقال : « إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير ، وينهانا عن الشرور ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة ويتباعد عنه بها فرقة ، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب فبدأناهم ، فدخلوا معه على

وجهين : مكره عليه فاغتيظ ، وطائع أتاه فازداد فعرفنا جميعاً فضل ما جاء بـه على الذي كنا عليه في العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمـم ، فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسّـن الحسـن ، وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر في الشر هو أهون من آخر الشر منه الجـزاء فأن أبيتم فالمناجزة ، فإن أحببتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا عليه علـى أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكـم ، وأن اتقيتمونـا بـالجزاء (الجزية) قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم » .

فتكلم يزدجرد فقال :

« إني لا أعلم من الأرض أمة أنه كانت أشقى ، ولا أقـل عـدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، وقد كنا نوكل لكم قرن الضواحي فيكفونـا أمركـم ، ولا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فإن كل غرر بحقكم فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكـم ، وأكرمنـا وجوهكـم ، وكسوناكم ، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم » .

فقام المغيرة بن زرارة فقال :

((أيها الملك أن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحون مـن الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشـراف ويفخم الأشراف الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا له جمعوه لك ، فجاوبني لأكون الذي أبلغك ، ويشهدون على ذلك أنك قد وصفتنا صفة لم نكن بها عالماً)) .

فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلـم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والحبلان والعقارب والحيتان فـترى ذلـك طعامنا ، وأما المنازل فانما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أدبـار الإبل وأشعار الغنم ، وبتنا أن يقتل بعضنا بعضاً ، ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ، فكانت حالنا قبـل

اليوم على ما ذكرت لك ، فبعث الله إلينا رجلا معروفا ، نعرف نسبه ونعـــرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنـــا وقبيلته خير قبيلتنا ، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كنـــا فيـــها أصدقنـا وأصلحنا ، قد دعانا إلى أمر فلم يجيبه أحد أول من ترب كان له وكان الخليفـــة من بعده ، فقال وقلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئا إلا كـــان ، فقذف الله في قلوبنا التصديق له وأتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العـــالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : « إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذا لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي، وأنا خلقت كل شيء ، وإلي يصير كل شيء ، وأن رحمتي أدركتكـــم ، فبعثـــت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي أنجيكم بعد الموت من عذابي ... »

فقال : أتستقبلني بمثل هذا ؟ فقال :

« ما استقبلت إلا من كلمني ولو كلمني غيرك لم استقبلتك به » فقـــال :

« لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لأي شيء لكم عندي » ثم استدعى يوقر مـــن تراب فقال : « احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه فـــي خندق القادسية ، ثم أورد بلادكم ، حتى أشغلكم بأشد مما نالكم من سابور » .

فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب وقال : أنا أشرفكم أنا ســـيد هـــؤلاء فحمله على عنقه وخرج إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لســـعد : أبشـــر فوالله لقد أعطانا أقاليد ملكهم .

- مســـير جـــيش رســـتم

لم يعد رستم ينظر بعد ذلك فجمع جيشا يبلغ (١٢٠,٠٠٠) ومنهم الفيلـــة ومع ذلك سار متمهلا ثم عبر الفرات بالقرب من بابل وتقدم نحو الحيرة إلـــى أن صار بمرأى من جيش المسلمين ، وعسكر على الشاطئ المقـــابل ، واســـتعمل

رستم على ميمنته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازي ، وعلى ساقته البيرزان ، ودعا رستم أهل الحيرة فقال : " يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا ، وكنتم عيوناً لهم علينا وقويتموهم بالأموال " .

فاتقوه بابن بقيلة وقالوا له كن أنت الذي تكلمه فتقدم فقال :

"أما أنت وقولك إنا فرحنا بمجيئهم ، فماذا فعلوا ؟ وبأي ذلك من أمورهم نفرح ؟ إنهم يزعمون إنا عبيد لهم وما هم على ديننا ، و إنهم يشهدون علينا إنا من أهل النار ، وأما قولك إنا كنا عيوناً لهم فما الذي يحوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم ؟ وقد هرب أصحابكم منهم وخلوا لهم القرى ، فليس يمنعهم أحد من وجهة أرادوه إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالاً ، وما بقولك إنا قويناهم بالأموال فإنا مانعناهم بالأموال عن أنفسنا إذا لم تمنعونا مخافة أن نسبى وأن نحرب وتقتل مقاتلتنا ، وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا أعجز ، ولعمري لأنتم أحب إلينا منهم وأحسن عندنا بلاء فامنعونا منهم نكن لكم عوناً ، فإنما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلب " فقال رستم أصدقكم الرجل .

اضطر المسلمون أن يظلوا مدة طويلة في العراق بلا قتال بالرغم منهم تنفيذاً لأوامر قائدهم سعد بن أبي وقاص ، ما عدا بعض السرايا الصغيرة التي أرسلها سعد ورستم بالنجف ، والجالينوس (القائد الفارسي) بين النجف والمسلمين ، فطافت في السواد فبعث سواداً وحميضة في مائة مائة ، فأغاروا على النهرين ، وبلغ رستم الخبر فأرسل إليهم رجلاً ، وسمع سعد أن خيله قد وغلت فأرسل عاصم بن عمر وجابراً الأسدي في آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليتخلصوا ما بأيديهم ، فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم ، وأرسل سعد عمرو بن معدي كرب وطليحة الأسدي ، فأما طليحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بمعسكر الجالينوس ، فخرج طليحة وحده وخرج عمرو في عدة فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما فقال : إن لقيت قتالاً

فأنت عليهم وأراد معاقبة طليحة لمعصيته لأوامره ، وأما عمرو فقد أطاعه فخرج حتى تلقى عمراً فسأله عن طليحة فقال : لا علم لي به ، فلما انتهيا إلى النجف من قبل الجوف قال له قيس : ما تريد ؟ قال : أريد أن أغير على أدنى عسكرهم قال : في هؤلاء ؟ قال : نعم ، قال : لا أدعك والله وذاك ، أتعرض المسلمين لما لا يطيقون ؟ قال : وما أنت وذاك ؟ قال: إني أمرت عليك ولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك ، وشهد له الأسود بن يزيد في ثغر أن سعداً قد استعمله عليك وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو: والله يا قيس إن زماناً تكون عليّ أمراً لزمان سوء ، لأن أرجع عن دينكم هذا إلى دين الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب إلي من أن تأمر علي ثانية ، وقال : لئن عاد صاحبك الذي بعثك لمثلها لنقارنه ، قال : ذاك إليك بعد مردتك هذه ، فرده فرجعنا إلى سعد بن أبي وقاص بالخبر، وشكا كل واحد منهما صاحبه ، فقال سعد : " يا عمرو الخير والسلامة أحب إلي من مصاب مائة بقتل ١٠ ألف تعمد إلى حلبة فارس فتصادمهم بمائة إن كنت لأراك أعلم بالحرب مما أرى فقال: إن الأمر لكما " .

حاول قائد الفرس رستم منع القتال ، حيث كان منجماً فرأى طالع الفرس منحوساً ، وعلم أن نعيمهم عاد بؤساً فكتب كتاباً إلى أخيه مشحوناً بالأسف والحزن جاء فيه :

" إني نظرت في أسرار الكواكب ، واستشفيت أستار العواقب ، فرأيت بيت ملك الساسانيه خالياً ، ورسم سلطانهم عافياً ، واتفقت الشمس والقمر والزهرة في طالع العرب ، فلن يردا سوى الخير و العلاء ، وأما من جنيناه فقد صار الميزان خالياً ، فلسنا نرى غير العناد والشقاء ، ولقد أمعنت النظر وبين أيدينا أمر عظيم ، وخطب جسيم ، والأولى أن أوتر السكوت ، وأفوض الأمر إلى مالك الملك والملكوت " .

وقال في كتابه : " وإن الرسل نختلف بيننا وبينهم وهم يلتمسون أن نقاسمهم الأرض فيكون لهم ما وراء الفرات ويكون لنا ما دونه على أن نفتح لهم الطريق إلى السوق حتى يدخلوا إليه ويتسوقوا ، هذا قولهم ويا ليته وافقه فعلهم ، ثم أنه يجرى لكل يوم وقعة يهلك فيها خلق الإيرانيين والذين معي منهم قوم مغترون بشجاعة رجالهم ووفرة عددهم ، ومستصغرون أمر العدو الغادر ولا يدرون سر الفلك الدائر ، فإذا وقفت على كتابي هذا فاجمع أموالك ، وخزائنك وخيلك ورجلك وانهض إلى أذربيجان واعتصم بتلك البلاد ، واشرح لأمي حالي، وسلها الدعاء فإني وأصحابي في عناء وتعب ، وهم وأسف ، وأنا أعلم أني لا أسلم بالآخرة من هذه الوقعة ، ثم عليك بحفظ الملك ، فإنه لم يبق من هذه الشجرة أحد سواه [٤٦] "

هذا خطاب رستم إلى أخيه قبل أن يشتبك الجيشان في الحرب ، وهو يؤيد ما جاء في المصادر العربية التي يقول عليها من الطبري ، وابن الأثير، من أنه فاوض المسلمين ، وخاطبهم مراراً ، محاولاً منع وقوع الحرب ، ومن هذا الخطاب الفارسي المصدر، يتبين أنه كان يتوقع انتصار العرب وهزيمة الفرس، كان هذا رأي رستم قائدهم الأعظم، مع أنه كان تحت قيادته (١٢٠,٠٠٠) مقاتل مجهزين بالفيلة ، والخيول والسيوف والنبال ، ومعهم المؤن الوافرة ، وليس لدى المسلمين غير (٣٥,٠٠٠) رجل تحت قيادة سعد بن أبي وقاص ، ولم تكن مؤنهم متوافرة ومع ذلك كان رستم يتوقع الهزيمة ، وينصح لأخيه بالالتجاء إلى أذربيجان ، ولذلك حاول إقناع المسلمين بالكف عن القتال ، فذكر لهم سوء حالهم وقلة عددهم وعدوهم ، وأظهر لهم حسن حال الفرس ، وما هم فيه من عز وسلطان فلم يفلح لسببين :

<u>أولاً</u> : لأن الملك يزد جرد كان يعجل بالقتال لأن الفرس اختاروه ملكاً ، لأن أشراف الفرس خشوا من سقوط المملكة في أيدي العرب فولوه لقتالهم أضف إلى

ذلك ، استغاثة القبائل الموالية للفرس من جراء غارات المسلمين وكانت العاصمة مهددة ، ورغبة الأشراف شديدة في القتال لصد المسلمين ، وكانوا مغترين بشجاعتهم وكثرة عددهم ، ويرون أنهم أرقى من العرب ، فكانوا يعيرونهم بسوء الحال ، وشظف العيش ، وجدب البلاد ، ورثاثة الثياب ... إلخ .

ثانياً: لأن المسلمين لم يكونوا يبغون الفتح لأجل الفتح ، بل كانوا يحاربون في سبيل الله ، وكانوا يعتقدون ويؤمنون أن من قتل منهم في سبيل الله دخل الجنة ، فعرضوا على رستم واحداً من ثلاثة أمور : إما الإسلام ، أو الجزية أو القتال ، ورفضوا ما دون ذلك من العطايا والمنح والوعود .وهنا نذكر ما كان بين رستم والمسلمين من المفاوضات في شأن الفتح فقد ذكروا أنه لما ترك رستم على العتيق وبات وأصبح غاوياً ، تأمل القوم ، حتى أتى على شيء يشرف منه على جيش المسلمين فلما وقف على القنطرة ، وأرسل زهرة بن حوية فخرج إليه حتى وافقه ، فأراد على أن يصالحهم ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقول : " أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطتنا فكنا نحسب جوارهم ونكف الأذى عنهم ، ونوليهم المرافق الكثيرة ، ونحفظهم في أهل باديتهم ، فنرعيهم مراعينا ، وغيرهم في بلادنا ، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا ، وقد كان في ذلك معاش " .

فقال له زهرة : " صدقت ، قد كان ما تذكر ، وليس أمرنا أولئك ولا طلبتنا طلبتهم ، إنا لم نأتكم لطلب الدنيا ، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة كنا كما ذكرت ، يدين لكم من رد عليكم منا ، ويضرع إليكم بطلب ما في أيديكم ، ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً فدعانا إلى ربه فأحببناه ، فقال لنبيه (ﷺ) : إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني، فأنا منتقم بهم منهم واجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذل ولا يعتصم به أحد الأغر .

فقال له رستم : وما هو ؟

فقال : " أما عموده الذي لا يصلح منه شيء إلا به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، والإقرار مما جاء من عند الله تعالى " .

قال : " ما حسن هذا ، وأي شيء أيضا " .

قال : " وإخراج العباد من عبادة العباد ، إلى عبادة الله تعالى " .

قال : " حسن ، وأي شيء أيضا "

قال : " والناس بنو أدم وحواء أخوة لأب وأم " .

قال : " ما أحسن هذا " ثم قال له رستم :

" أرأيت لو أني رضيت بهذا الأمر ، وأجبتكم إليه وعلى قومي كيف يكون أمركم ، أترجعون ؟

قال : " إي والله ثم لا نقرب بلادكم أبدا إلا في تجارة أو حاجة " .

قال : " صدقني والله أما إن أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعو أحدا يخرج من عمله من السفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم " .

فقال له زهرة : " نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ، نطيع الله في السفلة ، ولا يغرنا من عصى الله فينا " ، فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا ، فحموا من ذلك.

وأرسل سعد إليه ربعي بن عامر ، فاستعدوا للقائه وبسطوا البسط ووضع لرستم سرير من الذهب وألبس زينته من الأغماط والوسائد المنسوجة من الذهب وأقبل ربعي يسير على فرس له ومعه سيف وقوسه ونبله ، وهو رث الثياب فقالوا له : دع سلاحك ، فأذن له رستم فأقبل يتوكأ على رمحه ، فلما دنى من رستم تعلق به الحرس ، وجلس على الأرض ، وركز رمحه بالبسط فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه .

فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله أبعثنا والله جاء بنا ليخرج من يشاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ،ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلناه منه ومن أبي ما قلناه أبدا حتى نقضي إلى موعود الله .

قال : " وما موعود الله ؟ قال : " الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي " .

قال رستم : " قد سمعت مقالتكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ " قال : نعم كم أحب إليكم ، أيوما أو يومين ؟ قال : " لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا " وأراد مقارنته ومدافعته . فقال : " إنما مما سن لنا رسول الله (ﷺ) ، وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث بعد الأجل : اختر الإسلام وندعك وأرضك ، أو الجزاء (الجزية) ونكف عنك وأن كنت لن تعرنا غنيا تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجا منعناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين اليوم الرابع ، إلا أن تبدأنا ، أنا كفيل بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى ".

قال: " أسيدهم أنت " ؟ قال : " لا ، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم [٤٧] " .

فخلص رستم برؤساء أهل فارس ، فقال: ما ترون ؟ هل رأيتم كلاما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل ؟ قالوا معاذ الله إلى أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك ، أما ترى الى ثيابه ؟

فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب أليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترون .

ولما انتهى الأجل بعثوا أن أبعث إلينا ذلك الرجل ، فبعث إليهم سعد بن حذيفة بن محصن ، فتكلم بمثل ما كلمه زهرة ، ثم عادوا وطلبوا رجلا فأرسل سعد المغيرة بن شعبة ، فعرض عليه رستم أن يعطي أمير المسلمين كسوة ونبلا وألف درهم ، ولكل رجل وقر تمر وثوبين ، على أن ينصرفوا عن الفرس ، فأبى المغيرة وانصرف، وحاول رستم أن يقنع رؤساء الفرس بالكف عن الحرب، فازدادوا لجاجة ، وكان ترجمان رستم من أهل الحيرة يدعى عبود .

وقال رستم بعد انقضاء الأجل : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا إلينا فخرجوا من عنده ليلا ، وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى الناس أن يقفوا مواقفهم ، وأرسل إليهم شأنكم والعبور ، فأرادوا القنطرة فأرسل إليهم لا ولا كرامة ، أما شيء قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم ، تكلفوا معبرا غير القناطر، فباتوا يسدون العتيق بحبال قادس حتى الصباح بالقاء الأخشاب والتراب والبراذع حتى جعلوه طريقا لهم ، فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على حفة العتيق ، ثم لبس رستم درعين ، ومغفرا وأخذ سلاحه وأمر بفرسه فأسرج فأتى به فوثب فإذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب ، ثم قال : " غدا ندقهم دقا " .

لما عبر أهل فارس أخذ مصافهم ، وجلس رستم على سريره ، وعبر في القلب (١٨) فيلا عليها الصناديق والرجال ، وفي المجنتين ثمانية وسيلة عليها الصناديق والرجال ، وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته ، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين ، وكان يزدجرد وضع رجلا على باب أيوانه ، إذا سرح رستم ، وأمره بلزومه ، وإخباره حيث يسمعه من الدار ، وأخر خارج الدار ، وكذلك على كل دعوة رجلا ، فلما ترك رستم ، قال الذي بباساط ؟ قد نزل فقال له الآخر : ما قاله الذي على باب الأيوان ، وجعل على كل مرحلتين على كل دعوة رجلا ، فكلما

نزل وأرتجل أو حدث أمر قاله ، ما قاله الذي يليه ، حتى يقوله الذي يلي باب الأيوان فنظم ما بين العتيق والمدائن رجلاً وترك البُرُد، وكان ذلك هو الشأن .

وأخذ المسلمون مصافهم ، وجعل زهرة وعاصم بين عبد الله وشرحبيل ، ووكل صاحب الطلائع بالطرد ، وخلط بين الجند في القلب والمجتنبات ، ونادى مناديه : ((إلا أن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله ، يا أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد)) . وقد خطب سعد بن أبي وقاص بالجند بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

((إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف ، قال الله جل ثناؤه ﴿ لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ إن هذا ميراثكم وموعدكم بكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطمعون فيها ، وتأكلون منها .....، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة ، وعز من ورائكم ، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ، وأن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم)) .

وقام عاصم بن عمرو بخطبة في المجردة فقال :

((إن هذه البلاد قد أحل الله لكم أهلها وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ، أن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم ، وأن هزمتم فشلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ ، لم يبق هذا الجمع منكم باقية ، مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك ، الله الله !! اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها ، أولا ترون أن الأرض وراءكم يابسة قفار ليس فيها خمر ولا وزر يعقل إليه زلا يمتنع به ! اجعلوا همكم الآخرة)) .

وكتب سعد بن أبي وقاص إلى الرايات! ((أني قد استخلفت عليكم خـالد ابن عرفطة وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي ، فأني مكب على وجـهي وشخصي لكم باد ، فاسمعوا له وأطيعوا فإنه إنما يأمركم بأمري ويعمل برأيي)).
فقرئ ذلك على جيش المسلمين فزادهم خيراً وانتهوا إلى رأيه ، وقبلـوا منـه ، وتحاثوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عذر سعد والرضا بمـا صنـع ، وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهي الأنفال ، فلما فرغ من القراءة قـال سعد : ((ألزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر ، فإذا صليتم فإني مكبر تكبـيرة ، فكبروا واستعدوا ، فإذا سمعتم الثانية فكبروا وألبسوا عدتكـم ، ثـم إذا كـبرت الثالثة، فكبروا ، ولينشط فرسانكم الناس)) فإذا كبرت الرابعة فـازهقوا جميعـاً حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
لما كبر سعد التكبيرة الثالثة برز أهل النجدات فانتشروا للقتال ، وخرج إليهم من الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وخرج غالب بن عبد الله أسدي وهـو يقول :

قد علمت واردة المسائح ذات اللبان والبنان الواضح
إني سمام البطل المشايح وخـارج الأمر المهم الفادح

فخرج إليه هرمز ، وكان من ملوك الباب ، وكان متوجاً فأسره غالب أسـراً فجاء به سعداً فأدخل وانصرف غالب إلى المطاردة ، وخرج عاصم بن عمـرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مـثل اللجين إذ تغشاه الذهب
إني أمرؤ لا من يعنـيه السبب مثلي على مثلك يغريه العتب

فطارد رجلاً من أهل فارس ، فهرب منه ، واتبعه حتى إذا خالط حفـهم التقى بفارس معه بغلة فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فحموه ، واسـتاق عاصم البغل والرجل حتى أفضى به إلى الصف ، فإذا هو خباز الملك فأتى بـه

سعد ورجع إلى موقفه ثم قتل عمرو بن معدي كرب رجلاً من الأعاجم ، كسر عنقه ، ووضع سيفه على حلقه فذبحه ، ثم قال هكذا فاصنعوا بهم .

ثم حملت الفيلة على جيش المسلمين ، وكانت الفرس قد قصدت بني بجيله بسبعة عشر فيلاً ، فنفرت خيل بجيله ، وكادت تهلك لنفار خيلها عنها ، وممن معها ، فأرسل سعد إلى بني أسد أن واقعوا عن بجيلة وممن معها من الناس ، فأرسل سعد إلى بني عمرو في كتائبهم ، فباشروا الفيلة حتى عدلتها ركبانها ، وأن على كل فيل عشرين رجلاً ، فكانت عبارة عن حصون متحركة، فقال طليحة حيث قام في قومه :

((يا عشيرتاه، إن المنوه باسمه ، الموثوق به ، وإن هذا لو علم أن أحداً أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ابتدؤوهم الشدة ، وأقدموا عليهم إقدام الليوث ، الحرية فإنما سميتم أسداً لتفعلوا فعله ، شدوا ولا تصدوا ، وكروا ولا تفروا الله در ربيعة ! أي فري يفرون ! وأي قرن يغنون ! هل يوصل إلى مواقفهم ! فاغنوا عن مواقفكم أعانكم الله شدوا عليهم باسم الله)) .

فمازالوا يطعنون ويضربونهم حتى حبسوا لفيلة عنهم فأخرت ، وخرج إلى طليحة عظيم منهم ، فبارزه فما لبثه طليحة أن قتله .

وقام الأشعث بن قيس في كنده فقال :

((يا معشر كنده ، لله در بني أسد أي فرى يفرون ! وأي هذ يهذون عني موقفهم منذ اليوم ، أغنى كل قوم ما يمليهم ، وأنتم تنظرون من يكفيكم البأس ، أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب منذ اليوم ، وإنهم ليقتلون ويقاتلون وأنتم جثاة على الركب تنظرون)) .

فوثب إليه عشرة منهم قالوا : ((عمر الله جدك ، إنك لتؤيسنا جاهداً ونحن أحسن الناس موقفاً ، فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا أسوتهم ، فها نحن معك)) . فنهد ونهدوا فأزالوا الذين بإزائهم ، فلما رأى فارس ما تلقى الفيلة من

كتيبة أسد رموهم بحدودهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس ، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة ، وقد ثبتوا لهم لم يكن سعد قد كبر التكبيرة الرابعة بعد ، فلما كبر اجتمعت حلبة فارس على أسد ، ومعهم تلك الفيلة ، فزحف المسلمون ودارت رحى المعركة ، وحملت الفيلة على الميمنة والميسرة على الخيول، فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو ، فقال : يا معشر بني تميم ألستم أصحاب الإبل والخيل ، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ قالوا : بلى والله ، ثم نادى في رجال من قومه رماة ، ، وآخرين ثقافة ، فقال لهم : يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل، وقال يا معشر أهل الثقافة استديروا الفيلة فقطعوا وضنها (أي أحزمتها) ، وخرج يحميهم وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها فقطعوا أحزمتها ، فما بقي لهم يومئذٍ فيل إلا أعرى ، وقتل أصحابها ، وردوا جيش فارس عنهم إلى مواقفهم فاقتتلوا حتى غربت عنهم الشمس ، وذهبت هدأة من الليل ، وسمى هذا اليوم بيوم (أرماث) .

ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبئة ، وقد وكل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العذيب ، وأما الجرحى فسلموهم إلى النساء ليقمن عليهم ، ودفن الشهداء هنالك على (مشرف) وهو وادٍ بين العذيب وبين الشمس ، ثم طلعت نواصي الخيل من الشام ، وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) أرسل إلى أبي عبيدة بن الجراح بإرسال أهل العراق إلى العراق ، فسيرهم أبو عبيدة ، وهم ستة آلاف ، خمسة آلاف ، من ربيع ومضر ، وألف من أفتاء اليمن من أهل الحجاز، وأمر عليهم هاشم بني عتبه بن أبي وقاص، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمي، فتعجل القعقاع ، فقدم على الناس صبحة هذا اليوم وهو يوم (أغواث) ، وقد عهد إلى أصحابه وهم ألف أن ينقسموا إلى عشرة أقسام ، لكل مائة قسم في أثر الآخر ، ثم أقبل

على جيش سعد ويبشرهم بالجنود فقال : ((يا أيها الناس إني قد جئتكم في قوم ، والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسوكم حسدوكم لظوتها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم)) ومجيء الجيش بهذه الصفة وهذا النظام كان له وقع عظيم في نفوس الفرس والمسلمين جميعاً ثم أن القعقاع شجع الجيش على القتال وقال: اصنعوا كما أصنع ، فتقدم ثم نادى من يبارز ؟ فقالوا فيه ما يقول أبو بكر : ((لا يهزم جيش فيهم مثل هذا)) ، وسكنوا إليه فخرج إليه ذو الحاجب (بهمن) فقال له القعقاع((من انت ؟)) قال : ((أنا بهمن باذويه)) فنادى : ((يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجسر)) ، واشتبكا فقتله القعقاع، وجعلت خيله ترد قطعاً ، ومازالت ترد إلى الليل وتشجع المسلمون ، وانكسرت الأعاجم ونادى القعقاع من يبارز؟ فخرج إلية رجلان أحدهما: البيرزات فقتله وقتل الحارث بن ظبيان البندران ونادى القعقاع : يا معاشر المسلمين من يبارز؟ باشروهم بالسيوف فإنما يحصد الناس بها فتواصى الناس ، وتشايعوا إليهم، واقتتلوا حتى المساء، فلم ير أهل فارس في هذا اليوم ما يفرحهم وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل لأن توابيتها قد تكسرت بالأمس ، فاستنقوا إصلاحها حين أصبحوا ، فلم ترتفع حتى كان الغد .

أخذ المسلمون في اليوم الثالث ينقلون شهداءهم إلى المقابر ، والجرحى إلى النساء ، وقال سعد : من شاء غسل الشهداء ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم .

وبات القعقاع تلك الليلة يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه ، وقال : إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة (كلما توارى عنكم مائة ولا يشعر به أحد ، وأصبح الناس على مواقفهم ، فلما طلعت الشمس أقبل أصحاب القعقاع ، فحين رآهم كبر وكبر المسلمون وقالوا : جاء المدد ، واختلفوا الطعن والضرب فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى الأمر إليهم هاشم ، وقد طلعوا في سبعمائة ، فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يومه ، فعبى أصحابه سبعين

سبعين، وكان فيهم قيس هبيرة بن عبد يغوث المعروف بقيس بن المكشوح المرادي ، ولم يكن من أهل الأيام ، إنما كان باليرموك فانتدب مع هاشم ، حتى إذا خالط قلب جيش الفرس كرّ وكرّ المسلمون ، وقال: أول القتال المطاردة ثم المراماة ، ثم حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم إلى شاطئ النهر ، ثم عاد إلى موقفه .

وبات الفرس في علاج قواتهم حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم وأقبلت الفيلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضنها (أحزمتها) ، ومع الرجالة فرسان يحمونهم إذا أرادوا كتيبة دلفوا بها بفيل أتباعه لينفروا بهم خيلهم، فتقاتلوا حتى عدل النهار ، وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً ، العرب والعجم فيه على السواد ، وقد كان يزدجرد يبعث المدد ممن بقي عنده ، فيقومون بهم ولولا الذي منحه الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين ، وأتاح لهم بهاشم، لكسر المسلمون وانهزموا.

لما رأى سعد الفيلة تفرق بين الكتائب وعادت لفعلها كيوم أرماث استشار نفراً من الفرس قد أسلموا فأشاروا عليه بضرب المشافر والعيون ، فأرسل إلى القعقاع وعاصم بني عمرو: أكفياني " الأبيض" فحملوا على الفيل الأبيض فوضعوا رمحيهما معاً في عينيه ، ثم قتله القعقاع ، وقتلوا من كان معه .

بعد أن فرت الفيلة ، وخلص المسلمون بأهل فارس، ومال الظل تزاحف المسلمون وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار حتى المساء واشتد القتال بين الفريقين ، فخرجا على السواد إلا الغنائم من هؤلاء ، فسميت ليلة الهرير(٤٩) ولم يكن قتال بليل بعدها بالقادسية .

وبعث سعد بن أبي وقاص (ليلة الهرير) طليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل المعسكر ليقوما عليها خشية أن يأتيه القوم فيها .

قال طليحة : لو خضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم ، فقال عمرو: بل نعبر أسفل، فافترقا فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق ، وسفل عمرو بهما جميعاً، فأغاروا وثارت بهم الأعاجم ، وزحف قوم بغير إذن سعد ولم ينتظروا أمره ، فكان القعقاع أول من زحف فقال سعد: اللهم اغفرها له وانصره، فقد أذنت له إن لم يستأذني ، ثم قال : إذا كرت ثلاثاً فاحملوا ، وكبر واحدة لكنهم لم ينتظروا ، فحملت أسد ثم بجيلة ، ثم كندة ، ثم زحف الرؤساء ، وهكذا فإن العرب لشجاعتهم لا يطيقون الانتظار في ميدان القتال ، بل يندفعون بكل قواهم ، وقد كان سعد ينتظر طويلاً بين كل تكبيرة وأخرى كي يستعدوا وينتظموا لكنهم ما كانوا يطيقون الصبر .

كانت رحى المعركة تدور على القعقاع ، وتقدم حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار ، وطليحة ، وغالب، وأهل النجدات ، ولما كبر سعد الثالثة لحق الجند المسلمين بعضهم بعضاً ، وخالطوا القوم ، واستقبلوا الليل بعد صلاة العشاء ، وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون حتى الصباح ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله ، ، وانقطعت أخبار القتال عن سعد ورستم ، وأقبل سعد على الدعاء ، فلما كان الصبح ، واستدل المسلمون على أنهم المنتصرون بعد أن حاربوا يوماً بلا انقطاع .

كان أول شيء سمعه سعد في هذه الليلة مما يستدل به على الانتصار في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا معشراً وزائداً   أربعة وخمسة وواحداً

نحسب فوق اللبد الأساودا   حتى إذا ماتوا دعوت جاهداً

الله ربي واحترزن عامداً

وفي الصباح سار القعقاع في جند المسلمين فقال : ((إنّ الدبرة (الهزيمة) بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فإن النصر مع الصبر

فآثروا الصبر على الجزع)) فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم (قصدوه) حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح ، وأخذت مجنبتا الفرس في الارتداد، ونشب في القلب قتال عنيف ، وعند الظهر ركد عليهم النقع (الغبار) ، فهبت ريح عاصفة ، فقلعت سرادق رستم عن عرشه فهوى في النهر وانتهى القعقاع ومن معه إلى العرش ، فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالسرادق إلى بغال فقدمت عليه بمال يومئذٍ فهي واقعة، فاستظل في ظل بغل وحمله ، وضرب جبينه بالسيف حتى قتله ، وصعد العرش ونادى : ((قتلت رستم ورب الكعبة)) فاضطرب قلب جيش رستم عند ذلك وانهزموا ، وقام الجالينوس ونادى أهل فارس إلى العبور فوخزهم المسلمون برماحهم، وأرسل سعد إلى هلال فدعاً له ، فقال : أين صاحبك ؟ قال رميت به تحت أبغل (أي السؤال حول رستم) ، قال؟ إذهب فجيء به ، فجاء به ، فقال جرده إلا ما شئت ، فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئاً . هذه رواية سيف عن قتل رستم كما جاء في الطبري وهكذا ذكرها إبن الأثير .

وبعد أن قتل رستم اضطرب الفرس وانهزموا وقام الجالينوس على الروم ونادى أهل فارس إلى العبور ، وأخذ ضرار بن الخطاب راية فرس درفش [٥٠] وذهب فرسان من المسلمين في أثر الفرس ، ولحق زهرة بالجالينوس ، وكان في آخرهم يحميهم ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زهرة وأخذ سلبه ، وقتلوا ما بين الخرارة والسيلحين إلى النجف ، وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية .

كانت هزيمة الفرس مقدرة وحاسمة ، ولم يمض على ذهاب خالد بن الوليد إلى العراق إلا نحو ثلاثين شهراً ، وكانت الإمبراطورية الساسانية قد ألحقت الهزيمة بالإمبراطورية البيزنطية بالشام ، وعسكرت جيوشها على ضفاف البسفور ، وهاهي قد اندحرت أمام جيوش المسلمين الذين لم يتجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين ألفاً، ومع أن جيوش الفرس تمكنت من عبور النهر منهزمة ،

فإن قوتهم الحربية لم تكتمل ولم تعد تشكل خطرا يهدد جيوش المسلمين ، وقد وقع الرعب في نفوس الأهالي وانضمت القبائل العربية وحاربت القبائل المسيحية في صفوف المسلمين ، وجاءت إلى سعد خاضعة ودخلت في الإسلام ، وتجمع المصادر على أن هذه المعركة كانت من أعنف المعارك التي خاضها المسلمون في مواجهة الفرس ، حيث استمرت أربعة أيام ، تواصل القتال في بعضها ليلا ونهارا ، وقد انتهت بانتصار المسلمين نصرا حاسما على الفرس .

بعد أن انهزم الفرس بالقادسية توقف المسلمون عن القتال مدة شهرين ليستريح الجند ، ويستعد للقتال ، فلما وصلت مقدمة المسلمين [٥٢]، وعليهم عبد الله بن المعتم ، وزهرة ابن حوية ، وشرحبيل بن السمط، لقيهم جمع من الفرس فهزمهم المسلمون إلى بابل ، وبها فالة القادسية ، فهزموا قائدهم بصبهري، فألقى نفسه في النهر ، ومات من طعنة زهرة ، ثم أقبل بسطام دهقان برس ، وصالح زهرة وعقد له الجسور وأخبره بمن اجتمع ببابل .

نزل سعد بن أبي وقاص الكوفة [٥٢]مع هاشم بن عتبه وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان ، فزحف بقواده إلى بابل ، ولم يلبث أن هزم الفرس ، فخرج الهرمزان متوجها نحو الأهواز فأخذها ، ثم سار حتى طلع على نهاوند وبها كنوز كسرى فأخذها ، وأقام سعد ببابل أياما ثم نزل كوثى، وأتى البيت الذي كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوسا ، فنظر إليه وصلى على رسول الله ، وعلى إبراهيم ، وعلى أنبياء الله .

فقد أجبر القوات المنهزمة على الانسحاب إلى المدائن [٥٣] (طيسفون) التي كانت عاصمة الساسانيين [٥٤] حيث قدم سعد بن أبي وقاص إلى بهرسير[٥٥]، فصالحه شيرزاد دهقان ساباط على تأديه الجزية ، وهزم زهرة كتيبته بنت كسرى التي تدعى بوران ، ثم زحف سعد على بهرسير فرأى المسلمون الإيوان، فقال ضرار بن الخطاب : " الله أكبر ، أبيض كسرى ، هذا

وعد الله ورسوله " وكبر وكبر الناس معه ، فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ، ثم نزل على المدينة .

وفي شهر صفر دخل المسلمون بهرسير ، وكان سعد محاصرا لها ، وأرسل الخيول فأغارت على من ليس له عهد ، فأصابوا (١٠٠,٠٠٠) فلاح فأصاب كل واحد منهم فلاحا فأرسل سعد إلى الخليفة عمرو بن الخطاب (ﷺ) يستأذنه فأجابه : (إن من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانة ، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به) فخلى سعد عنهم وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ، ولهم الذمة ، فتراجعوا ولم يدخل في ذلك ما كان لآل كسرى ، فلم يبق غربي دجلة إلى أرض العرب سوادي إلا آمن واغتبط بملك الإسلام ، وأقاموا على بهرسير شهرين يرمونهم بالمجانيق ،ويدبون إليهم بالدبابات [٥٦] ونصبوا على المدينة (٢٠) منجنيقا، فشغلوهم بها ، واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية ، وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم ، ثم قطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية ، ودخلوا المدينة فأنزلهم سعد المنازل .

أقام سعد بيهرسر أياما من شهر صفر ، فأتاه علج فدله على مخاضة تخاض إلى صلب الفرس ، فأبى وتردد عن ذلك ، وقحمهم المدة وكانت السنة كثيرة المدود ، فآتاه علج وقال له : مايقيمك ؟ لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكل شئ في المدائن ، فعزم سعد على قطع البحر .

وخطب في الجيش ، وندب الناس إلى العبور ، وجعل عاصما على الفراض ليمنعها ، وأذن في الاقتحام ، وقال: ((قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرني الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزمن عدوه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)) ، وكان الذي يساير سعدا سلمان الفارسي ، فعبروا دجلة ، فلما لم يقدر الفرس على منع المسلمين من العبور هربوا إلى مدينة حلوان ، فدخلها المسلمون ولم يجدوا بها أحدا ، وقد أخرج

يزدجرد أهل بيته إلى حلوان ، فلحق بهم[٥٧] وترك سعد القصر الأبيض، واتخذ الأيوان مصلى ، وسرع في آثار القوم زهرة في المقدمات .

اغتبط الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بما فتح الله على المسلمين في المدائن وعاد إلى مندرة فنهى على الزحف فأقام سعد في المدائن ، أما يزد جرد وجيشه المنهزم فإنه فر إلى الجبال ، وخضع الذين على الشاطئ لدجلة ، لأنهم وجدوا أن المقاومة لا تجدي نفعا ، وقد اجتمع الفرس على يزد جرد بحلوان على نحو مائة ميل من المدائن ومن هناك تقدم قسم في الجيش إلى جلولاء ، وهي حصن أحاطوه بخندق وأحاطوا الخندق بحسك الحديد (مسامير) إلا طرقهم ، فبلغ ذلك ، سعدا فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) فكتب إليه الخليفة أن سرح هاشم بن عتبه إلى جلولاء ، وإجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وإن هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل ، بعد قسمة الغنيمة في إثني عشر ألفا منهم وجوه المهاجرين الأنصار وأعلام العرب ممن كان ارتد ولم يرتد.

حاصر المسلمون الفرس فطاولهم الفرس ، وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وزاحفهم المسلمون بجولاء ثمانين زحفا فظفروا عليهم وغلبوهم على الحسك ، وجعل سعد يمد هاشما بالفرسان ، وأخيرا اقتتلوا فهزم أهل فارس ، وبعث الله عليهم ريحا أظلت عليهم البلاد ، ثم عادوا فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله إلا (ليلة الهرير) ، إلا أنه كان أعجل وانتهى القعقاع إلى باب الخندق واستولى عليه ، وحمل عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتل منهم يومئذ نحو (١٠٠,٠٠٠) ، فجللت القتلى الجبال وما بين يديه وما خلفه ، فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم ، فهي (جلولاء الوقيعة) ، ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الري في اتجاه قزوين .

وكان فتح جلولاء في ذي القعدة سنة ١٦هـ وبينها وبين المدائن تسعة أشهر ، وقدم القعقاع حلوان ، وقتل دهقانها ، وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بالفتح ، وبنزول القعقاع حلوان ، حصل على الغنائم ، وكان صلح الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) الذي صالح عليه أهل الذمة ، أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وأن سبوا مسلماً ، أن ينهكوا عقوبة ، وإن قاتلوا مسلماً أن يقتلوا وعلى عمر منعتهم وبرئ عمر إلى كل ذي عهد من معرة الجيش .

وهكذا فقد انتهت هذه المعارك بتحرير العراق من تسلط الفرس ، الساسانيين ، وإنسحب يزد جرد وقواته إلى داخل الهضبة الإيؤانية ويبدو أن الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) كان يرغب لو توقفت الحرب مع الفرس عند هذا الحد ، غير أن الفرس أصروا على مواصلة القتال مما اضطر المسلمين إلى خوض المعارك داخل الهضبة الإيرانية وبذلك تم فتح بلاد فارس والقضاء النهائي على الإمبراطورية الساسانية خلال خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، حيث أصبحت جميع أقاليم الإمبراطورية الساسانية جزءاً من أقاليم الدولة العربية الإسلامية [٥٨] وإن مما يجدر ذكره في هذا السياق ، أن مدينة الموصل وتكريت وبقية بلدان الجزيرة كانت واقعة في هذه الفترة تحت الحكم الرومي البيزنطي ، ومن ثم فقد كان من المفترض أن تقع مسؤولية تحريرها على عاتق جيوش تحرير الشام التي كانت تخوض قتالاً ضارياً ضد قوات الروم، غير أن انتصار قوات المسلمين في العراق في القادسية (المدائن) قد أدخل الرعب في نفوس البيزنطيين في الموصل والجزيرة وجعلهم يحركون قواتهم إلى تكريت استعدادا لمواجهة قوات العراق في موقع متقدم .

فلما بلغت هذه الأخبار إلى القائد سعد بن أبي وقاص كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، يخبره بأن (الأنطاق) قائد جند الروم البيزنطيين في الموصل

قد توجه بقواته إلى تكريت من الروم البيزنطي بقيادة عبد الله بن المعتم وأن يجعل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي (٥٩).

وقد تألف الجيش الذي قاده عبد الله بن المعتصم لمحاربة الروم في تكريت من خمسة آلاف مقاتل، واستغرق دخولهم من المدائن أربعة أيام ، ويقدم لنا الطبري وصفاً مفصلاً عن حصار قوات المسلمين لقوات الروم في تكريت الذي استغرق أربعين يوماً دارت خلاله أربع وعشرين مواجهة لم تنته بانتصار أحد الطرفين وأخيراً جاء دور العامل الذي حسم المعركة لصالح العرب المسلمين ، حين تحركت المشاعر القومية لدى أبناء القبائل العربية التي كانت متحالفة مع الروم ، فجاءوا إلى عبد الله بن المعتم يعرضون عليه الانسحاب من جيش الروم والانضمام إلى جيش المسلمين ، يقول الطبري ، أن عبد الله بن المعتم أرسل إلى العرب (ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم فهم لا يخفون عليه شيئاً ، ولما رأت الروم أنهم لا يخرجون خرجة إلا كانت عليهم ، ويهزمون في كل ما زاحفوهم ، تركوا أمراهم ، ونقلوا متاعهم إلى السفن ، وأقبلت العيون من تغلب وأياد والنمر إلى عبد ا لله بن المعتم بالخبر، وسألوه للعرب السلم ، وأخبروه أنهم قد استجابوا له ، فأرسل إليهم ، أن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وأقروا بما جاء به من عند الله ، ثم أعلمونا رأيكم فرجعوا إليهم بذلك فردوهم إليه بالإسلام ، فردهم إليهم ، وقال: إذا سمعتم تكبيرنا فأعلموا أنا قد نهدنا إلى الأبواب التي تسلينا لندخل عليهم منها فخذوا بالأبواب التي تلي دجلة ، وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ...)(٦٠).

وبذلك تمكنت قوات المسلمين من دحر الروم البيزنطي في تكريت وتحقيق النصر فيها على أعدائهم .

لقد فتح هذا النصر الطريق أمام المسلمين لتحرير الموصل من حكم الروم البيزنطي ، وكان هذا الهدف واضحاً ومرسوماً منذ البداية فقد عهد الخليفة

عمر بن الخطاب (ﷺ) إلى القائد سعد بن أبي وقاص (أن هم هزموا - أي الروم -أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأخطل العنزي إلى الحصنين)[٦١] .

إن خطة تحرير الموصل كانت تعتمد على عنصر المباغتة من أجل عدم إقامة الفرصة أمام الروم البيزنطي وحلفائهم من أجل الاستعداد للحرب وتنظيم المقاومة ، وبذلك يتسن للمسلمين تحقيق الانتصار من غير قتال أو تضحيات في الأرواح وقد أخذت الخطة موقف القبائل العربية المتعاونة مع المسلمين بعين الاعتبار ، إذ أراد أبناء هذه القبائل أن يلعبوا دوراً حاسماً في تمكين المسلمين من دخول الموصل من دون قتال لأنهم كانوا موضع ثقة الروم وأعوانهم في المدينة بحكم معرفتهم وولائهم واعتناقهم الإسلام .

وهكذا فقد دخلت رسل من تغلب وإياد والنمر إلى الموصل قبل وصول قوات المسلمين وأخذت تبشر الناس بانتصار الروم على المسلمين من باب الخدعة ، وبذلك فتحت أبواب المدينة ، وترك الروم الاستعداد للقتال حتى فاجأتهم قوات المسلمين بقيادة ربعي الأفكل العنزي ، وقد خلت المدينة من دون مقاومة تذكر ، وتم تحرير الموصل صلحاً لا عنوة ، يقول الطبري في وصف ذلك ، فنادى المسلمون الناس " بالإجابة إلى الصلح ، فأقام من استجاب ،وهرب من لم يستجب ، إلى أن أتاهم عبد الله بن المعتم فلما نزل عليهم عبد الله دعا من لج وذهب ، ووفى لمن أقام ، فتراجع الهراب ، وإغتبط المقيم ، وصارت لهم جميعاً الذمة والمتعة " [٦٢] .

إن ما تقدم يشير الى أنه تم تحرير تكريت والموصل سنة ١٦هـ من قبل قوات تحرير العراق من التسلط الفارسي في إطار عملية استثنائية قامت بها رداً على تحرك قوات الروم البيزنطيين ، ومن ثم فلم يكن من ضمن مهمات هذه القوات أن تتوسع في تحرير المناطق المحيطة بالموصل والجزيرة لأن ذلك

ضمن واجبات القوات التي كانت تحارب الروم البيزنطيين في جبهة الشام ، لذا فقد وصلتنا روايات تشير الى قيام قوات هذه الجبهة بإرسال قوات لتحرير منطقة الموصل والجزيرة بقيادة عياض بن غنم في سنة ١٨/هـ / أو ٢٠هـ /٦٣٩م أو ٦٤٠م ، فقد ذكر خليفة بن خياط أن عمر بن الخطاب (ﷺ) : "وجه عياضاً فافتتح الموصل وخلف عتبة بن فرقد على أحد الحصنين، وافتتح الأرض كلها عنوة غير الحصن ، فصالحه أهلها وذلك سنة ثمان عشرة[٦٣].

كما أورد البلاذري أن عمر بن الخطاب (ﷺ) " ولى عتبه بن فرقد الموصل سنة عشرين ، فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها ، وهو الشرقي ، عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الأخر على الجزية والإذن لمن أراد الجلاء في الجلاء ، ووجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية ثم فتح المرج وقرات وأرض باهذري وباعذري وحبتون والحيانة والمعلة وداسير وجميع معاقل الأكراد وأتى يانعاثا ففتحها، وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الحر بن الهمداني صاحب رابطة الموصل ففتح ذلك كله وغلب عليه ". [٦٤]

إن النصوص الآنفة الذكر تشير الى أن جند الشام الذي كان يقودهم عياض بن غنم قد قاموا بتحرير العديد من المناطق والقرى المحيطة بالموصل، وبذلك تكون قد استكملت ما بدأته قوات تحرير العراق التي أرسلت الى تكريت الموصل في عام ١٦هـ .

غير أن ما يلفت النظر أن هذه النصوص قد أشارت أيضاً الى مقاتلة جند عياض بن غنم أهل نينوى مما يوحي بأن بعض سكان المنطقة قد نقضوا العقد الذي أعطوه لعبد الله بن المعتم سنة ١٦هـ /٦٣٧م بعد أن انسحبت معظم قواته من المنطقة وعادت الى قاعدة عملياتها الرئيسية في الكوفة ، فاضطر عياض الى استعمال القوة من أجل بسط السلطة والنظام في المدينة ، وربما كان

ذلك أمراً طبيعياً في تلك المرحلة بسبب حداثة الحكم العربي للمدينة وعدم استيعاب بعض الناس للقيم الروحية والحضارية التي جاء بها الإسلام .

أما عامة سكان الموصل وغيرها من المناطق التي كان يقطنها العرب المسيحيون فيبدو أنها قد استقبلت الحكم العربي الإسلامي بارتياح شديد لانه أنقذهم من المظالم التي كانوا يتعرضون لها على أيدي الروم البيزنطيين بسبب اختلافهم في المذهب .

إن الروم البيزنطيين قد مارسوا شتى صور التعذيب والتنكيل ضد من يختلف معهم في المذهب من أبناء الطوائف المسيحية .

فقد أصدر هرقل منشوراً للعمل بموجبه في كافة أنحاء مملكتة جاء فيه : "كل من لا يقبل مجمع خلقونيه ، يقطع أنفه ، وأذنه وينهب بيته " .

واستمر هذا الاضطهاد مدة غير يسيرة فقبل العديد من الرهبان المجمع ، وظهر غش رهبان جماعة ماردن والمنبجين والمناطق الجنوبية والحصين ، وهكذا معظم المجمع / واغتصبوا الكنائس والاديره ، ولم يسمح هرقل لأحد من الأرثوذكس بزيارته ولم يقبل شكواهم بصدد اغتصاب كنائسهم .

❁ حروب التحرير على جبهة الشام

حين تولى عمر بن الخطاب (ﷺ) الخلافة كانت الجيوش الإسلامية في الشام قد سجلت أحد أبرز انتصاراتها على الروم في معركة أجنادين وراحت تستثمر آثار هذا الانتصار في محاولة القضاء على القوة البيزنطية في مختلف أنحاء بلاد الشام ، فذكر البلاذري أن قوات المسلمين استطاعت أن تهزم الروم في معركتين كبيرتين (في وقعة محل من الأردن ، ومرج الصفروهم متوجهون الى دمشق) [٦٥].

وبينما كانت قوات المسلمين تحاصر مدينة دمشق ، وقــد أوشــكت أن تدخلها صلحاً بعد أن أبدى سكانها رغبتهم في المصالحة ، وكانت القيــادة بيــد خالد بن الوليد وصلت رسالة من الخليفة عمر بن الخطاب الى ابي عبيــدة بــن الجراح الذي كان أحد قادة الجيوش التي تعمل تحت إمــرة خــالد بــن الوليــد هو أحد كبار صحابة رسول الله (صلى الله عليــه وســلم) يعلمــه فيــها انــه قد عينة قائداً عاماً على القوات المكلفة بتحرير بلاد الشام بدلاً مــن خــالد بــن الوليد[٦٦].

وقــد ذكر البلاذري أن أبا عبيدة بن الجراح حين تسلم رسالة عــــزل خالد بن الوليد عن إدارة الجيش كتمها واستمر يعمل تحت إمرة خالد بن الوليــد حتى انتهى من تحرير دمشق وعقد الصلح مع أهلها ، فلما سأله خالد عن ســبب ذلك وقال له : " ما دعاك – رحمك الله–الى ما فعلت ؟

قال: كرهت أن أكسرك وأوهن أمرك وأنت بإزاء عدو [٦٧] .

❁ معــركة الــيرمــوك

إن انتصارات المسلمين المتتالية في بلاد الشام قد فتحت الطريق أمامــها نحو الشمال ، حيث تقع حدود الإمبراطورية البيزنطية ومركز حكمــــها ، ممــا أدخل الخوف الى قلب الإمبراطورية البيزنطي وجعله يبادر الى حشــد جمــوع كثيرة من الروم وأهل الشام وأهل الجزيرة [٦٨] وأرمينية لمقاتلة جيوش المسلمين حتى قدرت بعض الروايات عددهم بمائتي ألف [٦٩].

ولقد حملت هذه الاستعدادات الكبيرة للروم المسلمين على تجميع قواتــهم من مختلف المناطق وحشدها في موضع يسهل الدفاع عنه في مواجهــة قــوات الروم وكان ذلك الموضع هو وادي اليرموك في الأردن على حافة الصحـــراء،

حيث يسهل على العرب تلقي الإمدادات والانسحاب عند الضرورة، وقد بلغت قوات المسلمين التي حشدت لهذه المعركة كما يذكر البلاذري أربعة وعشرين ألف مقاتل .

غير أن الطبري يذكر أن عددها قد بلغ ستة وأربعين ألف مقاتل ، وقد أشير الى أن المسلمين أفلحوا في اجتذاب العرب المتحالفين مع الروم للقتال الى جانبهم في هذه المعركة ، فقد ذكر البلاذري أن جبله بن الأيهم الغساني الذي كان على مقدمة جيش الروم في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم قد انحاز إلى الأنصار فقال: أنتم إخواننا وبنوا أبينا وأظهر الإسلام [٧٠] .

وهكذا فقد استطاع المسلمون أن يتقلبوا على مشكلة الفارق العددي بينهم وبين قوات الروم بسبب ارتفاع معنوياتهم ، وحسن استعدادهم للقتال واجتذابهم للعرب المتحالفين مع الروم للقتال الى جانبهم ، وبذلك تمكنوا من إلحاق هزيمة فادحة في قوات الروم البيزنطيين لقد حملت هزيمة الروم في معركة اليرموك التي وقعت في رجب من سنة ١٥هـ /٦٣٦م إمبراطور الروم على اليأس من استرجاع بلاد الشام مرة أخرى من أيدي المسلمين ، فقد ذكر البلاذري أنه (لما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وإيقاع المسلمين بجنده هرب من أنطاكية الى قسطنطينية ، فلما جاوز الدرب قال : عليك يا سورية السلام ، ونعم البلد هذا العدو) [٧١].

إن انتصار المسلمين الحاسم على الروم البيزنطيين في معركة اليرموك قد أفسح المجال أمام المسلمين للعودة الى جميع المدن التي انسحبوا منها بعد تحريرها واستكمال تحرير المدن الأخرى ، فلما سمع أبو عبيدة بن الجراح بأن أهل حمص وأهل الجزيرة قد أرسلوا إلى ملك الروم من أجل إرسال الجنود إلى الشام ووعدوه المعاونة ، ضم إليه أبو عبيده مسالحهم ، وعسكر بفناء حمص،

وأقبل خالد بن الوليد من مدينة قنسرين [٧٢] ، حتى انضم إليهم هو وأمراء المسلمين ، وكان رأي خالد بن الوليد أن يناجز الروم إلى مجيء المدد، ورأى غير التحصن ، فرفض أبو عبيدة رأي خالد وتحصن وخندق على حمص، وكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بخروج الروم عليه ، وكان الخليفة عمر قد اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين ، فكان بالكوفة (٤٠٠٠) فرس معدة للطوارئ ، فكتب إلى سعد : أن أندب الناس مع القعقاع بني عمرو ، وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص ، فإن أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم إليهم في الجهد والحق ، وكتب إليه أيضاً : أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند ، وليأت الرقة [٧٣] فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وسرح عبد الله بن عتيان إلى نصيبين ، وسرح الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتقوخ وسرح غياضاً ، فإن كان قتالاً فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم ، وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدين لأهل الشام، وممن انصرف أيام انصراف أهل العراق ممدين لأهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة – فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص ، وخرج عياض وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض، وتوجه كل أمير إلى الكوفة التي مر عليها فأتى سهيل الرقة ، وخرج الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من المدينة مغيثاً لأبي عبيدة الجراح يريد حمص حتى نزل الجابية ، ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا على أهل حمص خبر الجنود المسلمين تفرقوا إلى بلادهم وفارقوا الروم .

وإن مما له دلالة عميقة حول معاملة المسلمين لسكان البلاد المحررة وموقف هؤلاء السكان منهم ما أورده البلاذري من أنه (لما جمع هرقل للمسلمين الجموع ، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ، ردوا على أهل

حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج ، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفـــع عنكم ، فإن تم على أمركم فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولنفدعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، وكذلك فعــل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود) [٧٤].

وهكذا فقد عاد المسلمون الى حمص وغيرها مـــن مـدن الشـــام بعـد انتصارهم في اليرموك وسط حفاوة وترحيب الناس بهم لأنـــهم نظــروا إليـــهم بصفتهم محررين لا فاتحين ، وقد كان قادة جيوش التحرير الإسلامية حريصـون على تآلف قلوب الناس وتحقيق أهدافهم بأيسر الســبل وأقلــها تضحيــات فــي الأرواح.

❁ فتح بيت المقدس وهو (إيلياء)

سير أبو عبيدة بن الجراح إلى بيت المقدس سبعة جيوش ، وعلـــى كــل جيش قائد ضم إليه (٥٠٠٠) فارس ، وعقد لكل قائد راية، فكان جملة من ســيره (٣٥٠٠٠) فارس ، ومن هؤلاء القادة كل من : خالد بن الوليد ، يزيد بن ابــــي سفيان ، شرحبيل بن حسنة المرقال بن هاشم بــن عتبــه بــن أبــي وقـــاص ، المسيب بن نجية الغزاوي ، قيس بن هبيرة عروة بن مهلهل .

سار الأمراء السبعة في سبعة ايام ، في كل يوم أمير ، وذلك كله يرهب به العدو فكان كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه،فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بــن الوليد، فلما أشرف عليهم كبر وكبر أصحابـــه، فلما سمع أهـــل بيــن المقــدس ضجيج أصواتهم تزعزعت قلوبهم ، وصعــدوا أسوار بلدهم ، فلما نظروا إلـــى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع المسلمين ، فنزل خالد ومن معـــه مما يلي (باب أريماء) ، وأقبل في اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان ، وفي اليــوم

الثالث شرحبيل بن حسنة ، وأقبل في اليوم الرابع المرقال وأقبـــل فـــي اليـوم الخامس المسيب بن نجية ، وأقبل في اليوم السادس قيس بن هبيرة ، وأقبل فـــي اليوم السابع مِهلهل بن يزيد ، فنزل مما يلي طريق الرملة .

وأقام العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم أحد ولا ينظـــرون رسولاً يأتي إليهم ، ولا يكلمهم أحد من أهلها ، إلا أنهم قد حصنـــوا أســوارهم بالمنجنيق والطوارق والسيوف ، قال المسيب بن نجية : ما زلنا ببلد مـــن بــلاد الشام فرأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس ، ومـــا نزلنـــا بقــوم إلا وتعضعضوا لنا ، وداخلهم الهلع ، وأخذتهم الهيبة ، إلا أهل بيت المقدس نزلنـــا بأزائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا أحد ، ولا ينطقون ، إلا أن حارسهم شديد وعدتـــهم كاملة ، فلما كان اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل بن حســـنة : أيــها الأمير كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون ، أو بكم فلا ينطقــون أو عمـــي فــلا يبصرون، ازحفوا بنا إليهم ، فلما كان اليوم الخامس ، وقد صلى المسلمون صلاة الفجر ، كان أول من ركب من المسلمين من الأمراء لسؤال أهل بيت المقـــدس يزيد بن أبي سفيان ، فشهر سلاحه ، وجعل يدنو من سورهم ، وقد أخـــذ معــه ترجمان يبلغه ما يقولون ، فوقف بإزاء سورهم بحيث يســمعون خطابــه وهــم صامتون .

فقـــال لترجمانه : قل لهم : أمير العرب يقول لكم ، ماذا تقولــون فـــي إجابة الدعوة إلى الإسلام والحق ، وكلمة الإخلاص ، وهي كلمة لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله ، حتى يغفر لكم ربنا ما سلف من ذنوبكـــم ، وتحقنـــون بـــها دماءكم وإن أبيتم ولم تجيبوا ، فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هـــو أعظم عدة وأشد منكم ، وأن أبيتم هاتين الحالتين حـــل بكـــم البــوار ، وكـــان مصيركم النار ، فتقدم الترجمان إليهم وقال لهم : من المخاطب عنكـــم " فكلمـــه قس من القساوسة.

وقال : أنا المخاطب عنهم ماذا تريد ؟ فقال الترجمان : إن هذا الأمير يقول كذا وكذا ويدعكم إلى أحد هذه الخصال الثلاث ، إما الدخول في الإسلام أو الجزية ، وإما السيف ، فبلغ القس من وراء ما قال الترجمان فقالوا : لا نرجع عن دين العز والقبول، وإن قتلنا أهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك يزيد، فذهب إلى الأمراء وأخبرهم بجواب القوم ، قال لهم : ما انتظاركم بهم ؟

فقالوا : إن الأمير أبو عبيده ما أمرنا بالقتال ، ولا بحرب القوم ، بل بالنزول عليهم ، ولكن نكتب إلى أمين الأمة ، فإن أمرنا بالزحف زحفنا فكتب يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيده الجراح يعلمه بما كان جواب القوم، فما الذي تأمر به؟ فكتب إليهم أبو عبيدة يأمر بالزحف ، وأنه واصل في أثر الكتاب فلما وقف المسلمون على كتاب أبي عبيدة فرحوا واستبشروا ، وباتوا ينتظرون الصباح ، وكل أمير يريد أن يفتتح على يديه ، فيتمتع بالصلاة فيه ، والنظر إلى آثار الأنبياء ، فلما جاء الفجر ، أذن وصلى الجيش صلاة الفجر فقرأ يزيد (يا قوم آدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا [٧٥]) .

فيقال إن الأمراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة ، قرؤوا هذه الآية ، فلما فرغوا من الصلاة نادوا : النفير النفير يا خيل الله أركبي فأول من برز للقتال حمير ورجال اليمن ، وبرز المسلمون للمعركة كأنهم أسود ضارية ، ونظر إليهم أهل بيت المقدس وقد انشرحوا لقتالهم فنشطهم ورشقوا المسلمين بالنشاب ، فجعل المسلمين يتلقونها بدرعهم ، فلم تزل المعركة بينهم في الغد إلى الغروب يقاتلون قتالاً شديداً ولم يظهروا فزعاً ولا رعباً ولم يطمعوهم في بلدهم، فلما غربت الشمس ، رجع الناس ، واتخذوا في إصلاح شأنهم ، فلما فرغوا من ذلك ، وأصبح في اليوم التالي ، بادر المسلمون إلى ذكر الله ، وتقدمت رماة النبل، وأقبلوا يرمون ويذكرون الله، ولم يزل المسلمون على قتال عدة أيام ، فلما كان اليوم الحادي عشر ، أشرقت عليهم راية أبي عبيده الجراح

يحملها غلامه سالم ومن ورائها فرسان المسلمين ، وقد أحدقوا بأبي عبيدة وأخذوا يكبرون ، فأجابتهم القبائل ، ووقع الرعب في قلوب أهل بيت المقدس ، ثم جاء (البطرق) [٧٦] يرى الأمير القادم وصعد السور من الجهة التي فيها أبو عبيدة ، فناداهم رجل ممن كان يمشي بين يدي البطرق فقال : يا معشر المسلمين، كفوا عن القتال نستخبر بكم ونسألكم ، فأمسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربي فصيح: اعلموا أن صفة الرجل الذي يفتح بلدنا هذا وجميع الأرض عندنا ، فإن كان هو أميركم ، فلا نقاتلكم ، بل نسلم إليكم ، وإن لم يكن إياه فلا نسلم إليكم أبداً .

فلما سمع المسلمون أقبل نفر منهم إلى أبي عبيدة ، وحدثه بما سمعوه ، فخرج أبو عبيدة إليهم إلى أن حاذاهم ، فنظر البطرق إليه ، وقال : ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم ، فأقبلوا يقاتلون كما كانوا .

وعاد البطرق من غير أن يخاطب أبا عبيده لكلمة واحدة ، وشهد المسلمون عليهم القتال ، وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في الشتاء ، فظن الروم أن المسلمين لا يقدرون عليهم في ذلك الوقت ، ونشط عرب اليمن يرمون الروم بالنبل ويصبونهم ، فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه ، وستروا السور بالجحف (أي الدروع المصنوعة من الجلد) والجلود .

ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيت المقدس، أربعة أشهر كاملة، وما من يوم إلا ويقاتلهم قتالاً شديداً ، والمسلمون صابرون على الظروف الجوية السيئة ، فلما نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار قصدوا البطرق ، وشرحوا له حالهم، وإن ملكهم شغل عنهم بنفسه ، ولم يرسل إليهم المدد ، وطلبوا إليه أن يخاطب العرب، وينظر ما يريدون ، فصعد معهم على السور ، وأشرف على المكان الذي فيه القائد أبو عبيدة ، فنادى منهم رجل بلسان فصيح ، يا معشر

العرب ، إن عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها قد أقبل يخاطبكم ، فلينـدب منا أميركم ، فأخبروا أبا عبيدة بمقالهم ، فقال : والله إني لأجيبه حيث دعـاني ، ثم قام أبو عبيدة وجماعة من القادة المسلمين ومعه ترجمان ، فلما وقف بإزائـه ، قال لهم الترجمان : ما الذي تريدونه منا في هذه البلدة المقدسة، ومـن قصدهـا يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه فأخبره الترجمان بذلك ، فقال : قل لهم نعـم ، إنها بلدة شريفة، ومنها أسرى نبينا إلى السماء، ودنى من ربه كقاب قوسـين أو أدنى، وإنها مهـد الأنبياء، وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ، ولا نزال عليـها أو يملكنا الله إياها كما ملكنا غيرها ، قال البطرق: فما الذي تريدون منا ؟ قـال أبو عبيدة : خصلة من ثلاث أولها أن تقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فإن أجبتم إلى هذه الكلمة كان لكم ما لنا، وعليكم مـا علينا ، قال البطرق : أنها كلمة عظيمة ونحن قائلوها ، إلا أن نبيكم محمداً مـا تقول إنه رسول الله ، ثم قال : هذه خصلة لا نجيبكم إليها ، فما الخصلة الثانية ، فقال أبو عبيدة : تصالحوننا عن بلدكم أو تؤدون الجزية إلينا عـن يـد وأنتـم صاغرون ، كما أداها غيركم من أهل الشام ، قال البطرق : هذه الخصلة أعظـم علينا من الأولى ، وما كنا بالذي يدخل الذل والصغار أبداً ، فقال أبو عبيده : مـا نزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ، ثم قال البطرق: أننا نجد في كتبنا وما قرأنـا من علمنا ، أنه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق، وهـو رجل شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولسنا نرى صفته فيكم ، فلما سمع أبـو عبيده ذلك تبسم ضاحكا وقال : فتحنا البلد ورب الكعبة ، ثم أقبل عليه وقال له : إذا رأيت الرجل تعرفة ؟ قال: نعم ، وكيف لا أعرفه وصفته عندي وعدد سنينه وأيامه ؟ قال أبو عبيده هو والله خليفتنا ، وصاحب نبينا ، فقال البطرق: إن كـان الأمر كما ذكرت ، فقد علمت صدق قولنا ، فأحقن الدماء وأبعث إلى صـاحبك يأتي، فإذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته، فتحنا له البد من غيرهم ولا تكـد،

وأعطينا الجزية ، فقال أبو عبيدة : فإني أبعث إليه العرب ألا تدعون بغيكم أنجزكم بأننا قد صدقناكم في الكلام طلباً لحقن الدماء وأنتم تأبون للقتال ؟ قال أبو عبيده : نعم لأن ذلك أشهى إلينا من الحياة نرجو به العفو والغفران من ربنا، فأمر أبو عبيدة بالكشف عنهم ، وانصرف البطرق ، وكتب أبو عبيده إلى الخليفة عمر بن الخطاب(رضي) كتاباً قال له فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، من عامله أبي عبيدة عامر بن الجراح ،أما بعد : السلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على نبيه محمد (ﷺ) وأعلم يا أمير المؤمنين إنا منازلون لأهل مدينة إيلياء ، نقاتلهم أربعة أشهر ، كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا ، ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والأمطار ، إلا أنهم صابرون على ذلك، ويرجون الله ربهم ، فلما كان اليوم الذي كتبت إليك الكتاب فيه ، أشرف علينا بطرقهم الذي يعظمونه ، وقال: إنهم يجدون في كتبهم ، إنه لا يفتح بلدهم إلا صاحب نبينا واسمه عمر ، وأنه يعرف صفته ، ونعته، وهو عندهم في كتبهم وقد سألنا حقن الدماء ، فسر إلينا بنفسك وأنجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة علينا على يديك " ثم إنه طوى الكتاب وفتحه ، وأعطاه لميسرة بن مسروق العبسي ليوصله إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فلما تسلم الخليفة الكتاب استشار أصحابه ، فكان رأي عثمان بن عفان استمرار القتال وعدم ذهاب عمر .

وأشار عليه علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) بالذهاب ، فأخذ مشورة علي وأمر الناس بأخذ الأهبة للمسير معه والاستعداد ، وأتى عمر المسجد فصلى فيه أربع ركعات ثم قام إلى رسول الله (ﷺ) فسلم عليه وعلى أبي بكر (رضي الله عنه) واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب (ﷺ) ، وخرج من المدينة وخرج معه جماعة من الصحابة ، وسار نحو بين المقدس ، فكان إذا نزل منزلاً لا يبرح منه حتى

يصلي الصبح ، فإذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين وقال : " الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام ، وهدانا من الغلالة ، وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكن لنا في بلاده ، وجعلنا إخواناً متحابين ، فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابقة ، والمنن الظاهرة ، فإن الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ، ويتم نعمته على الشاكرين " .

ولما علم أبو عبيده بن الجراح بمجيء الخليفة عمر بن الخطاب ، سار في أناس من المهاجرين والأنصار ، وأقبل المسلمون يسلمون على الخليفة ، ثم ركبا جميعاً وجعلا يسيران أمام الناس وهما يتحادثان ، ولم يزالا كذلك حتى نزلا بيت المقدس ، فلما نزلا صلى الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) بالمسلمين صلاة الفجر ، ثم خطب فيهم فقال :

" الحمد لله الحميد المجيد، القوي الشديد الفعال لما يريد ، أن الله تعالى قد أكرمنا بالإسلام ، وهدانا بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأزاح عنا الغلالة ، وجمعنا بعد الفرقة ، وألف بين قلوبنا من بعد البغضاء ، فاحمدوه على هذه النعمة .

تستوجبوا منه المزيد ، قال الله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد [٧٧] ﴾ ثم قرأ : ﴿ ومن يهد الله فهو المهتدون يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً [٧٨] ﴾ أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، الذي يبقى ويضنى كل شيء سواه ، الذي بطاعته ينفع أولياءه ، وبمعصيته يفني أعداءه أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم وأنفسكم ، لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكوراً، أفهموا ما توعظون به فإن الكيس من أحرز دينه وأن السعيد من اتعظ بغيره ، إلا أن حشى الأمور مبتدعاتها وعليكم بالسنة ، سنة

نبيكم (ﷺ) فألزموها ، فإن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة ، والزموا القرآن فإن فيه الشفاء والثواب ، أيها الناس إنه قد قام فينا رسول الله (ﷺ) كقيامي فيكم وقال : " إلزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر الكذب ، حتى يشهد من لم يشهد ، ويحلف من لم يحلف " ، فمن أراد الجنة فليلزم الجماعة ، وتعوذوا من الشيطان ، ولا يخلونن أحد منكم بامرأة فإنهم حبائل الشيطان ، ومن سرعة حسنته ، وساءته سيئته فهو مؤمن والصلاة الصلاة)).

علت للمسلمين ضجة عظيمة سمعها أهل بيت المقدس، فسألهم البطرق أن ينظروا ما شأنهم ، فقيل لهم أن أمير المؤمنين قد قدم ، فلما كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر ، قال لأبي عبيدة : يا عامر ، تقدم إلى القوم ، وأعلمهم أني قد أتيت ، فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال : يا أهل هذه البلدة إني قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال: يا أهل هذه البلدة ، إن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون فيما قلتم ؟ فخرج البطرق من كنيسته في معجل رهيب ، وصعد إلى السور ، وأشرف على أبي عبيدة ، فقال له أبو عبيدة : هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى، فطلب إليه أن يراه ، فهم عمر بالقيام فقال له أصحابه : يا أمير المؤمنين ، أتخرج إليه منفردا وليس عليك آله حرب غير هذه المرقعة ! وأنا نخشى عليك منهم غدرا أو مكرا فينالون منك ! فقال عمر(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[٧٩]

وعندما قدم إلى السور برفقة أبي عبيدة الجراح ، ووقف بإزائه ، فلما نظر إليه البطرق عرفه وقال لأهل بيت المقدس : اعقدوا معه الأمان والذمة ، هذا والله صاحب محمد بن عبد الله ، ففتحوا الباب ، وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة ، فلما نظر إليهم عمر تلك الحالة تواضع إلى الله وخر ساجدا ، ثم نزل إليهم وقال : ارجعوا إلى بلادكم ، ولكم الذمة والعهد إذا سألتمونا

وأقررتم الجزية فرجع القوم إلى بلدهم ، ولم يغلقوا الأبواب ، ورجع عمر إلى عسكره فبات ليلة .

فلما كان الغد ، قام الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) فدخل بيت المقدس ، وكان دخوله يوم الاثنين وأقام بها يوم الجمعة ، ، وخط بها محراباً من جهة الشرق ، وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة ، ولم يلمس المسلمون شيئاً من متاعهم وأموالهم وأقام الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عشرة أيام ، وارتحل بعد أن كتب لأهله عهداً وجاء في هذا العهد :

" بسم اله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقض منها ، ولا من خيرها ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن معهم بإيلياء أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى ببيعهم وصلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء ، فلا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله ، وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية ، شهد ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر خمسة عشر للهجرة " .

إن العهد الذي أقره عمر على أهل الشام ، كان في غاية الاعتدال ، فلا قسوة ولا ظلم ولا اضطهاد ، ولا تعصب للدين ، فقد أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، ومنع هدم الكنائس واتخاذها سكناً ومنحهم حرية الإقامة

والهجرة ، وكان بيت المقدس محترماً في نظر المسلمين ، لأنه كان قبلة الإسلام الأولى ولأن رسول الله (ﷺ) قد أسرى به إلى المسجد الأقصى ، ومنه عرج إلى السموات ، ولم تطل إقامة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالقدس ، بل عاد إلى المدينة بعد فراغه من الصلح (٨٠) .

❁ فتح مدينة حلب سنة (١٦هـ - ٦٣٨ م)

حلب واسمها القديم خالبيون ، ثم بيريا ، وهي مدينة عظيمة واسعة ، كثيرة الخيرات ، وهي قصبة جند قنسرين .

لما فرغ أبو عبيده من القنسرين سار إلى حلب ، فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا ، فأرسل إليها جماعة ، وسار حتى وصل إلى ظاهر حلب ، وهو قريب منها ، فجمع أصنافا من العرب ، وصالحهم على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك وأتى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهري ، وتحصن أهلها ، وحصرهم المسلمون ، فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم، وكنائسهم وحصنهم ، وقيل أن أبا عبيده لم يصادف بحلب أحدا لأن أهلها انتقلوا إلى أنطاكية وأرسلوا في الصلح ، ولما تم رجعوا إليها ، وفي فتوح الشام للواقدي أن أهل حلب قالوا لأبي عبيده : نعطي نصف ما أعطى أهل قنسرين ، فقال أبو عبيدة : قد قبلت منكم ذلك .

أما قلعتها فقد حاصرها المسلمون أربعة أشهر ، وقيل خمسة ، وقتل بطريقها جماعة من المسلمين ، وكتب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبو عبيدة يسأله عن سبب إبطاء الخبر عليه ، فكتب أبو عبيده جواب الكتاب فقال :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى أبي عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من عامله بالشام أبي عبيدة ، سلام عليك ، وإني أحمد الله تعالى وأصلي

على نبيه وقد فتح الله علينا حلب صلحاً ، وقد عصت علينا قلعتها ، وبها خلق كثير مع بطريقها ، وقد كادنا مراراً وأنه قتل منا رجالاً ورزقهم الله الشهادة على يديه ، والله تعالى من ورائه بالمرصاد ، وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر ، وأردت الرحيل عنه وعن محاصرته إلى البلاد التي بين حلب وأنطاكية وانا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين " .

وبعث الكتاب مع عبد الله بن فرط ، وجعدة بني جبير ، فوصلا المدينة ، ودخلا المسجد على الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ، ودفعا له كتاباً هذا نصه :

" أما بعد فقد ورد علي كتابك مع رسلك ، فسر لي ما سمعت من الفتح والنصر على أعدائكم ، ومن قتل من الشهداء ، وأما ما ذكرته من انصرافك إلى البلاد التي بين حلب وأنطاكية ، وتترك القلعة ومن فيها ، فهذا رأي غير صواب، نترك رجلاً قد دنوت من دياره ، وملكت مدينته ، ثم ترحل فيبلغ ذلك إلى جميع النواحي أنك لم تقدر عليه ولم تصل إليه فيضعف ذكرك ، ويعلو ذكره، ويطمع من يطمع ، ويجترئ عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم ، وترجع إليه الجواسيس وتكاتب ملوكها في أمرك ، فإياك أن تبرح عن مجاهرته حتى يقتله الله أو يسلم إليك إن شاء الله تعالى أو يحكم الله ، وهو خير الحاكمين، وابعث الخيل في السهل والوعر ، والضيق والسعة ، وأكناف الجبال والأودية ، وشن الغارات في حدود الغارات، ومن صالحكم منها فأقبل صلحه ، ومن سالحك فاسلحه ، والله خليفتي عليك وعلى المسلمين ، وقد أنفذ كتابي هذا مع عصبة من حضر موت وغيرهم ، وأهل مشايخ اليمن ممن وهبه نفسه لله تعالى ورغب في الجهاد في سبيل الله ، وهم عرب وموال فرسان ورجال ، والمدد يأتيك متواتراً إن شاء الله تعالى والسلام " .

وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط ، ثم وصل المدد إلى أبـــي عبيـــده وكان معهم مولى من موالي بني طريف ، من ملوك كندة يقال له دامس ، فكـــر واحتال فتوصل أخيراً إلى تسلقه مع رجال من المسلمين ، ثم فتـــح بـــابين مـــن أبواب الحصن ، بعد أن قتل حراسهما ، وعند ذلك دخل المســـلمون ، وقـــاتلوا الروم قتالاً شديداً ، ودخل خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف ، ودخـــل ضـــرار وأمثاله ، فلما رأى الروم ذلك وعلموا أنهم لا طاقة لهم بما وقع لهم ألقوا الســـلاح ونادوا الغوث، الغوث ! وكفوا أنفسهم عن القتال ، فكفت المسلمين أيديهم عنـــهم فبينما هم كذلك إذا أقبل أبو عبيده ومعه عساكر الإسلام ، فـــأخبروه أن الـــروم يطلبون الأمان ، وأن المسلمين قد رفعوا عنهم القتال ، إلى أن تأتي وترى فيـــهم رأيك ، فعرض عليهم الإسلام ، فأسلم جماعة من ساداتهم ، فرد عليهم أموالـــهم وأهاليهم وعفـــا عنهم من القتل والأسر وأخذ عليهم العهود ألا يكونوا إلا مثـــل أهل الصلح والجزية ، وأخرجهم من القلعة .

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن قدوم الخليفة عمر بن الخطـــاب (ﷺ) إلى بلاد الشام كان في سنة ١٧هـــ/ ٦٣٨م وأنه قد نزل في الجابية إحدى عمـــل دمشق حيث اجتمع بقيادة المسلمين فيها، وتدارس معهم أوضـــاع بـــلاد الشـــام ومشكلاتها ووضع المعالجات اللازمة لها ، وقد تم الاتفاق في هذا الاجتماع على بعض الخطط المستقبلية وبخاصة ما يتصل بحروب التحرير والفتوحات [٨١].

❀ فـــتـــح مـــصـــر

بعد أن استقرت الأوضاع في بلاد الشام والجزيرة العربية بصورة تامـــة توجه عمرو بن العاص في حدود سنة ٢٠ هـــ / ٦٤١م الى مصر لتحريرها من التسلط البيزنطي على رأس جيش مؤلف من ثلاثة آلاف وخمسمائة مقـاتل ، وأن هذا الجيش كان بمثابة قوة استطلاع هو منها التعرف على مدى استعداد الـــروم

لمقاومة المسلمين على أن تأتيها بعد ذلك الإمدادات الضرورية لمساعدتها على تحقيق هدفها ، دخل عمرو بن العاص مصر بناء على قرار وتوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب نفسه وقد جاء هذا القرار بعد المداولات التي تمت بين الخليفة وعمرو بن العاص في الشام حينما اجتمع به الخليفة في الجابية [٨٢] ، فقد ذكر الطبري أن ابن إسحاق قال : " أن عمر رضي الله عنه حين فرغ من الشام كلها كتب الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر في جنده فخرج حتى فتح باب اليون في سنة عشرين " [٨٣]

وقد أكد ابن خياط نفس الرواية عن طريق غير طريق ابن إسحق فذكر أن عمر كتب الى عمرو بن العاص أن سر الى مصر فسار ، وبعث عمر الزبير بن العوام مدداً .. " . [٨٤]

وتتفاوت المصادر التاريخية في التفصيلات التي تقدمها عن الكيفية التي تم فيها تحرير مصر ، فقد ذكر البلاذري أن عمرو بن العاص سار من فلسطين الى مصر عن طريق الساحل البحري باتجاه العريش حيث توجه منها الى (القرما) ، وهي مدينة في موقع مشرف حصين على مرتفع يبعد ميلاً ونصف الميل عن البحر المتوسط وكان اسمها القديم بلور (بيلوسيوم) .

وكان في مدينة القرما قوم مستعدون للقتال فحاربهم عمر بن العاص وهزمهم وسيطر على معسكرهم .

❁ معركة عين شمس

كانت مدينة عين شمس من أشهر مدن مصر ، بيد أنه لم تكن لها أهمية حربية عند الفتح الإسلامي ، غير أنها كانت صالحة للقتال، فالمياه واصلة

إليها ، ومن السهل تموين الجيش فيها ، وكانت ممتدة إلى المطرية ، ولذلك اهتم بها عمرو بن العاص .

بلغ عدد جيوش المسلمين في موقعه عين الشمس (١٥٠٠٠) مقاتل ، أما الروم فقد جمع القائد (تيودور) جنوده لطرد المسلمين من عين شمس، وقد بلغ عددهم (٢٠,٠٠٠) عدا جند الحصون ، وعلى ذلك كانوا يفوقون عدد جنود المسلمين بكثرة عددهم ، وكان عمرو بن العاص يقصد بنزوله عين شمس محاربة الروم في العراء بعيداً عن الحصون ، ولما أيقن تيودور بأنه أصبح قادراً على الهجوم ، سار نحو عين شمس ومعه الفرسان والمشاة ، وكان على الفرسان (تيودسيوس) و (أنا ستاسيوس) و بث عمرو العيون فأخبروه بخطة العدو ومسيره ، فقسم جيشه إلى ثلاثة أقسام ، قسم عسكر بعين شمس تحت قيادته ، وقسم بأم دنين (جهة الأزبكية) وقسم بالتلال الواقعة جهة القلعة الآن ، تحت قيادة خارجة بن حذاقة ، وبذلك انحصر الجيش الروماني بين قوتين من جيش العرب ، وذلك للإطباق عليه عند صدور الأوامر ، وهذه الخطة لم يكن يعلمها الجيش الروماني ، وغاية ما عرفوه أن جيش المسلمين زاحف من عين شمس وأم دنين ، فاقتتلا قتلا شديدا منهما أن نتيجة هذه المعركة تقرر مصير مصر .

وبينما كانت رحتى القتال دائرة بشدة هجمت الفرقة التي تحت قيادة خارجة جهة التلال ، وانقضت كالصاعقة على الجيش الروماني الذي وقع بين القوتين ، فاختل نظامه واضطرب ، واتجه نحو أم دنين ، فالتقى بجيش العرب هناك فالتجأ بعضهم إلى الحصن بطريق البر وفر البعض الآخر بقوارب إلى حصن بابليون ، لكن أكثرهم قتل واستولى المسلمون على أم دنين مرة أخرى ، وقتلت حاميتها عن آخرها عدا (٣٠٠) نجوا وتمكنوا من دخول حصن بابليون ، وأغلقوا الأبواب عليهم ، ولكنهم لما سمعوا بما آل إليه أمر جيشهم من القتال فروا من

الحصن في القوارب ، حتى وصلوا نقيوس ، ثم استولى المسلمون على ضفاف النهر شمالي الحصن وجنوبه ، ونقلوا معسكرهم من عين شمس إلى الفسطاط يقول البلاذري: (مضى قدماً إلى الفسطاط فنزل جنان الريان وقد خندق أهل الفسطاط ، وكان اسم المدينة اليونة فسماها المسلمون فسطاطاً لأنهم قالوا: هذا فسطاط القوم ومجمعهم [٨٥]) .

ولما شاع خبر انتصار المسلمين ، أخلى الجيش الروماني الفيوم ليلاً ، وساروا إلى أيواط ، ومن هناك فروا إلى كريون بالقوارب من غير أن يخبروا أهل أيواط بأنهم خلوا الفيوم للمسلمين ، ولما علم عمرو بذلك أرسل جيشاً فعبروا النيل واحتل الفيوم وأيواط .

وكانت موقعة عين شمس في شهر تموز سنة ٦٤٠ م ، واستمرت حتى فتح الفيوم خمسة عشر يوماً .

❋ فتح حصن بابليون

كتب القائد عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بالفتح ، ويطلب منه المدد ، والحقيقة أن عمرو سار إلى مصر ، كان يعلم أن جيشه لم يكن كافياً لفتحها ، وأنه إذا طلب المدد من الخليفة أورده ، وعلى ذلك أمده بأربعة آلاف وصار يمده حتى بلغ عدد جيشه (١٢,٠٠٠) .

وكان قائد حامية حصن بابليون رجلاً يسمى الأعرج ، وأجمع مؤرخو العرب أن المقوقس كان بالحصن وقت الحصار ، بدأ عمرو يحاصر حصن بابليون أو قصر الشمع [٨٦] في أيلول سنة ٦٤٠م، وهو أقوى حصن بعد الإسكندرية ، بناه الفرس وقت استيلائهم على مصر ، وكان أمام مدينة منف التي كانت مقراً للمقوقس على شاطئ النيل .

لم يكن المسلمون مجهزين بالمعدات اللازمة لمهاجمة هذا الحصن المنيع، فأمده الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بأربعة آلاف رجل ، وكتب إليه " أني قد وجهت لك جماعة من فرسان العرب ، فيهم كل واحد منهم مقوم بمائة فارس ، فإذا أتاك كتابي هذا فأخطب الناس ، وحصنهم على القتال ، ورغبهم في الصبر ، وأبرز للقتال عند زوال الشمس من يوم الجمعة فإنها ساعة إجابة " .

وعلى رأس كل ألف من الأربعة آلاف الذين أرسلهم عمر رجل ، وهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد، وقال له عمر : " أعلم أنه صار معك إثنا عشر ألفا ولا تغلب الإثنا عشر ألفا من قلة " .

وهنا نلاحظ اختلاف المؤرخين ، فبعضهم يقول : إن فتح حصن بابليون كان قبل موقعة عين شمس ، وبعضهم يذكرها بعده ، كذلك هم مختلفون في تاريخ وصول المدد الذي كان فيه الزبير ، وهل وصل إلى حصن شمس كانت قبل حصار بابليون ، وأن المدد الذي أرسله الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) مع الأربعة الذين يقول عنهم إن الرجل منهم مقوم بمائة وصل إلى حصن بابليون . فلما أتى كتاب الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) إلى عمرو بن العاص ، جمع المؤمنون وقرأ عليهم كتاب الخليفة ، فبرزوا للقتال ،وتسلق الزبير الحصن بواسطة سلم على حين غفلة من الروم ، فلم يشعروا إلا وقد دهمهم المسلمون ، فأخذوا بالفرار ، وعمد الزبير واصحابه إلى باب الحصن ، ففتحوا الحصن، وقد حدثت مفاوضات للعلم قبل فتح الحصن ، ولكنها لم تنجح ، حيث رفض القائد المقوقس وجنده التسليم رفضا باتا ، أمروا بقطع الجسر الذي بين الروضة والحصن ، وكان من سفن متلاصقة بجانب بعضها ، واستمر المسلمون يحاصرون الحصن سبعة أشهر حتى فتحوه ، ويقال : إن الذين استشهدوا من المسلمين دفنوا في أصل الحصن ، ثم اضطر المقوقس وجند الروم أن يوافقوا

على شروط الصلح ، ورضوا بالجزية ، ثم رحل المقوقس إلى الإسكندرية تاركاً بابليون ، وأرسل إلى الإمبراطور بما تم آسفاً على اضطراره إلى عقد الصلح مع العرب ، وألتمس منه الموافقة على الصلح ، حتى يقي البلاد من شرور الحروب، فأرسل إليه هرقل يوبخه على ما كان منه ، وقال في كتابه : (إنما أتاك من العرب إثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب وأختارهم علينا ، فإن عندك بمصر من الروم وبالإسكندرية ، ومن معك أكثر من مائة ألف ، معهم العدة والقوة ، والعرب حالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ، ورضيت أن تكون ومن معك من الروم في حال القبط أن لا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم ، حتى تموت أو تظفر عليهم .. ألخ) .

فلما ورد كتاب الإمبراطور هرقل إلى المقوقس ، لم يرض أن يخرج مما دخل فيه من الصلح ، وقال لعمرو: أنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني، وقد تم الصلح فيما بيننا وأنا متم لك على نفسي، والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه ، ثم طلب من عمرو بعض أمور، منها : أنه إن مات يأمر بدفنه في كنيسة أبي خنش بالإسكندرية ، فأجابه عمرو إلى ما طلب .

لما تم الصلح أرسل عمرو بن العاص إلى الخليفة عمرو بن الخطاب (ﷺ) يعلمه بالفتح ، فأجابه داعياً له وسأله أن يصف له مصر فكتب إليه :

ورد إلي كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألني عن مصر ، أعلم يا أمير المؤمنين ، أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر وعرضها شهر ، يكتنفها جبل أغبر ، ورمل أعفر ، يخط وسطها نهر مبارك الغدوات ، ميمون الروحان ، تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر، وله أوان بدر صلابة ويكثر عجاجه وتعظم أمواجه فتفيض على الجانبين فلا

يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب ، وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن المغائل أو ورق الأصائل ، فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبه ، كأول ما بدأ في جريته ، وطمى في درته ، فعند ذلك تخرج ملة محضورة ، وذمة مخفورة ، يحرثون بطون الأرض ويبذرون بها الحب ، يرجون بذلك النماء من الرب لقيهم ما سعوا من كدهم فناله عنهم تعبير جهدهم ، فإذا أصدق الزرع وأشرق سقاه الندى وغذاه من تحت الثرى ، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء إذ هي عنبرة سوداء ، فإذا هي زمردة خضراء فإذا هي ديباجة زرقاء فتبارك الله الخالق لما يشاء ، والذي يصلح هذه البلاد ويقر قاطنها فيها أن لا يقبل قول قسيسها في رئيسها ، ولا يستأوى خراج ثمرة إلا في أوانها وأن يصرف ثلث ارتفاعها في عمل جسورها وترعها ، فإذا تقرر الحال مع العمال هذه الأحوال تضاعف ارتفاع المال ، والله الموفق إلى حسن المآل .

وقد ذكر الطبري بشأن شروط الصلح : " لما ترك عمرو على القوم بعين شمس وكان الملك بين القبط والنوب ، ونزل معه الزبير عليها ، قال أهل مصر لملكهم : ما تريد إلى قوم قاتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم ؟ صالح القوم اعتقد منهم ، ولا تعرض لهم ، ولا تعرضنا لهم ، وذلك في اليوم الرابع ، فأبى وناهدوهم فقاتلوهم ، وارتقى الزبير سورها ، فلما أحسوا فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عنوة ، حتى خرج على عمرو من الباب معهم واعتقدوا بعدما أشرفوا على الهلكة ، فأجروا ما أخذوا عنوة فجرى ما صالح عليه فصاروا ذمة " .

أورد الطبري هذه المقدمة قبل إيراد شروط الصلح رواية عن سيف ، وإنا قبل أن تذكر الشروط نلاحظ أن هذه المقدمة مضطربة ، فإن عين شمس لم يكن بها حصن ، ولم يرتق الزبير سورها ، إنما تسلق الزبير حصن بابليون كما تقدم ، وهذا نص العقد :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمـــان علـــى أنفســـهم وملتهم وأموالهم ، وكنائسهم وصلبهم ، وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شـــيء من ذلك ولا ينتقص ، ولا يساكنهم النوب ، وإنتهت زيادة نهدم خمســين ألــف ألف عليهم ما جنى لصوتهم ، فإن أبى أحدهم أن يجيب رفع عنهم من الجــزاء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبي بريئة ، وإن نقص نهرهم من غايته إذا إنتهى رفـــع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل مـــا لـــهم ، وعليه قبل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنـــه ، أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم ،أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليـــهم ، على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رســوله وذمـــة الخليفـــة أمـــير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكـــذا وكـــذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ، على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صـــــادرة ولا واردة ، شهد الزبير وعبد الله ومحمد أبناءه وكتب وردان وحضر " .

❁ فـــتح الإسكـــندريـــة

فرغ المسلمون من حصار بابليون في أذار سنة ٦٤١هـــ بعد أن اســـتمر سبعة أشهر فبعد أن فتح عمرو بن العاص الحصن أجمع علـــى المســير إلـــى الإسكندرية وأمر بفسطاطه أن يقوض .

ولا شك أن عمرو قصد من زحفه علـــى الإســكندرية أن يســير إلـــى نقيوس، وهي مدينة كان لها أهمية عظيمة لمناعتها من الوجهة الحربية ، وهـــي على فرع رشيد ، ولها شهرة تاريخية قديمة في زمن الفراعنة , وقد أراد عمـــرو

بالمسير من جهة الفرع الغربي للنيل أو الصحراء أن لا يكون في طريق فرسانه أي عائق يمنعهم عن التقدم أو الارتداد ، لأن الفرع الشرقي متشبك بالترع في الدلتا.

وقد أسند القائد الروماني (تيودور) قيادة القوة التي كانت بنقيوس إلى دومنتيا قوى الذي كان لديه أسطول كبير من القوارب أعدها للدفاع عن البلد فلما اقترب المسلمون فر هذا القائد بقارب إلى الإسكندرية من شدة الخوف .

فلما رأت الحامية خيانة القائد ألقى الجند السلاح ، واندفعوا إلى القناة بحالة فزع شديد لعبورها والوصول إلى القوارب ، وكان كل جندي في ذلك الوقت لا يفكر إلا في النجاة بنفسه ، والهرب إلى بلده ، وفي هذه الأثناء وافاهم المسلمون ، وغرزوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم ، ودخل المسلمون البلد بلا مقاومة .

وعندما جمع عمرو بن العاص قواته وتوجه إلى تحرير الإسكندرية آخر معاقل الروم في مصر ، وفي الطريق قابلته قوات الروم وحلفاؤهم من القبط عند منطقة تدعى الكريون ، وهي آخر سلسلة الحصون بين بابليون والإسكندرية، فاشتبك معهم في معركة عنيفة تمكنت فيها من إلحاق الهزيمة بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقد أدت هذه الهزيمة إلى تحطيم معنويات الروم وانسحابهم إلى الإسكندرية للتحصن بها ، غير أن جيش المسلمين واصل تقدمه نحو الإسكندرية وفرض حصارا شديدا عليها استمر ثلاثة أشهر حتى أرغم القوات المدافعة عن المدينة على الاستسلام وقبول شروط الصلح التي عرضها عليهم عمرو بن العاص ، وبذلك أصبحت جميع مصر ضمن أقاليم الدولة العربية الإسلامية ، وكان ذلك في حدود سنة ٢١هـ / ٦٤٢م [٧٨] .

بعد أن حققت قوات المسلمين أهدافها في مصر واستقرت الأوضاع لها فيها توجهت غربا باتجاه برقة وطرابلس ، فتم لها تحريرها من الروم البيزنطي وعقد الصلح مع أهلها وذلك بحدود سنة ٢٢هـ/ ٦٤٣م. وبذلك تم ترسيخ الوجود العربي الإسلامي في إفريقيا حيث ستواصل بعد ذلك حملات الفتح والتحرير .

وهكذا نلاحظ أن سياسة التحرير والفتح التي انطلقت قبل عشر سنوات أثر حروب الردة التي كانت تهدد وحدة الدولة العربية الإسلامية الناشئة ووجودها بالخطر ، قد حققت نجاحا باهرا ، تجاوز كثيرا ما كان يحلم به الخليفة أبو بكر الصديق (ﷺ) حينما أذن ببدء هذه السياسة، استطاعت الجيوش الإسلامية أن تهزم أكبر إمبراطورتين في العالم وتمد سلطانها إلى العراق والشام ومصر وليبيا ، حين تمكنت من خلال ذلك من توحيد أبناء القبائل العربية ضمن إطار الأمة الواحدة ، وتأمين المجال الحيوي للدولة العربية الإسلامية الناشئة أن تنمو وتتطور على أرضية ملائمة اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا .

إن العامل الإيجابي المحرك للأحداث الذي وحد أبناء القبائل العربية المتفرقة ، وأوجد لديهم الحافز المعنوي على الجهاد والاندفاع في حروب التحرير هو الإسلام فالقوة الدافعة في الدين الجديد وقوة الشعب العربي وتحفزه واجتماع كلمته كانت سر تفوقه [٨٨].

(٣) الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

كان عمر الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) حين بويع بالخلافة في محرم من سنة ٢٤هـ / ٦٤٤م ، بحدود السبعين عاماً . [٨٩]

وقد شرع الخليفة عثمان بن عفان بمباشرة سياسة الدولة مع إعلانه للمبادئ التي سيسير عليها ، وكانت السياسة الخارجية المتصلة بحروب التحرير والفتوحات على رأس اهتماماته لأن سلفيه ابا بكر وعمر كانا قد قطعا شوطاً طويلاً في هذا المجال ، ومن ثم فقد تعين عليه مواصلة الطريق حتى نهايته ، وكان أبرز ما تحقق في عهده في ميادين التحرير والفتح ما يأتي :-

❁ الفتوحات في جبهة المشرق

تولى الخليفة عثمان (ﷺ) الخلافة في سنة ٢٤هـ /٦٤٤م ، حيث كان الوضع العربي عموماً آنذاك يتميز بالوحدة التامة فقد كان التوحيد والتجانس هي سمة مميزة للمجتمع العربي وكانت المعنويات العربية عالية جداً لا حدود لها كما كانت السيادة والعنفوان والشموخ العربي هما الطابعان المميزان للخلافة والقادة العرب ، حيث كان الحماس يثير في النفوس الهمم والعزائم من أجل تخفيف الرسالة العربية التي تشرف العرب بحملها للإنسانية جمعاء ، والتي كانت تهدف آنذاك الى تحرير الشعوب غير العربية الرزاحة تحت نير الوثنية والشرك والظلم والاستعباد . [٩٠]

❁ استكمال فتح بلاد فارس

أما الموقف السياسي للإمبراطورية الساسانية فقد كان يتميز بالانكسار النفسي والمعنوي منذ أن حسمت معركة القادسية الموقف العسكري والسياسي لصالح

المسلمين ، حيث أعطت هذه المعركة مؤشرات واضحة لانهيار الإمبراطورية الساسانية سوى الاسم والرمز المتمثل بالإمبراطور الفارسي المهزوم يزد جرد الثالث الذي هرب مولياً من إجراء انتصارات الجيش العربي الإسلامي الى كرمان، وسجستان ومرد، وباءت محاولاته اليائسة كافة لتجميع قواته بالفشل الذريع الى أن قتل سنة ٣١هـ /٦٥١م . (٩١)

في سنة ٢٤هـ/٦٤٤م سار أمير الكوفة المغيرة بن شعبة الثقفي على رأس الجيش العربي وحرر (همذان) بعد قتال مع المدافعين عنها ، وكان على مقدمة جيشه القائد العربي جرير بن عبد الله البجلي الذي ولاه المغيرة عاملاً على (همذان) بعد أن تم تحريرها . (٩٢)

ثم وجه المغيرة بن شعبة قائده البراء بن عازب لتحرير (قزوين) فلما وصل حصن (المجر) ضرب الحصار عليه ، وبعد قتال مع أهله تقدموا بطلب الصلح والأمان فأمنهم البراء وصالحهم على صلح وأمان (نهاوند) وتم تحرير أراضي أبهر وبعد تحرير أبهر تقدم القائد العربي البراء على رأس جيشه قاصداً (قزوين) وكان أهلها قدر راسلوا بقية الديلم لمساعدتهم على قتال المسلمين ، ولما وصل قزوين خرج أهلها لقتال الجيش العربي ، ولما نشب القتال بين الطرفين تخلى الديلم عن مساعدتهم لاهل قزوين ، فلما رأوا موقفهم تقدم أهل قزوين الى البراء بطلب الصلح فأجابهم البراء الى ذلك ، وبعد أن نظم البراء إدارة قزوين رتب فيها حامية عسكرية تتألف من خمسمائة مقاتل كانوا تحت قيادة طليحة بن خويلد الأسدي ، وأقطعهم أرضاً ليستقروا هناك . (٩٣)

واصل القائد العربي البراء بن عازب حركات التحرير العربية في المشرق فتقدم على رأس الجيش العربي وحرر أرض الديلم ثم عقد اتفاقية معهم ، وبعد أن

حرر أرض الديلم سار على رأس جيشه وحرر (جيلان) و (البـــير) و(الطيلســـان) و(زنجان) بعد أن خاض معارك ضارية مع أهل هذه المدن .[٩٤]

ولما تولى سعد بن أبي وقاص أمارة الكوفة ســـــنة ٢٥هـــ /٦٤٥م ولـــى العلاء بن وهب بن عبد العامري عاملاً على همذان وفي أثناء إقامته هنـــاك تمـــرد أهل همذان ونقضوا اتفاقيتهم مع المسلمين فقاتلهم العلاء فلما علموا أن لا قبل لـــهم بمقاومة الجيش العربي تقدموا بطلب الصلح فصالحهم العلاء على أن يؤدوا إخـــراج أرضهم والجزية وعفا عنهم .[٩٥]

وفي سنة ٢٥هــ/ ٦٤٥م سار أمير الكوفة سعد بن أبي وقاص علـــى رأس الجيش العربي قاصداً (الري) وكان أهلها قد نقضوا اتفاقيتهم مع المسلمين وبعـــد أن أعاد نفوذ الدولة العربية الإسلامية هناك سار على رأس جيشه الى الديلم ، ويظـــهر أن الخليفة عثمان (ﷺ) عندما رأى أن أهل المشرق كانوا قد نقضوا اتفاقيتـــهم مـــع المسلمين كان قد عزم على إعادة نفوذ الدولة العربية هنـــاك فـــأمر كـــل الأمـــراء المسؤولين عن إدارة الجزء الشرقي من الدولة العربية بالتوجه على رأس جيوشـــهم الى جبهة المشرق لقتال المتردين هناك .

وكذلك أنه أمر أمير البحرين عثمان بن ابي العـــاص بالتوجـــه الـــى تلـــك الجبهة فسار عثمان في سنة ٢٤هــ / ٦٤٤م الى مدينة(سابور) فلما علم حاكمـــها تقدم بطلب الصلح الى عثمان فأجابه الى ذلك .[٩٦]

وبعد أن تم تحرير مدينة سابور وجه عثمان قائده هرم بن حيان العيدي على رأس قوة الى قلعة (الشيوخ) ، وتم تحريرها بعد أن خاض الجيش العربي الإسلامي معركة ضارية مع أهلها[٩٧] وتقدم القائد هرم وفتح قلعة (الرهبان) وهي أحد قـــلاع (كازرون) .

ولما علم الخليفة عثمان (ﷺ) بتمرد أهل (إصطخر) على السلطة العربية الإسلامية وكانوا بقيادة الملك (شهرك بن ماهك) وكان ذلك بأمر من ملك الفرس يزدجرد الثالث [٩٨] أمر عثمان بن أبي العاص بالتوجه الى اصطخر لإعادتها الى نفوذ الدولة العربية وأمره بمقاتلة من أهل البصرة كانوا تحت قيادة عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد البجلي وعندما وصل الجيش العربي دارت معركة ضارية قرب مدينة (ريشهر) هزم فيها الفرس وقتل قائدهم شرهك وتم فتح(إصطخر) [٩٩]

وعندما نقض اهل سابور معاهدة الصلح مع العرب في سنة ٢٦هـ /٦٤٦م تقدم أمير البصرة عبد الله بن قيس الأشعري على رأس الجيش العربي وتم إعادتها الى نفوذ الدولة العربية ، وكان أمير البحرين عثمان بن أبي العاص على مقدمة جيشه. [١٠٠]

وفي سنة ٢٧هـ ٦٤٧م تقدم أمير البصرة عبد الله بن قيس الأشعري وأمير البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي على رأس الجيش العربي وحررا (أرجان) صلحاً ثم تقدما وحررا (شيراز) وتم الاتفاق مع أهلها على ان يؤدوا الخراج وبعد ان تم تحرير شيراز تقدما وحررا (سبنيز) وتقدم عثمان وحرر حصن (جنايا) بأمان أهله .[١٠١] وفي هذه السنة تقدم أمير البصرة وأمير البحرين وحررا (دار بجرد) صلحاً، وتصدى لأمير البحرين عثمان أهل (جهرم) فقاتلهم وحررا أرض جهرم ثم سار الى (فسا) وحررها صلحا .[١٠٢]

ولما علم أمير الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، (٢٥ – ٢٩ هـ /٦٤٥-٦٤٩م) أن أهل أذربيجان كانوا قد خرجوا على طاعة الدولة العربية ، توجه في سنة ٢٥هـ على رأس الجيش العربي قاصداً أذربيجان ، وكان على مقدمة جيشه القائد سلمان بن ربيعة الباهلي ولما وصل أذربيجان تقدم أهلها بطلب الصلح

فأجابهم الوليد إلى ذلك وصالحهم على (٨٠٠,٠٠٠) درهم تؤدى إلى الدولة سنوياً وهو الصلح نفسه الذي كانوا قد صالحوا عليه القائد العربي حذيفة بن اليمان عندما حررها سنة ٢٢هـ/٦٤٢م ، وولى الوليد الأشعث بن قيس عاملاً على أذربيجان وفي أثناء إقامة الوليد بأذربيجان وجه قائده عبد الله بن شبيل بن عوف على رأس قوة قدرها الطبري بأربعة آلاف مقاتل لتحرير موقان،وجيلان ، والبير، والطيلسان،وقد تم تحرير هذه المدن بعد أن خاض الجيش العربي معارك ضارية هناك [١٠٣] .

وفي سنة ٢٥هـ /٦٤٥م سار أمير الكوفة الوليد لتحرير أرض الديلم مما بلى قزوين ، ولما نقض أهل أربيجان معاهدة الصلح مع العرب ، أرسل عامل أذربيجان الأشعث بن قيس كتاباً الى أمير الكوفة الوليد بجيش عظيم من مقاتلة الكوفة فاستطاع الأشعث أن يعيد نفوذ الدولة العربية بأذربيجان بعد أن خاض الجيش العربي معارك ضارية مع أهلها، ثم صالحهم على صلح حذيفة بن اليمان ، ولكي يحول دون تكرار التمرد هناك أسكن الأشعث بأذربيجان حامية عسكرية عربية وأمرهم بدعوة أهل أذربيجان الى الدخول في الإسلام . [١٠٤]

وعندما ولى الخليفة عثمان عبد الله بن عامر كريز القريشي أميرا على البصرة وعمان والبحرين وامره باستئناف حركات التحرير العربية في المشرق ، ابتدأ القائد العربي عبد الله بن عامر جهده بالتوجه على رأس جيشه لتحرير مدينة (إصطخر) المركز الإداري للدولة الفارسية وكان أهلها قد نقضوا اتفاقهم مع المسلمين ، فلما علم حاكمها (ماهك) تقدم بطلب الصلح فصالحه القائد عبد الله وولى عليها عبيد الله بن معمر التميمي ثم غادرها مواصلاً حركات التحرير في بقية مدن إقليم فارس ، غير أن أهل (إصطخر) سرعان ما أعلنوا تمردهم ومعارضتهم ،

وجاشت فارس عموماً وهاجمت القائد العربي في إصطخر عبيـداالله بـن معمـر ، ودارت معركة ضاربة بين الفريقين عند باب المدينة استشهد فيها قائد الجيش العربي عبيد الله ودخل الفرس إصطخر .(١٠٥)

وعندما وصل نبأ الحادث الى القائد العربي عبـد الله ، أقسـم لإن ظفـر بإصطخر ليقتلن منها مقتلة عظيمة وكان عبد الله منشغلاً في تحرير مدينة (جور) في إقليم فارس أيضاً التي أعلن أهلها تمردهم وعصيانهم على الدولة العربية وكان عليها القائد العربي هرم بن حيان العبدي ، وعندما وصل القائد عبـد الله الـى (جـور) تحصنوا منه ، وضرب حولها الحصار ، وكان الجيش العربي قد ضرب الحصـار عليها مرات عديدة سابقاً حيث كانت مدينة حصينة منيعة ، وقد استمر الجيش العربي في محاصرتها حتى تمكن من تحريرها بعد أن اهتدت طلائع الجيش الى معرفة أحد الممرات والمخابئ الخفية التي كان أهلها يدخلون ويخرجون منها سراً ، ولما هـاجم الجيش العربي ذلك المدخل تمكن واستطاع الاندفاع نحو المدينة وتحريرها بعد قتـال شديد ، وكان ذلك في سنة ٢٩هـ /٦٤٩م ،وبعد أن تم تحريرها (جور) تقدم القـائد عبد الله وحرر (السكاربان) و(فشجاتن) وهما في دار بجـرد وكـان أهـل هـاتين المدينتين قد نقضوا معاهداتهم مع العرب .(١٠٦)

وبعد أن اعاد القائد العربي عبد الله هذه المدن الى نفوذ الدولة العربية قـرر التوجه الى مدينة(إصطخر) المتمردة على السيادة العربية في سنة ٢٩هـ /٦٤٩م .

وكـان على مقدمة جيش القائد عثمان بن أبـي العـاص وعلـى ميمنتـه أبو برزة بن عبد الله الأسلمي وعلى ميسرته معتقل بن يسار المزني ، وعلى الخيـل عمران بن الحصين الخزاعي ، وعلى الرجال خالد بن المعمر الذهلي ، وكان القـائد عبد الله يتولى بنفسه قيادة الجيش فقاتلهم حتى أدخلهم إصطخر وضـرب الحصـار

عليها ، ثم نقب الجيش العربي سور المدينة فلم يشعر الفرس إلا والجيش العربي معهم في المدينة فدارت معارك ضارية انتهت بانتصار العرب وقتل ما يقارب أربعين ألفا من الفرس ، وكان بينهم من أهل البيوتات الفارسية ووجوه الأسادرة ، كانوا قد لجئوا إليها وتحصنوا بها . (١٠٧)

ولما تم تحرير إصطخر كتب القائد العربي عبد الله أخبار النصر الى الخليفة عثمان بن عفان ، فكتب الخليفة يأمره بأن ينظم الإدارة وذلك بان يولي هرم بن حسان اليشكري، وهرم بن حيان العبدي ، والخرت بن راشد ، والمنجاب بن راشد ، والترجمان الهجيمي على كور إقليم فارس وأن يولى الأحنف بن قيس على المروين، وحبيب بن قرة اليربوعي على بلخ، وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة ، وأمير بن أحمر اليشكري على طوس، وقيس بن هبيرة السلمي على نيسابور ، وهي كور بخرسان. (١٠٨)

تقدم القائد العربي عبد الله بن عامر على رأس الجيش العربي وذلك لمطارة فلول الجيش الفارسي المتحصن في المدن التي خرجت على طاعة الدولة العربية فلما وصل الى مدينة (دار بجرد) تمكن من تحريرها . (١٠٩)

وكان القائد عبد الله بن عامر يراقب عن كثب تطورات الأوضاع العسكرية، حيث أنه اتجه بجيشه من إقليم فارس الى مدينة حلوان بإقليم الجبال بعد أن أعلنت تمردها على السلطة العربية ، ونقض أهلها اتفاقية الصلح التي تم عقدها مع المسلمين وتمكن القائد عبد الله من إعادتها الة نفوذ الدولة العربية بعد أن خاض معركة حامية مع أهلها الذين تقدموا بطلب الصلح فأجابهم القائد عبد الله الى ذلك (١١٠)

واصل القائد عبد الله بن عامر حركات التحرير العربية فتقدم في سنة ٢٩هـ ٦٤٩م على رأس الجيش العربي قاصدا (أصفهان) وكان على مقدمة الجيش

عبد الله بن بديل الخزاعي ، فلما وصل تقدم أهلها بطلب الصلح فأجابهم القائد عبد الله الى ذلك ، على أن يؤدوا له الجزية كما يؤدي أهل فارس .[111]

وعندما نقض أهل (سنبيل) معاهدة الصلح مع الدولة العربية سار إليها القائد عبد الله وأعادها الى طاعة الدولة العربية ثم سار الى (إيذج) وحررها بعد قتال شديد مع أهلها .[112] وبعد أن اطمأن القائد عبد الله إلى سلامة الوضع العسكري في قاطع العمليات الأوسط قرر استئناف حركات التحرير العربية في إقليم فارس وذلك للقضاء على حركات التمرد التي قامت بها العناصر الفرسية المعارضة للسيادة العربية ، فتقدم على رأس الجيش العربي قاصدا مدينة (خوز) فتم تحريرها بعد خاض الجيش العربي معركة حامية مع اهلها ، وكان من ضمن جيشه في هذه المعركة عبد الله وعبيد الله ابنا الخليفة عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وبعد هذا الانتصار سار القائد عبد الله وحرر (أرد شيرخره) .[113]

وبعد هذه الانتصارات الكبيرة التي حققها الجيش العربي خطط القائد العربي عبد الله بن عامر لاستئناف صفحة جديدة من حركات التحرير العربية في جبهة المشرق الذي انتهز أهله فرصة اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب على أيد فارسية مجوسية وغدوا بالحاميات العسكرية العربية ونقضوا معاهدات الصلح مع الدولة العربية فبعد ان أخذ الجيش العربي قسطا من الراحة وأعاد القائد العربي عبد الله تنظيمه ، أراد هذا القائد العظيم القدير أن يبدأ مرحلة جديدة من مراحل حركات التحرير العربية خارج إقليم فارس والجبال ، فوجه القائد عبد الله عددا من القادة العرب على رأس قوات عربية الى مناطق مهمة لتحريرها من براثن الشرك " والمجوسية فبدأت عمليات عسكرية لاحقة ومهمة.[114]

❀ فـتـح كـرمان

وجه القائد عبد الله بن عامر قائده مجاشع بن مسعود المسلمي الى إقليم كرمان وكان أهله قد نقضوا اتفاقيتهم مع الدولة العربية فلما وصل الى (بيمند) ضرب الحصار عليها وكان أهلها متحصنين بها وبعد أن دارت معركة ضارية خارج المدينة تمكن القائد مجاشع من تحريرها صلحا بعد أن تقدم أهلها بطلب الصلح إليه ، بعد أن نظم إدارتها سار على جيشه وحرر (بروخره) وبعد أن تم تحريرها تقدم بجيشه الى (الشيرجان) فلما وصلها ضرب الحصار عليها، وفي أثناء الحصار خرج أهلها لقتال الجيش العربي ، فدارت معركة شديدة بين الطرفين انتهت بانتصار الجيش العربي ودخولهم المدينة ثم سار الى (جيرفت) وحررها بعد أن قاتل أهلها واتجه بعد ذلك الى مدينة (كرمان) مركز الإقليم (فدوخها) .

ولما علم القائد مجاشع أنه تجمع في (هرموز) خلق كثير من الأعاجم سار إليهم وقاتلهم وانتصر عليهم ، وبذلك استقر الموقف تماما لصالح العرب في هذا الإقليم هذا وقد استقر بعض المقاتلين العرب هناك وعمروا مدنه ، وامتهنوا الزراعة، واحتفروا القنوات . [١١٥]

ويلاحظ أن العرب قد ركزوا في تحركهم على كرمان على الطريق الذي يخترق وسط كرمان ، والذي يتوجه الى سجستان ، ومنها الى خراسان حيث حرروا المناطق المهمة في الطريق الذي يخترق وسط كرمان ، والذي يتوجه الى سجستان ، ومنها الى خراسان حيث حرروا المناطق المهمة في الطريق والمطلة عليه اعتبارا من مدينة بيمند غرب كرمان ومرورا بالسيرجان وجرفت ، وهرموز ، وإنتهاء بمدينة الفهرج ، في شرق كرمان ، وعندما اجتاز القائد العربي عبد الله بن عامر كرمان استغل أهلها اندفاع الجيش العربي الى المشرق وحاولوا القيام بحركة تمرد

وغدروا بالحاميات العسكرية العربية الموجودة فيها غير أن العــرب تمكنــوا مــن القضاء على التمرد وإعادة الأمن والاستقرار بربوع كرمان .[١١٦]

❃ فــتــح سجستان

وكان أهل سجستان قد نقضوا اتفاقيتهم مع الدولة العربية ، وأنه لمــا ولــى عثمان (ﷺ) الخلافة ولى عبد الله بن عمير الليثي عاملا علـــى سجســتان وأمــره باستئناف حركات التحرير العربية هناك فتقدم على رأس جيشه وحرر عـــددا مــن المدن حتى وصل الى (كابل) بعد أن خاض الجيش العربي معارك ضاربة هنـــاك ، ولما وصل القائد العربي عبد الله بن عامر كرمان وجه في سنة ٣٠هـ/٦٥٠م القائد العربي لإعادة سجستان الى طاعة الدولة العربية وكان على القائد الربيـــع اجتيــاز الصحراء الكبرى (المفازة) حيث وصل بقواته الى (الفهرج)التي توصل بين مفـــازة كرمان وجيرفت وتقع على الأطراف الجنوبية من المفارة من جهة كرمان ثم قطـــع الصحراء في أضيق نقطة منها ، وهي خمسة وسبعون فرسخا فأتى رستاق (زالــق) من نواحي سجستان وبينهما خمسة فراسخ ، وهو حصن منيع ، وبعد قتال مع أهلــه تقدم دهقان زالق يطلب الصلح فأجابه الربيع الى ذلك.

وبتحرير زالق انفتح طريق الجيش العربي نحو سجـستان حيـــث اتجـــه القائد الربيع بن زياد الى (كركوبة) فصالحه أهلها بدون قتال ثم تقدم الـــى رســتاف (هيسون) فأقام له أهله النزل وتم الصلح معهم ، ثم تقدم قاصدا (روست) التي تبعــد عن مدينة زرنج مركز سجستان الإداري مسافة ثلاثين ميلا فلم علم أهلها خرجـــوا لملاقاة الجيش العربي فدار بين الفريقــين قتال شــديد خارج المديــنة إنتهى بهزيمة

أهل روست بعد أن قتل أعدادا كبيرة منه ودخل الجيش العربي المدينة محررا لها (١١٧) .

ثم اتجه القائد الربيع الى ناحيتي (ناشروذ) و (شرواذ) فقاتل أهلها وظفر بهم وتم تحريرها ، وفي هذه الانتصارات العظيمة تقدم القائد الربيع على رأس الجيش العربي قاصدا مدينة(زرنج) مركز إقليم سجستان الإداري ، وهي من معاقل سجستان الكبيرة ، ولما وصل ضرب الحصار عليها وبعد أن قاتله أهلها بعث المرزبان أبرويز حاكم المدينة الى القائد العربي الربيع يستأمنه فأمنه القائد الربيع وصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل الجيش العربي المدينة . (١١٨)

وبعد أن تم تحرير (زرنج) اتجه القائد الربيع لتحرير قرى ورساتيف عديدة من سجستان وأبرزها تلك التي تقع بوادي (سنادوذ) وبعد أن تم تحريرها رجع الى قاعدة انطلاقه في (زرنج) ثم حرر (زالق) و(ناشب) (وناشروذ) .(١١٩)

ونظرا لما أبداه القائد العربي بن زياد الحارثي من الشجاعة والبطولة والإقدام في تلك الجبهة فقد ولى الأمير عبد الله بن عامر ، الربيع بن زياد عاملا على سجستان وبعد أن مكث الربيع في ولايته على سجستان سنتين ونصفا استخلف عاملا عليها وعاد الى البصرة . (١٢٠)

انتهز مرزبان زرنج فرصة مغادرة الربيع سجستان فنقض معاهدة الصلح مع العرب وأخرج العامل العربي من المدينة فلما علم أمير البصرة عبد الله بن عامر ولى في سنة ٣٣هـ/٦٥٣م عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب عاملا على سجستان وأمره بإعادتها الى طاعة الدولة العربية فلما وصل ، ضرب الحصار على المدينة فأخطر مرزبان زرنج الى طلب الصلح والأمان فصالحه القائد العربي عبد الرحمن على ألفي ألف درهم ، وألفي وصيف . (١٢١)

❁ فـــتــح خراســـان

كانت أول محاولة لتحريرها فـــي عهـــد أمير البصرة عبد الله بن قيـــس الأشعـــري (١٧-٢٩هـ/٦٣٨-٦٤٩م) الذي وجه قائده عديل بن ورقا الخزاعـــي الى هناك فتقدم على رأس الجيش العربي وإجتاز كرمان والصحراء ومضى حتـــى بلغ (الطبسين) وهما حصنان وكان آنذاك في اعتبار بابي خراسان وبعد أن خـــاض الجيش العربي قتالا مع أهلها جاء قوم من أهل خراسان الى الخليفة عمر بن الخطاب فصالحوه على ستين ألف درهم وكتب لهم كتابا ، ولذلك اكتفت القوات العربية بـــهذا الإنجاز العسكري والراجح أن هذا التوقف كان بإيعـــاز مـــن الخليفـــة عمـــر بـــن الخطاب[١١٨] .

أما الخليفة عثمان بن عفان فإنه كان مقتنعا بضـــرورة تحريـــر خراســـان لإدراكه أهمية موقعها ، ولأن أهلها كانوا قد نقضوا معاهدة الصلـــح مـــع العـــرب وغدروا بالحاميات العسكرية العربية هناك ، فلما تولى الخلافة ولـــى عمـــير بـــن عثمان بن سعد عاملا على خراسان وأمره باستئناف حركـــات التحريـــر العربيـــة هناك ، فلما وصل عمير تقدم على رأس الجيش العربي وبعد أن خـــاض معـــارك ضاربة هناك تمكن من الوصول الى فرغانة وتحريرها .[١٢٣]

ولما علم القائد عبد الله بن عامر أمير البصرة أن ملـــك الفـــرس يزدجـــرد الثالث، وكبار رجال دولته قد لجأوا الى خراسان ، كتب في ذلك الى الخليفة عثمـــان واستأذنه بالتوجه إلى هناك، فلما أذن له الحليفة خرج من البصرة بالتوجه الى هنـــلك فلما أذن له الخليفة خرج من البصرة على رأس الجيش العربي قاصدا خراسان على مقدمة جيشه قيس بن الهيثم المسلمي وفي رواية الأحنف بن قيس .[١٢٤]

وضم جيش القائد عبد الله بن عامر عددا من كبار القادة العرب وقد وجههم القائد عبد الله الى عدة محاور لتحرير مدن خراسان كما وصل الى هناك .(١٢٥)

إن القائد عبد الله قرر أن يتقدم نحو خراسان من جهتين ، إحداهما في سجستان، والأخرى من جهة كرمان ، وذلك من أجل تطويق خراسان ، وكان القائد الأحنف بن قيس التميمي قد تقدم الى قوهستان المتاخمة للحدود الجنوبية الغربية لخراسان ، وسأل عن أقرب مدينة الى الطبسين وهي باب خراسان فدل عليها،وفي أثناء تقدمه لقيه الهياطلة فهزمهم هزيمه منكرة وحرر قوهستان .(١٢٦)

أما القائد الأسود بن كلثوم العدوي فقد توجه الى (بيهق) حيث قاتل أهلها قتالا شديدا بعد أن تمكن من دخول المدينة مع طائفة من مقاتليه إلا أنه استشهد في أثناء المعركة التي دارت في المدينة فتولى القيادة من بعده أخوه أدهم بن كلثوم الذي قاتل الأعداء قتالا شديدا حتى انتصر عليهم وحرر (بيهق) .(١٢٧)

أما القوات العربية الرئيسية في عمليات تحرير خراسان فقد كانت بقيادة عبد الله بن عامر الذي تقدم نحو خراسان من جهة الصحراء التي اجتازها من المناطق الشمالية من كرمان ليلتقي بالقوات العربية التي تقدمت نحو خراسان من جهة سجستان ، وكان هدف القائد عبد الله التقدم في أرض خراسان والوصول الى مدينة (نيسابور) التي تعد من مدن خراسان المهمة وكان على مقدمة جيشه القائد الأحنف بن قيس التميمي ولما تعرض الى مقدمة جيش أهل (هراة) دارت معركة ضارية انتصر فيها الأحنف ، ثم تقدم القائد عبد الله وضرب الحصار على (نيسابور) عدة شهور ، ولما شدد الحصار على المدينة رأى مرزبان نيسابور أن لا قبل له بالاستمرار في المقاومة فتقدم بطلب الصلح والأمان الى القائد عبد الله فأجابه الى ذلك وصالحة على ألف ألف درهم ودخل الجيش العربي المدينة ، وبعد أن نظم

القائد عبد الله الإدارة في نيسابور ولى قيس بن الهيثم المسلمي عاملا عليها ، وتقدم لتحرير مدن وقرى نيسابور وكان ذلك في سنة ٣١هـ / ٦٥١م . [١٢٨]

وبعد أن تم تحرير مدن وقرى نيسابور ، اتخذ القائد عبد الله من هذه المدينة عددا من القادة لتحرير عدد من المدن في إقليم خراسان . [١٢٩]

ثم وجه القائد عبد الله بن عامر قائده حاتم بن النعمان الباهلي الى (مرو) وهي المركز الإداري لخراسان ، ولما علم مرزبان المدينة تقدم الى القائد العربي بطلب الصلح فصالحه حاتم . [١٣٠]

وبعد ذلك بدأ القائد عبد الله بن عامر بتوجيه قادته الى مناطق مهمة من خراسان ، وبعد أن تقدم على رأس جيشه استطاع أن يحرر رستاق (زام) من نيسابور بعد أن قاتل أهلها ، وحرر باخرز وهو أحد رساتيق نيسابور أيضا ، ثم سار وحرر (جوين) بعد قتال مع أهلها ، وتمكن من أسر أغلب سكانها ، وبذلك أتم المسلمون تحرير أغلب أعمال نيسابور في الوقت الذي تقدم فيه القائد العربي عبد الله بن عامر وحرر (بشت) و(إسبندورخ) (وزادة) و(خواف(إسفرائين) و(أرغيان) وجميعها من أعمال نيسابور . [١٣١]

ووجه القائد عبد الله بن عامر قائده عبد الله بن حازم السلمي لتحرير مناطق تقع أقصى الشمال الغربي من خراسان فتمكن من تحرير (حمراندز) وهي من (نسا) فلما علم حاكم نسا صالحه على خراج الأرض .

ولما تقدم القائد عبد الله بن حازم الى (سرخس) خرج أهلها لملاقاته فقاتلهم قتالا شديدا ، ولما جاءه القائد عبد الله نجده له طلب مرزبانها زادوية الصلح فأجابه القائد عبد الله الى ذلك ودخل الجيش العربي المدينة، وعلى أثر هذه الفتوحات العظيمة جاء مرزبان (طوس) الى القائد عبد الله بن عامر فصالحه على المدينة

بستمائة ألف درهم .[١٣٢] ثم سار القائد عبد الله الى (هراة) فقاتل أهلـها ثـم تقـدم حاكمها إليه بالصلح عن هراة ويوشنج ، وباذغيش على ألف ألف درهم ثـم أرسـل مرزبان (مروالشاهجمان) الى القائد عبد الله يسأل الصلح فوجه إبن عامر الى مـرو القائد حاتم بن النعمان الباهلي فصالحه عنها على ألفي ألف درهـم ومـائتي ألـف درهم.[١٣٣] فتم بذلك تحرير جميع مدن خراسان .

أما مصير ملك الفرس يزدجرد الثالث المهزوم فإنه كان قد قتل على يد أحـد الأعاجم في خراسان بعد أن اختلف مع قادته وكبار رجاله حـول إصـراره علـى مقاومة الجيش العربي ، وكان ذلك في سنة ٣١هـ ٦٥١م .[١٣٤]

❀ فـتـح طبرستان

تقدم أمير الكوفة سعيد بن العاص ، وبأمر من الخليفة عثمان بن عفان علـى رأس جيش كبير ضم القائد حذيفة بن اليمان وجماعة من الصحابة ، ومن أبنائـهم ، حيث خرج من الكوفة سنة ٣٠هـ /٦٥٠م قاصدا طبرستان وأقاليم أخرى وكان أهل هذه الأقاليم قد نقضوا معاهدات الصلح مع الدولة العربية .

فلما وصل جرجان صالحه ملكها على مائتي ألف درهم ، ولما علـم أهـل (طميسة) بالأخبار تقدم الجيش العربي خرجوا لملاقاته ، فدارت بين الفريقين معركة ضارية هزم فيها أهل طميسه ودخلوا المدينة ، عندئذ تقدم القـائد سـعيد وضـرب الحصار عليها ، ولما رأى المدافعين عن المدينة أن لا قبل لـهم بمقاومـة الجيـش العربي تقدموا بطلب الصلح فأجابهم سعيد الى ذلك[١٣٥] .

وبعد أن استرجع القائد سعيد طبرستان تقدم على رأس جيشه وحرر الرويان ، ودیناوند ثم تقدم واسترجع موقات ، وجيلان بعد قتال شديد هناك ثم سار بعد ذلك وحرر بلاد الديلم وأسكنها جماعة من مقاتلة الكوفة . (١٣٦)

❁ فتح طخارستان

وفي سنة ٣٢هـ /٦٥٢م ، وجه عبد الله بن عامر القائد الأحنف بن قيس على رأس الجيش العربي لتحرير طخارستان ، فلما وصل هناك ضرب الحصار على المنطقة التي عرفت فيما بعد بـ(قصر الأحنف) وعندما شدد الحصار تقدم أهلها بطلب الصلح ، فصالحهم الأحنف على ثلاثمائة ألف درهم وقال لهم (أصالحهم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم فرضوا) وكان الصلح على جميع الرستاق . (١٣٧)

إلا أن أهل طبرستان نقضوا الصلح ، وجاءهم أهل الجوزجان، والطالقان، وأهل الصغانيان ، من وراء النهر وهم في الجانب الشرقي من نهر جيحون ،وكانوا قد جمعوا ثلاثين ألفا .(١٣٨)

وقد أعلن القائد العربي الأحنف حالة الاستنفار القصوى في الجيش العربي الذي يبلغ تعداده خمسة آلاف مقاتل ، فابتدأت المعركة منذ صلاة العصر ، واستمرت المعركة بضراوة وعنف ليلا حتى ذهب عامة الليل ، وهز القائد الأحنف رايته ، وحمل وحملوا فقصد ملك الصغانيان الأحنف فاهوى له بالرمح فانتزع الأحنف الرمح من يده ، وقاتل الأحنف قتالا شديدا ، فقتل من الأعداء ثلاثة ممن معهم الطبول ، ثم لاذوا بالفرار ، واتجه أغلبهم الى (رسكن) وهي على بعد اثني عشر فرسخا من قصر الأحنف ، وكان مرزبان مرو الروز قد تربص بحمل ما

كانوا قد صالحوه عليه لينظر ما يكون من أمرهم فلما ظفر الأحنف أرسل رجلين الى المرزبان ، وأمرهما ، فلما ظفر الأحنف أرسل رجلين الى المرزبان ، وأمرهما ألا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا ، فعلم المرزبان أنهم لم يفعلوا ذلك به إلا وقد ظفروا ، فحمل ما كان عليه .(١٣٩)

❁ فتح أرمينية

إن تأمين حدود الدولة العربية الإسلامية الشمالية وإضعاف الإمبراطورية البيزنطية التي كانت لا تزال قوية وتواصل غارتها على الثغور الإسلامية ، كان يتطلب فتح بلاد أرمينية وإلحاقها بأقاليم الدولة العربية الإسلامية .

وفي سنة ٢٤هـ/٦٤٤م أمر الخليفة عثمان بن عفان أمير الشام والجزيرة معاوية بن أبي سفيان أن يوجه قائده حبيب بن سلمة بن خالد الفهري على رأس جيش لتحرير أرمينية وكان حبيب يمتاز بمقدرة وكفاءة عسكرية عالية سار القائد حبيب على رأس جيشه ولما وصل الى (قاليقلا) التي كانت المركز الإداري للروم ضرب الحصار عليها ، فلما علم أهلها خرجوا لقتال الجيش العربي ، فدارت معركة ضارية انتهت بهزيمة أهل قاليقلا أنه لا قبل لهم بمقاومة الجيش العربي تقدموا بطلب الصلح والأمان ، فصالحهم حبيب وأمنهم وتم تحرير قاليقلا .(١٤٠)

ولما علم حاكم الروم بانتصارات الجيش العربي جمع أعدادا كبيرة من الجند قدرها الطبري بثمانين ألف مقاتل من الخزر وملطية وسيواسي وقونية ، فلما بلغت هذه الأنباء الى القائد العربي حبيب كتب الموقف العسكري الى أمير الشام معاوية ، فلما وصل كتابه بعث إليه معاوية بألفي مقاتل أسكنهم القائد حبيب في (قاليقلا) وأقطعهم القطائع وجعلهم مرابطة لحمايتها ، ثم كتب معاوية كتابا الى الخليفة عثمان

مبينا له الموقف العسكري في أرمينية فلما وصل كتاب معاوية الى الخليفة ، كتب الخليفة الى أمير الكوفة الوليد بن عقبة : " أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجليت على المسلمين مجموعة عظيمة ، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة ، فإذا آتاك كتابي هذا فابعث رجلا ممن ترضى بحدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي ، والسلام". (١٤١)

ولما وصل كتاب الخليفة عثمان الى الوليد وجه قائده سلمان بن ربيعة الباهلي وكان قائدا عسكريا ناجحا على رأس قوة قدرها الطبري بثمانية آلاف مقاتل فاجتمع جيش العراق وجيش الشام بأرمينيا وحررا عددا من الحصون هناك. (١٤٢)

وكان الخليفة عثمان على اتصال دائم بحركات التحرر العربية بأرمينيا وأنه كان يشرف عليها بنفسه ، حيث أمر القائد سلمان بن ربيعة الباهلي أن يحرر أرمينيا الأولى وأمر القائد حبيب بن مسلمة الفهري أن يحرر بقية أرمينية ، وأراد الخليفة بعمله هذا أن يقسم جيش الأعداء على قسمين لكي تضعف مقاومتهم أمام الجيش العربي . (١٤٣)

سار القائد العربي سلمان على رأس جيشه قاصدا (أران) فلما وصل (البيلقان) حررها صلحا ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم على أن يدفعوا الجزية والخراج للدولة العربية . (١٤٤)

ثم تقدم لتحرير (برذعة) فلما علم أهلها بقدومه تحصنوا فيها ، فلما وصل إليها ضرب الحصار عليها وفي أثناء الحصار حرر عددا من قرى برذعة ولما رأى أهلها أنه لا قبل لهم بمقاومة الجيش العربي تقدموا بطلب الصلح ، فصالحهم القائد سلمان على رأس جيشه ، وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام بها ، وتقدم القائد سلمان

على رأس جيشه وحرر عددا من القرى والرساتيق في أران ثم واصل تقدمه وحرر (قبله) و (سكن) و(القمييران) و(خيزان) و (شروان) و (الشايران) و(مسقط) ثم بعث الى ملوك الجبال ودعاهم فأقبل إليه عدد منهم ، ولما تقدموا بطلب الصلح أجابهم القائد سلمان الى ذلك . (١٤٥)

وبعد أن تم تحرير هذه المدن سار القائد العربي سلمان الباهلي قاصدا مدينة الباب ، وكان خاقان ملك الخزر (الترك) مقيما فيها ، فلما علم خاقان بقدومه غادرها فدخلها الجيش العربي بدون مقاومة . (١٤٦)

خرج القائد سلمان على رأس جيشه من مدينة الباب قاصدا خاقان الذي أقام في (بلنجر) المركز الإداري للخزر ، وكان عدد جيشه ثلاثمائة ألف مقاتل ، فلما وصل الجيش العربي دارت معركة ضارية قرب نهر بلنجر انتهت باستشهاد القائد سلمان وأربعة آلاف من الجيش العربي الذي كان عدده عشره آلاف مقاتل بعد أن قدموا صورا رائعة من البطولة في أثناء المعركة . (١٤٧)

وبعد استشهاد القائد سلمان ، أسند الخليفة عثمان مهمة تحرير أرمينيا الى القائد حبيب بن مسلمة الفهري .

أما حركات القائد حبيب بن مسلمه الفهري بأرمينيا فإنه بعد أن حرر (قاليقلا) سار على رأس الجيش العربي وحرر (مربالا) صلحا على مثل صلح القائد العربي عياض بن غنم ، الذي سبق أن حررها . (١٤٨)

وبعد أن تم تحرير مربالا أتاه بطريق خلاط كتاب القائد عياض بن غنم ، وكان عياض قد أمنه على نفسه وماله وبلاده على أن يقدم مقدارا من المال الى الدولة العربية فأجابه حبيب الى ذلك وصالحه على صلح عياض ، وبعد أن نزل

بخلاط سار على رأس جيشه وحرر (مكسى) صلحا ثم وجه عددا من القاده الى عدد من المدن والقرى وتم تحريرها صلحا . (١٤٩)

وفي أثناء تقدم القائد حبيب في أرمينية قدم عليه حاكم كـــورة(البســفرجان) وتقدم بطلب الصلح فصالحه على جميع بلاده ، ولما تقدم لتحرير (السيجان) خــرج أهلها لقتاله فدارت معركة ضارية انتـــهت بانتصـــار الجيــش العربــي وتحريــر السيسجان، تقدم على رأس جيشه قاصدا (جزران) فلما علم حـــاكم جــزران تقــدم بطلب الصلح والأمان فأجابه القائد حبيب الى ذلك . (١٥٠)

وبعد أن حرر القائد العربي حبيب بن مسلمة الفهري عددا من المدن صالحـا تم تحرير أرمينية وكتب بذلك كتبا الى الخليفة عثمان مبينا فيه الموقــف العســكري في تلك الجبهة ، وعزم الخليفة عثمان أن يوليه عاملا على أرمينيا إلا أنه عدل عــن ذلك وولى حذيفة بن اليمان العبسي عاملا عليها ، ثم وجه القائد حبيب بـــن مســلمه الفهري الى جبهة الثغور في الشام والجزيرة ليتولى القيادة في تلك الجبه . (١٥١)

وبتحرير أرمينية حققت الدولة العربية الإسلامية تأمين حدودها فـــي تلــك الجبهة من جهة وإضعاف الدولة البيزنطية وذلك بحرمانها من واردات أرمينية التــي كانت تحت سيطرتها وذلك تمهيدا للقضاء عليها . (١٥٢)

❁ إنشاء القوة البحرية ومحاربة الروم في البحر

كان الروم البيزنطيون يسيطرون على البحر المتوسط إبان حركــة الفتــوح الإسلامية سيطرة تامة حتى عرف هذا البحر باسمهم (بحر الروم) .

وقد مكنتهم من هذه السيطرة مهاجمة سواحل الشام ومصر بصورة مســتمرة بعد أن تمكن المسلمون من التغلب عليهم وطردهم من هذه البلاد. (١٥٣)

وقد أدى عدم وجود قوة بحرية لدى المسلمين الى شل قدرة المسلمين على مطاردتهم والقضاء على دولتهم ، لذا فقد حاول معاوية بن أبي سفيان أني يقنع الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ، بالموافقة على إنشاء قوة بحرية لمقاتلة الروم في البحر ، إلا أن الخليفة رفض ذلك لتخوفه من نتائج مثل هذه التجربة التي لم يكن للعرب خبره مناسبة فيها ، لذا فقد اكتفى معاوية بتحصين الثغور البحرية وبناء القلاع والحصون الدفاعية فيها ، وأخذ يشجع الناس على الإقامة في هذه الثغور وتعلم فنون القتال البحري ذي الطبيعة الدفاعية . (١٥٤)

ولما تولى عثمان بن عفان الخلافة ، كتب إليه أمير الشام معاوية يستأذنه بتحرير جزيرة (قبرص) إلا أن الخليفة لم يوافق على ما عزم عليه معاوية وكتب إليه يأمره أن يواصل سياسته القائمة على تحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة ، وتوزيع الأراضي على من ينزله هناك من العرب وفي بداية خلافة عثمان هاجم البيزنطيون قسما من ساحل الشام وتغلبوا عليه فتقدم أمير الشام على رأس الجيش العربي واستعاده منهم .

ثم وجه قائده سفيان بن مجيب الأزدي على رأس قوة لتحرير (طرابلس) فلما وصل بالقرب منها أنشأ حصنا أطلق عليه اسم (حصن سفيان) ثم ضرب الحصار على المدينة ولما اشتد الحصار على أهلها كتبوا الى قيصر الروم يسألونه أن يمدهم بقوة أو يرسل إليهم السفن لكي يهربوا فيها فلما وصل وجه إليهم عددا من السفن ركبوا فيها وهربوا ليلا ، فلما علم القائد العربي سفيان بذلك دخل المدينة وتم تحريرها بدون مقاومة . (١٥٥)

وعندما تكررت الاعتداءات البيزنطية على مدن ساحل الشام ومصر عزم أمير الشام معاوية على تأسيس أسطول حربي عربي لتحرير جزر قبرص ، كي

يبعد الخطر البيزنطي عن ساحل الشام من جهة ويتخذ مـــن هــذه الجــزر قواعــد عسكرية ومراسي للأسطول العربي من جهة أخرى .

فكتب الى الخليفة عثمان في سنة ٢٧هــ /٦٤٧م يستأذنه بتحريــر جزيــرة (قبرص) وقد اخبره بكتابه بقربها من ساحل الشام ، وسهولة تحريرها ، فلما وصـل كتاب معاوية الى الخليفة استشار كبار الصحابة ، فأذن له بذلك .[١٥٦]

❀ فــتــح قــبــرص

أعد معاوية سفن الأسطول العربي بدار الصناعة ب(عكا) التي قدرها ابــن أعثم بمائتين وعشرين سفينة ثم توجه من هناك في سنة ٢٨ هــــ /٦٨٤م قـاصداً قبرص ، وأن الخليفة عثمان الذي كان مهتماً بأمر حركات التحرير العربية كان قــد امر أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يعد أسطولاً عربياً في مصــر وأن يشترك في هذه الحملة .

وأن الأسطول العربي في مصر الذي كان بقيادة أمير مصر عبد الله بن سعد قد اشترك في الحملة العربية التي تقدمت لتحرير جزيرة (قبرص)، وقد اشترك فــي هذه الحملة عدد من الصحابة كان من بينهم أبو ذر الغفاري ، وشداد بن أوس وأبــو الدرداء وعبادة بن الصامت .

ولما وصل الأسطول العربي الى جزيرة (قبرص) تقدم حاكمها بطلب الصلح فأجابه معاوية الى ذلك ، وصالحهم على مقدار من المال قدره الطبري بسـبعة آلاف دينار يؤديه أهلها سنوياً ، على أن يقفوا على الحياد في أثناء القتــال بيــن العــرب والبيزنطيين وتعهدوا بألا يساعدوا البيزنطيين في اعتداءاتهم على الشام .[١٥٧]

وبعد أن تم تحرير جزيرة قبرص عاد الجيش العربي الى الشام ومصر مظفراً بعد أن حقق أول نصر عربي في القتال البحري ، واستطاع بعمله هذا أن يبعد الخطر البزنطي المباشر عن ساحل الشام . [١٥٨]

إلا أن أهل قبرص كانوا قد خرجوا على بنود الاتفاقية مع العرب حيث أمدوا البيزنطيين في سنة ٣٢هـ /٦٥٢م بعدد من السفن في أثناء قتالهم مع العرب فلما علم معاوية بذلك قرر استعادتها الى طاعة الدولة العربية وجعلها ضمن ممتلكات الدولة العربية وذلك ليحول دون تكرار تمرد أهلها على السيادة العربية من جهة وعدم استغلال الجزيرة من قبل الأسطول البيزنطي للاعتداء على الشام من جهة أخرى ، فجهز حملة بحرية في سنة ٣٣هـ/٦٥٣م وكان عدد سفن أسطوله خمسمائة سفينة ، ولما وصل هناك استطاع أن يحررها بعد أن خاض الجيش العربي معركة ضارية مع أهلها ، ثم أقر أهل قبرص على صلحهم السابق ، ولكي يعزز معاوية الموقف العربي في هذه الجزيرة بعث إليها حامية عسكرية عربية يقدر عددها بإثني عشر ألف مقاتل وأمرهم بالإقامة هناك وصد أي عدوان بيزنطي على الجزيرة ، كما نقل إليها جماعة من أهل الشام تشد من أزر الحامية العربية ، وشيد لهم مدينة جديدة، ومساجد ليؤدوا فيها الشعائر الدينية ، فاستطاع معاوية بعمله هذا أن يقضي على حالة التمرد في هذه الجزيرة وتكرار مساعدتهم للبيزنطيين . [١٥٩]

بعد أن تم تحرير جزيرة قبرص قرر أمير الشام معاوية تحرير بقية الجزر التي تخضع للسيطرة البيزنطية والتي تقع في القسم الشرقي من البحر المتوسط وذلك لتأمين حدود الدولة العربية هناك ، فوجه القائد جناده بن أبي أمية الأزدي .على رأس أربعة آلاف مقاتل الى جزيرة (أرواد) التي تقع بالقرب من ساحل الشام بين جبلة وطرابلس، ولما وصل الأسطول العربي الجزيرة تمكن العرب

من تحريرها بعد قتال مع أهلها ، وصالحهم القائد العربي جنادة على مـال وجزيـة تؤدى سنوياً الى الدولة العربية .[١٦٠]

❁ معركة ذات الصواري

على إثر الانتصارات العظيمة التي حققها الجيش العربي على البـيزنطيين في البر والبحر ، قرر ملك الروم قسطنطين الثاني أن يهاجم الأسطول العربي فـي البحر المتوسط ويسترد السيادة البيزنطية على ذلك البحر ، فلما بلغت هـذه الأنبـاء الخليفة عثمان كتب الى أمير الشام معاوية يأمره أن يخـرج بأسـطوله علـى رأس أهل الشام لملاقاته ، وكتب الى أمير مصر عبد الله بن سعد إبن أبي سـرح يـأمره بأن يساعد الأسطول العربي في مصر الأسطول العربي في الشام .[١٦١]

اجتمع الأسطول العربي في مصر مع الأسطول العربي في الشام بـ(عكـا) وقد بلغ تعداد سفنه خمسمائة سفينة ، وتولى قيادته أمير مصر عبد الله بـن سـعد ، وكان قسطنطين الثاني قد أعد أسطولاً يتألف من ألف سفينة ، فردوه بآلات الحـرب فتقابل الأسطولان في سنة ٣٤هـ/٦٥٤م في معركة ذات الصواري وقـد سـميت المعركة بمعركة ذات الصواري لكثرة صواري السفن التي جمعت في مكان واحـد في أثناء القتال .

ودارت معركة ضارية بدا فيها العرب حربهم مع الأعداء بالأسلوب نفسه في حربهم في البر ذلك بالقتال في بالسهام والرماح والحراب ، إلا أنهم كانوا قد غيروا الخطـة العسكرية حيث ربطوا سفنهم بسفن البيزنطيين فانتهت المعركة بانتصـار العـرب انتصاراً حاسماً وهزيمة أعدائهم بعد أن قتل العرب أعداداً كبيرة ودمـرت معظـم سفنهم ، ولم ينجح منهم إلا الشرير ، أما ملكهم فقد انهزم جريحاً في أثناء المعركـة

ولجأ الى جزيرة صقلية وقتل هناك من قبل أهلها الذين اعتبروه هو المسؤول عن هزيمة البيزنطيين في هذه المعركة . [١٦٢]

وكتب أمير مصر وقائد المعركة عبد الله بن سعد وأمير الشام معاوية بإخبار النصر الى الخليفة عثمان (فسر عثمان بذلك) كما يقول ابن أعثم . [١٦٣]

لقد كانت معركة ذات الصواري معركة حاسمة وفاصلة في تاريخ الصراع العربي البيزنطي البحري ، حيث استطاع العرب في هذه المعركة أن يحطموا السيادة البيزنطية في البحر المتوسط ، ثم بدا العرب بعدها يهاجمون الجزر التي تقع تحت السيطرة البيزنطية في البحر المتوسط . [١٦٤]

❀ البدء بفتح صقلية

لما علم أمير الشام معاوية أن الأساطيل البيزنطية التي دحرت في المعارك البحرية العربية البيزنطية قد التجأت الى مياه صقلية وأن جزيرة صقلية أصبحت قاعدة للقوات البيزنطية البحرية .

وأن البيزنطيين كانوا قد عزموا على شن هجوم على الأساطيل العربية من هناك قرر أن يحرر جزيرة صقلية وكتب الى الخليفة عثمان يستأذنه بذلك .[١٦٥]

ولما بلغت هذه الأنباء الى البيزنطيين بإفريقية بعثوا الى أهل جزيرة صقلية (بأن العرب كانوا قد جمعوا على حربكم فكونوا من ذلك على حذر) . [١٦٦]

سار الأسطول العربي بقيادة معاوية بن حديج الكندي وكان يتألف من ثلاثمائة مركب ،وكان أمير الشام معاوية قد هيأ كل أسباب النصر لهذه الحملة فقد ذكر ابن أعثم أنه عندما وصل الأسطول العربي الى جزيرة صقلية وعلم بها ملكها (أشرف من قصره ومعه جماعه من بطانته ، فنظر الى مراكب المسلمين قد

أقبلت وعليها الرايات والمطارف والأعلام ، وفيها الرجال بالسلاح الذي لم ير مثله، والى مراكب كثيرة والى سلاح شاك لم يكن يظن أنه يكون عند العرب مثله).[١٦٧]

ثم أرسل ملك صقلية الى القائد العربي معاوية يطلب منه أن يبعث له رجلاً يكلمه عن هدف الحمله فلما سأله الملك أجابه العربي (قصدناكم لندعوكم الى أن تدخلوا في الإسلام وتأمنوا على دياركم وأموالكم ، ونولي عليكم رجلاً منكم تقيمون الصلوات الخمس وتصومون شهر رمضان وتحجون البيت الحرام وتؤخذ الصدقة من أغنيائكم فترد الى فقرائكم ، فإن أبيتم الدخول في ديننا فأقبلوا عهدنا وذمتنا وأدوا الجزية إلينا وقروا في دياركم آمنين ، فإن أبيتم ما عرضناه عليكم فقد أنذرناكم وأعذرنا إليكم ، فاعلموا أن ما بيننا وبينكم إلا السيف ، فإن قتلنا كنا على بينة من ربنا إنا في الجنة وأنتم في النار) .[١٦٨]

فقال ملك صقلية لترجمانه قل له عني :(إنكم قد اغتررتم بأنفسكم بغزوكم إيانا في مثل هذا البحر وظننتم أن صقلية إنما هي كمدائن الروم التي اقتحمتموها من قبل ، وليس الأمر كما تقولون ولا كما ظننتم ، إن صقلية أمنع من ذلك ، فلو أنكم أردتم أن ترجعوا الى بلادكم لم تقدروا على ذلك لأنكم لججتم في هذا البحر حتى وصلتم إلينا ولسنا نحب أن تعتادوا هذه العادة علينا في قلتكم وكثرتنا وانا لنغزوا جميع أهل الأديان في ديارهم فنسبيهم ونذلهم ونأتي جزيرتنا هذه أسارى أذله صاغرين ، وأما ما عرضتموه علينا من اتباع دينكم فهذا ما لا يكون ولست أفارق ديني أبداً ، وأما ما سألتموه عن الجزية فقد يجب عليكم أن ترضوه مني بالمساكنة والمسائلة أن لا أغزو في بلادكم)[١٦٩] ، ولما انتهى ملك صقلية من كلامه ، قال العربي للترجمان قل له عني : (إني أراك قد بغيت في كلامك ،

والبغي منقصة وشؤم ومصرعة وحتم ونحن نرجو أن يدال عليكم ببغيكم ، ونحن قوم لا نرى القتل سبة ولا الموت عاراً ، والقتل إلينا أحب إلينا من الخمر إليكم)[١٧٠].

وبعد أن فشلت المفاوضات بين الطرفين بدا أهل صقلية القتال حيث تقدم أحد قادتهم في أثناء المفاوضات طالباً المبارزة فتقدم أحد المقاتلة العرب وقتله أثناء المبارزة ثم دارت معركة حامية بين الطرفين استخدم فيها الجيش العربي المجانيق وبقية صنوف الأسلحة الأخرى وذلك لدك حصون صقلية الساحلية ، وبعد أن استمرت المعركة عدة أيام انتهت بانتصار العرب وهزيمة أعدائهم وكان ذلك في سنة ٣٢هـ /٦٥٢م . وبعد هذه المعركة تقدم الجيش العربي وحرر عدداً من مدن وقرى الجزيرة ولما بلغت هذه الأنباء قيصر الروم جهز ستمائة سفينة مدداً لملك صقلية ، فلما علم القائد العربي معاوية بذلك قرر الانسحاب الى الشام بعد أن برهن للبيزنطيين أن يد البحرية العربية قادره ان تصل إليهم وتنتصر عليهم في أي مكان وفي أي وقت تختاره ، ولما وصل الأسطول العربي الى الشام كتب أمير الشام معاوية الى الخليفة عثمان عن نتائج الحملة وأرسل إليه خمس الغنائم [١٧١].

❁ فتح جزيرة رود س

أراد أمير الشام معاوية أن يبعد الخطر البيزنطي عن حدود الدولة العربية الشمالية المتاخمة للحدود البيزنطية بآسيا الصغرى فكتب الى الخليفة عثمان (ﷺ) يستأذنه بتحرير جزيرة (رودس) أهم جزر بحر إيجة وأعلاها مكانة في الدولة البيزنطية من حيث نشاطها البحري ، وحركة صناعة السفن فيها ، ولما وصل كتاب

معاوية الى الخليفة استشار كبار الصحابة فأشاروا إليه بتحريرها ، فكتب الخليفة الى معاوية (أني قد أذنت لك فيما سألت فاتق الله ولا تضيع الحزم) [١٧٢] .

أمر معاوية الذي كان قائداً لهذه الحملة ، المقاتلة العرب أن يتوجهوا الى صيدا حيث يرسو الأسطول العربي على أن يسيروا من هناك الى رودس .. ولما علم أهل رو دس خرج أسطولهم لملاقاة الأسطول العربي فدارت معركة حامية ولما انسحبوا بأسطولهم إلى الجزيرة لحق بهم الأسطول العربي، ودخل الجيش العربي ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار العرب وتحرير الجزيرة [١٧٣]

وبعد هذا النصر كتب أمير الشام معاوية بإخباره الى الخليفة عثمان (ﷺ) (فسر عثمان بذلك سروراً شديداً وقسم الخمس في المدينة) كما يقول ابن أعثم [١٧٤] .

وأن العرب لم يستقروا بالجزيرة بعد تحريرها مباشرة فقد ذكر ابن أعثم أنه عندما تولى معاوية الخلافة أمر ببناء مدينة في جزيرة رودس ومسجداً وفتحها بالمقاتلة وأمدهم بالأموال والسلاح وأمرهم بالإقامة بها والدفاع عنها وزراعتها[١٧٥]

❁ البدء بفتح بلاد المغرب العربي (إفريقية)

في الوقت الذي كان فيه الخليفة عثمان (ﷺ) عازماً على حماية وتأمين حدود الدولة العربية الإسلامية من الاعتداءات الفارسية في المشرق والاعتداءات البيزنطية من الشمال كان عازماً أيضاً على تأمينها في جبهة إفريقية ، حيث أن أمر في سنة ٢٥هـ /٦٤٥م أمير مصر عمرو بن العاص أن يوجه قائده عبد الله بن سعد بن أبي سرح على رأس قوة إلى أطراف إفريقية لتأمين حدود الدولة العربية هناك فلما وصل على رأس جيشه الى هناك أمده أمير مصر بالمقاتلة فغنم هو وجنده[١٧٦] .

وفي سنة ٢٥هـ /٦٤٥م عزل الخليفة عثمان(ﷺ) أمير مصر عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بدله ، فوجه عبد الله جيشا الى إفريقية لتأمين حدود الدولة العربية هناك (١٧٧) .

ثم كتب أمير مصر عبد الله الى الخليفة عثمان يعلمه أن البيزنطيين كانوا قد استعادوا طرابلس من العرب ويستأذنه بتوجيه جيش عربي الى إفريقية ، فلما ورد كتابه على الخليفة استشار كبار الصحابة ومن لهم معرفة بأحوال إفريقية فأجمعت آراؤهم على ضرورة تحرير إفريقية ، عندئذ جهز الخليفة جيشا كبيرا من أهل الحجاز مددا لجيش أمير مصر عبد الله وكان من بين مقاتليه عدد من أبناء الصحابة منهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر الله بن الزبير ، وعبد الله بن أبي بكر، وغيرهم ، وأسند قيادة الجيش الى الحارث بن الحكم بن العاص على أن يكون تحت إمرة أمير مصر عبد الله عند وصوله هناك (١٧٨).وكان الخليفة عثمان (ﷺ) قد هيأ كل أسباب النصر لهذا الجيش فقد ذكر إبن أعثم أنه جهزهم ما أمكنهم من الجهاز، وأعانهم بألف بعير بآلاتها ، وفتح بيوت السلاح فأعطاهم وقواهم (١٧٩).

فلما اجتمع الجيش العربي بمصر خرج على رأسه أمير مصر عبد الله قاصدا إفريقية وكان ذلك في سنة ٢٧ هـ /٦٦٨م ، ولما وصل الجيش العربي الى برقة التحقت به الحامية العربية هناك والتي كانت بقيادة القائد العربي عقبة بن نافع الفهري ، فأصبح عدد الجيش العربي حوالي عشرين ألف مقاتل (١٨٠) .

ثم توجه عبد الله في هذه السنة قاصدا طرابلس وتم تحريرها ، ثم تقدم القائد عبد الله على رأس الجيش العربي نحو (سبيطلة المركز الإداري للحاكم البيزنطي الذي كان تحت حكمه المنطقة الممتدة من طرابلس الى طنجة ، فلما علم رأس جيشه الذي قدرته المصادر بمائة وعشرين ألف مقاتل لملاقاة الجيش العربي ، فلما اقترب

الجيشان بعث إليه القائد العربي عبد الله يدعوه الى الإسلام أو دفـــع الجزيـــة إلا أن الحاكم البيزنطي كان قد رفض شروط القائد العربي وأصر على القتـــال ، فـدارت معركة ضارية بين الطرفين عند (عقوبة) استمرت عدة أيام لـــم يســتطع أي مــن الطرفين أن يحرز فيها نصراً حاسماً ولما انقطعت أخبار الجيش العربي عن الخليفـة عثمان (ﷺ) وجه عبد الله بن الزبير بن العوام على رأس قوة مدداً للجيش العربـــي وليأتيه بأخبارهم ولما وصل جيش عبد الله غير الخطة العسكرية التي كـــان يقـاتل فيها الجيش العربي الأعداء ، ورفع من معنوية المقاتلين العرب ، واســتطاع بذلـك الجيش العربي أن يحسم الموقف حيث قتل عبد الله بن الزبـــير الحـــاكم البـــيزنطي وهزم جيشه وتم تحرير (سبيطلة) [١٨١] .

وبعد هذه المعركة الفاصلة أقام القائد العربي عبد الله بن سعد فـــي ســبيطلة ووجه من هناك عدت حملات الى المناطق المجاورة لقفصة ، فتمكنت من تحريرهـا وفي الوقت نفسه أرسل قوة لاحقت جيش الحاكم البيزنطي المـــهزوم الـــى حصـــن (الأجم) حيث التجأوا إليه وتحصنوا به،وضربت الحصار عليهم ، ولما رأى هـؤلاء بأن لا قبل لهم بمقاومة الجيش العربي تقدموا الى القائد عبد الله بـــن ســعد بطلــب الصلح فأجابهم إلى ذلك [١٨٢] .

وبعد هذه الانتصارات العظيمة التي حققها الجيش العربي علـــى الجيـش البيزنطي في إفريقية عاد القائد العربي عبد الله بن سعد الى مصر بعد أن ولى عبـد الله بن نافع بن عبد القيسي الفهري عاملاً هناك [١٨٣] .

لقد ساعدت الانتصارات العظيمة التي حققها المسلمون والصلح الذي توصلوا إليه مع رؤساء هذه البلاد الى تمهيد الطريق لتوحد جميع بلاد المغرب العربي مـــع دار الإسلام في خلال السنوات القليلة التالية .

الفتوحات الإسلامية
في عهد الدولة الأموية



(١) الفتوحات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ)

كان استشهاد الخليفة علي بن أبي طالب سبباً في حدوث تحول هام في رئاسة الدولة العربية إذ أعلن معاوية بن أبي سفيان الخلافة وتأسيس الدولة الأموية التي تنسب الى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، حيث بقيت الخلافة وراثية في ذريته حتى سقوط هذه الدولة ، التي بقيت الصفة العامة لها صفة دينية بحكم أن دستورها الإسلام ، ولم يبقى معاوية في الحجاز مثل الخلفاء الراشدين ، بل أقام بالشام واتخذ " دمشق" عاصمة لخلافته .

ولكي يوطد معاوية دعائم خلافته ، جعل للأمصار ولاة أقوياء ، فولى الكوفة المغيرة بن شعبة ، الذي اشتهر بجرأته في الفتوحات الفارسية والشامية ، وأقام في البصرة عاملاً من قبيلة ثقيف اسمه زياد سنة ٤٥هـ .

ويبدو أن معاوية كان يعرف قدر زياد ، وأراد أن يتقوى به لاشتهاره بالرأي والدهاء ، فجعله أخاً له من ولد أبي سفيان مع أن زياد لم يكن يعرف له أب ويدعونه زياد إبن أبيه ، حيث قام معاوية فيما بعد بتوليته على العراق ، وولى معاوية مصر وما في غربها عمرو بن العاص ، أما الحجاز فجعل ولايتها لأفراد من بني أميه أمثال مروان بن الحكم [١٨٤] .

❁ استكمال الفتوحات في جبهة الروم

امتدت الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لم يصل بها الى حدود ثابته ، وعلى هذا كان لا بد من معارك أخرى بين بني أمية وجيرانهم في أكثر الميادين التي انتهى عندها الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين [١٨٥]

ولما وطد معاوية دعائم ملكه اتجه بالعرب شطر الفتوحات التي كانت قد توقفت بسبب الفتنه ، فأبقى معاوية على لقب (أمير المؤمنين) الذي كان عمر قد أوجده بمناسبة حركة الفتوح ، ليعبر دون أي لقب آخر عن لقب الخلافة في زمنه ومن ناحية أخرى كان العرب أنفسهم تواقين الى انتهاء الفتنة ليعودوا الى الجهاد الذي كان يعني وقتذاك الدفاع عن الإسلام ، ومحاربة أعدائه [١٨٦] .

شهد عهد معاوية قيام المسلمين بالتوجه نحو فتح بلاد آسية الصغرى الواسعة ، أو ما يعرف للعرب " بالروم" ، وهذه التسمية بالروم تعني جيلاً من الناس ، أو أنها كلمة فارسية أو تركية ، وأن قصد العرب بها الدولة الكبرى الأخرى ، التي كانت تسيطر قبل الإسلام مع العجم ، وقد ذكرها القرآن الكريم ، ومهما يكن فإن الروم كانت هي وراثة الرومان في الشرق بعد أن قضى على دولتهم المتبربرون في أوروبا ، وقد كانت تعرف للعرب أيضاً باسم (بوزنطيا) نسبة الى بوزنطية ، وهي البلد اليونانية القديمة التي اتخذها الإمبراطور قسطنطين الأكبر ، عاصمة له في سنة ٣٣٠م ، عند تأسيسه لهذه الدولة في الشرق ، ولو أنه غلب على هذه المدينة اسمه : القسطنطينية [١٨٧] .

ولم تكن الروم دولة رومانية إلا اسماً ، ذلك لأن آسيا الصغرى منذ زمن بعيد كانت مجالاً لسكنى أجيال اليونان ، الذين ظهرت لهم مستعمرات عديدة أقدمها يرجع الى عصر هومر ، وقد زادت هجرة اليونان إليها تحت ضغط البرابرة في أوروبا ، بحيث أصبحوا قبل الإسلام يكونون أغلبية سكانها يتكلمون

اليونانية الدارجة وليست اللاتينية ، وهم الذين عرفوا للعرب (بالروم) أو حتى (ببني الأصفر) لكثرة الشقر فيهم ، وكذلك وجد بينهم خليط من الحيثين والميتانيين والأرمن ، كانت تسكن المنطقة الجبلية الفاصلة لحدود الروم الشرقية تمتد حتى البحر الأسود ، وتعرف لسكان الشام باسم (الجراجمة) أو الجرامفة ، نسبة الى بلد تسمى الجرجومة ، قرب أنطاكية أو حتى باسم الرمدة ، أي العصاة.

إن المسلمين في عصر الخلفاء الأوائل استولوا على أجزاء كثيرة من أملاك الروم في البحر الأبيض وأرجعوهم الى بلادهم في أسيا الصغرى ، ولعلى الروم لم يستغلوا انشغال المسلمين بفتنة الخليفة عثمان ، بسبب الضربات القاضية التي كانوا قد تلقوها منهم ، وبسبب أن حدود بلادهم الغربية كانت تحت ضغط هجرات العناصر السلاقية من العرب والكروان ، ولكنهم خلال هذه الفتنة استولوا على بعض الأجزاء المجاورة لهم من أرمينية وهو الصقع الكبير الذي كان قد فتح في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقد سعى المسلمون من جانبهم الى استمالة بعض العناصر المخلصة لهم ، وأرسلوا بعض الأمراء من الأرمن الأسرى في دمشق ليحكموها لهم ، ولا ريب أن الفتنة جعلت أهل أرمينية أنفسهم يستقلون بأجزاء كثيرة منها ، خصوصاً وأن أغلب مناطقها كان في معاهدات أمان مع المسلمين ، وفوق ذلك كان الروم يثيرون ضد المسلمين عناصر الجراجمة الجبلية الساكنة على حدود الشام ، مع أن المسلمين كانوا قد صالحوهم حينما فتحوا الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، على أن يكونوا أعواناً للمسلمين على شريطة ألا يطلب منهم الجزية ، فكان نتيجة هذا التحريض أن قام الجراجمة بالسلب والنهب في أراضي شمال الشام [١٨٨] .

ومن المحقق أن معاوية أحس بنوايا الروم ، وإن كان قد اضطر أثناء الفتنة الى عقد هدنة مع الإمبراطور قنسطانز الثاني ، حتى لا ينتهز الروم

الفرصة فيهجمون على الشام التي كان أميراً عليها منذ عهد الخليفة عمـــر بـــن الخطاب ، وكذلك عقد صلح في أول خلافته يعتبر امتداداً للصلح الأول في ســـنة ٤٢هـ /٦٦٢م ، كما صالح الجراجمة ليتفرغ الى المشكلات العاجلة التي نشـأت من إعلانه الخلافة ، ولكن ما أن انتهى من مشاغله ، حتى شنّ حرباً عاتية علـى الروم في بلادهم ذاتها ، بحيث أنه شغلهم بالدفاع عن أرضهم طول مدة حكمـه ، أن المسلمين قد اشتبكوا مع الروم منذ فتح الشام ،ولم تكن من العمـــق والـــدوام مثلما حدث في عهد معاوية ، فقد كان هدفها هذه المرة تحطيم حصون الـــروم ، والاستيلاء على عاصمتهم القسطنطينية .

وقد اشتهرت حرب المسلمين مع الروم باسم(حرب الثغور) أي الحدود ، وهي لفظة مفردها (الثغر) ، تعني كل موضع يكون في أرض العدو في بطن واد أو فرجة جبل ، قرب أرض المسلمين ، فقد كانت حدود الروم تتكون من سلاسل جبلية شاهقة ، منها جبل اللكام الهائل ، الممتد على طول الثغـــور مـــن البحـــر الأبيض حتى بحر قزوين ، وتتميز بطرقها الكثيرة التي تعـــرف (بـــالدروب) ومفردها(الدرب) وبمسالك أنهارها مثل: سبحان ، وجيحان ، وقويق والـــبرادان ، والارند [١٨٩] .

وهذا الأخير سماه العرب العاصي لأنه يخرج من بلاد الإسلام ليدخل في ارض العدو ، وتميز من هذه الثغور جناحان : أحدهما من ناحية الشام عـــرف : بثغور الشام ، والآخر من ناحية الجزيرة عرف : بثغور الجزيرة ، وهي حصون عديدة في الجبال ، أو مسالح أي مواضع للمراقبة ، أو حتى مدن حصينة علـــى ملتقى الطرق ، مثل أنطاكية ، وطرشوس ، وبياس ، ومرعش .

ولما كانت منطقة الثغور خالية من الناس إلا من الجراجمة النصارى لان الروم نقلوا اهلها منذ فتح الشام، حتى أنها سميت بالضواحي لقلة سكانها ، فـــإن المسلمين منذ عهد الخليفة عثمان(ﷺ) عملوا على إنزال القبـــائل العربيـــة بـــها،

فأنزلت قيس وأسد من الحجاز في ثغور الجزيرة بين مضر وربيعة ، ونقلت جماعات من أهل الجزيرة وحمص وبعلبك ومن الكوفة والبصرة إلى نواحي إنطاكية التي أسكنها معاوية أيضاً عناصر هندية من السند تعرف (بالزط) كانت قد استقرت على الخليج العربي واعتنقوا الإسلام ولقد سمى المسلمين سكان الثغور (بالمرابطة)لملازمتهم ثغر العدو للجهاد (١٩٠).

إن المسلمين وضعوا نظاماً لحرب الثغور : فكانت تخرج بانتظام حملات سنوية على بلاد الروم منذ سنة ٤٣هـ/٦٦٣م في الشتاء والصيف ، عرفت بالشواتي جمع شاتية أو مشتى ، والصوائف جمع صائفة ، حيث أن حملات المشتى غالباً ما كانت تتكرر في السنة الواحدة ، فكانت هذه الحملات يقودها ولاة الشواتي والصوائف ، أمثال عبد الرحمن بن خالد ، ويبدو أن معظم الهجوم كان من ثغر الشام أما ثغر الجزيرة فمظهره الحراسة .

ومن ناحية أخرى كان للروم نظام للدفاع عن حدودهم خصوصاً وأن بلادهم منذ عهد جستينان (٥٢٧ - ٥٦٥م) كانت مقسمة الى أقسام حربية وهي تقابل المناطق الحربية في الشام ، فبثوا في هذه الأقسام ، وبخاصة المجاورة منها لأراضي المسلمين الجيوش العديدة التي تقدر بالآلاف ، وكانت تقيم عادة في حصون منيعة في الجبال أو على الساحل .

كانت القسطنطينية عاصمة الروم منيعة ، فهي تطل على بحر (الخليج)(مرمرة)، كما كانت تحيط به من كل الجهات حتى من ناحية البحر ، عدة أسوار منيعة ، أقيم عليها أبراج عديدة، بناها الأباطرة منذ عهد قسطنطين الأكبر ، وكان من الممكن غلق الخليج ، ومنع المراكب المعادية من دخوله ، إذا ألقيت السلسلة بين لسان الأرض المعروف بالقرن الذهبي وبين الساحل الأسيوي (١٩١) .

ولقد اغتنم المسلمون اضطراب شؤون الروم الداخلية للهجوم على القسطنطينية ، فقد قتل الإمبراطور قنسطانز الثاني في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م ، وثار

صابور أحد حكام المناطق المجاورة لأرمينية ، وأرسل رسولاً الى معاوية بغية التعاون معه .

ومع أن صابور مالبث أن توفي ، وأن ابن الإمبراطور المقتول قسطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٨م) بعث مندوباً للصلح ، فإن معاوية صمم على مهاجمة عاصمة الروم فسير جيشاً كبيراً معه بعض أبناء الصحابة ، منهم ابن العباس وابن الزبير، والصحابي أبو أيوب الأنصاري ، وجعل قيادته الى ابنه يزيد بن معاوية ، فتقدم هذا الجيش في آسيا الصغرى ، وخضعت له كل أهل البلاد سواء من سكان الجبال أو السهول ، وبعد عدة معارك وصل الى القسطنطينية ، وضرب حولها الحصار .

وقد زاد نشاط المسلمين في البحر زمن خلافة معاوية ، فقاموا بترتيب الروابط والحفظة على طول الساحل ، وإعداد المراكب العديدة ، التي كانت تبنى من خشب غابات لبنان وأن خطة فتح القسطنطينية كانت تقضي بتعاون الأسطول مع الجيش ، فقد أرسل معاوية ثلاثمائة مركب ثقيلة عليها أسلحة الحصار من المنجنيقات ، تحمل الواحدة ألف رجل وخمسمائة مركب خفيفة تحمل الواحدة مائة ، ولقد أخضع هذا الأسطول في طريقة سكان السواحل ، ووصل الى القسطنطينية ، واستمر محاصراً لها سبع سنوات (١٩٢) .

كذلك فتح المسلمون الجزر التي كان يسيطر عليها الروم في البحر الأبيض ، مما هيأ لمراكبهم السيطرة على أجزاء كثيرة من سواحل أسيا الصغرى الى القسطنطينية ، وقد فتح القائد جناده بن أبي أمية جزيرة رودس في سنة ٥٣هـ/٦٧٢م ، التي تقع قرب ساحل أسيا الصغرى ، وكان الروم يغيرون منها على مراكب العرب ويأخذونها ، ويهاجمون سواحلهم كما حدث بنزولهم على البرلس بليدة قرب البحر في مصر - في نفس هذه السنة ، وحينما فتحت رودس أنزل معاوية فيها عدداً من المسلمين ، وعين لهم العطاء ، وأصبحت

قاعدة هامة للمسلمين مثل قبرص ، بحيث أخافت العدو وفتح جنادة أيضا جزيرتين اخريين في سنة ٥٥هـ/٦٧٤م ، إحداهما أرواد قرب القسطنطينية ــ التي أقام فيها حامية والأخرى إقريطش(كريت)، وهي جزيرة كبيرة مقابلة للعربية .

وقد أدى اختراع المهندس اليوناني كالينوكوس، بما يعرف بالنار الإفريقية أو اليونانية ، وهي عبارة عن مادة أساسها النفط ، تسير على الماء دون أن تنطفئ ، بل تزيد اشتعالا ، حتى تصل الى المراكب فتحرقها ، ولقد استفاد الروم من هذا الاختراع في مقاومة المسلمين لحصار القسطنطينية مما أثر سلبا على حصار المسلمين للقسطنطينية الأول (١٩٣) .

❁ استكمال فتح إفريقية

وفي عهد معاوية توجه المسلمون مرة أخرى الى فتح إفريقية ، وكان يسكن هذه البلاد جيل من الناس عرف للمسلمين (بالبربر) وبهم سميت البلاد وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار الرومية ما لا يحد من قوة وعدد وملوك ، وأمراؤها لا يرامون بذل ، ولا ينالهم الروم في ضواحيهم تلك بمسخطة الإساءة .

ويصفهم ابن خلدون بأنهم كانوا في دور البداوة عند الفتح العربي وكانوا لا تجمعهم أمة بل يعيشون في حياة قبلية ، وكانت الوثنية ديانتهم كما كانوا يؤمنون بالسحر والكهانة وقد دخلت إليهم اليهودية والنصرانية مع الغزاة عن طريق مصر لكن هاتين الديانتين كانتا قليلتي الانتشار (١٩٤) .

وكان وقوع بلاد المغرب على ساحل البحر الأبيض مما جعلها مطمع الأمم المسيطرة فيه ، فتوالى على احتلالها الفينيقيون ثم الرومان ، وفي بداية القرن الخامس الميلادي جاءتها غزوات طارئة من عناصر الشمال المعروفة

بالوندال ، الذين استولوا عليها من الرومان ، كذلك كـــان القـــوط ، ويســـميهم المسلمون بالفرنجة ، وقد قبضوا على دولة الرومان في إيطاليـــا ونزلـــوا فـــي إسبانيا، وإحتلوا بعض أجزاء من شمال إفريقية ، وبخاصــــة ســـبته ومرســـاها الحصين ، ولما ورثت بيزنطة إمبراطورية الرومـــان فـــي الشـــرق ، نجـــد أن إمبراطورية جستينا (٥٢٧-٥٦٥م) أرسل قائده بلزار يوس في ســـنة ٥٣٣ م ، الذي استولى على الجزء اللأكبر من بلاد البربر فامتدت سيطرة بيزنطة حتـــى برقة ، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على منطقة سبته ، التـــي بقيـــت تبعـــث بطاعتها إلى القوط من وراء البحر في إسبانيا [١٩٥] .

وكان البيزنطيون يحكمون البربر عن طريق حاميات تعيش فـــي مـــدن محصنة أو قصور على الساحل ، أهمها قرطاجنة المدينة القديمة الحصينة علـــى ساحل البحر ، التي أصبحت مستقر سلطانهم ومقر الحـــاكم ، واســـتقل بحكـــم المغرب (جرجير) الذي كان يعرف للمسلمين بالملك الاكبر ، فكان جرجير يحكم منطقة واسعة في بلاد المغرب ، امتدت من العصر الأول باسم (إفريقية) ، ولكن بسبب فتوح المسلمين في بلاد البحر الأبيض في عهدي الخليفة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، ويظهر أنه وجد اتفاق بينه وبين بيزنطة فكان يحمل بعـــض المال إليها ، أما بقية بلاد المغرب فلم تخضع في أي وقت للبيزنطيين أو لنفوذهم مثل : قبائل البربر الساكنة في الجبال بأقصى المغرب ، وفي الصحارى الواسعة وراء السواحل ، وفي بلاد السويس التي تجاوز المحيط ، فكلن البربر يتمتعـــون في هذه الأماكن بحريتهم .

وبعد أن استولى معاوية على مصر ، كان ولاته يجرون منها الحمـــلات على بلاد البربر ، ولم يكن هناك نظام للثغور كما في أسيا الصغـــرى ، وإنمـــا كانت ترسل الحملات من الفسطاط ، فلا تلبث أن تعود إليها بعد انتهائها ، كذلـــك كان عقبة بن نافع ، يقيم بصفة دائمة في نواحي برقة في الشمال وزويلـــه فـــي

الجنوب ، منذ فتحهما على يد عمرو ،وكان يعمل على أن يجذب البربر لدخـــول الإسلام [١٩٦] .

وقد تولى القائد عقبة بن نافع قيادة جيش المسلمين بمهارة فائقة فـــأنزل بأعدائه خسائر فادحة ، فتنحوا ناحية (طرابلس) فقاتلهم عقبة حتى هزمهم .

وفي سنة ٤٢هـــ افتتح عقبة (غدامس) ، وفي سنة ٤٣هـــ افتتح كـــورا من كور السودان ، وافتتح (ودان) ثانية وهي من (برقة) وذلك سنة ٤٦هـــ، فقـد خرج عقبة في هذه السنة حتى نزل (مغداش) مـــن (ســرت) ، وكـــانت (ودان) نقضت عهدها الذي عاهدت عليه يسر بن أبي أرطاه سنة ٢٣هـــ ، فترك عقبـــة جيشه بـــ(مغداش) في أرض سرت واستخلف عليهم عمر بـــن علـــي القرشـــي وزهير بن قيس البلوي وسار إليها في أربعمائة فارس ، فلما وصلها أبى أهلـــها الا العصيان وعدم الطاعة ، فحاربهم عقبة حتى أخضع البلاد بلدا بلدا [١٩٧] .

ولما استتب الأمر لعقبة في بلاد (ودان) ، سأل عقبة أهلها : (هل مـــن ورائكم من أحد ؟) فقيل له (جرمة) فسار إليها ثماني ليال من (ودان)، فلما دنـــا منها دعا أهلها الى الإسلام ، فأجابوا ، ومضى عقبة من فوره لإنجاز فتح بـــلاد (فزان) حتى أتى على آخرها ، ونشر الإسلام في ربوعها ، وهذه أول مرة دخل فيها المسلمون بلاد فزان فاتحين [١٩٨] .

وسأل عقبة أهل (فزان) هل من ورائكم أحد ؟ .

فقالوا أهل (خاور) ، وهو قصر عظيم على رأس المغزة فـــي وعـــورة على ظهر جبل، وهو قصبة (كاوار) ، فسار إليه خمس عشرة ليلة ، فلما وصـــل إليه دعا أهلها الى الإسلام فأبوا وطلب منهم الجزية فامتنعوا بحصنهم ، فحاربهم وأقام على حصارهم شهرا دون جدوى، وتقدم بجيشه جنوبا لفتـــح بقيـــة بـــلاد (كاوار) ففتحها حتى أتى على آخرها .

ورجع عقبة الى (خاور) من غير طريقه التي كان أقبل منها، فقد كانت عودة عقبة المفاجئة بجيشه الى (خاور) في وقت لم يتوقعه أهلها وانصرف عقبة بعد فتح (خاور) حتى نزل بموضع (زويله) .

لقد أقدم عقبة على التغلغل في الصحراء بقوات قليلة خفيفة ، لأن الحركة في الصحراء صعبة جداً بقوات كبيرة لقلة المياه فيها ، ولانه قدر أنه لن يصادف في تغلغله قوات ضاربة كبيرة العدد، لأن قوات الروم النظامية لن تستطيع القتال في مثل هذا الميدان ، وإنما ميدانها المناطق الساحلية التي تتوفر فيها المياه والقضايا الإدارية الأخرى ، فليس أمام عقبة غير قوات سكان الصحراء إلا الأصليين ، وهؤلاء قليلون يمكن التغلب عليهم بقوات خفيفة قليلة كما فعل عقبة (١٩٩) .

ذلك ما حدا به على الأقدام لفتح تلك المناطق الصحراوية بقوات خفيفة منتخبة، وفعلاً أنجز واجبه وحقق هدفه في الفتح الصحراوي بسهولة ويسر ، وسار عقبة بجيشه الى المغرب وجانب الطريق الأعظم ، وأخذ الى أرض (هوارة) فافتتح كل قصر بها ومضى الى (صفر) فافتتح قلاعها وقصورها ثم بعث خيلاً الى (غدامس) فاستعاد فتحها ثانية ، وتوجه الى (قفصه) فافتتحها ثم افتتح (قسطيلية) ثم انصرف الى (القيروان) (٢٠٠) .

لقد طهر عقبة بهذا الفتح كل المقاومات المعادية بين (برقة) و(القيروان) فأصبحت هذه المنطقة خالصة للمسلمين حرية أن تكون قاعدة رصينة تنطلق منها القوات الإسلامية لفتح إفريقية حتى المحيط الأطلسي ..

وصل عقبة الى (القيروان) الذي كان في مدينة (قمونية) والذي كان معاوية بن حديج قد بناه من قبل ، فقد كان مكان (القيروان) وهو ناحية في الوسط الشرقي لإفريقية ليست ضاربة في الشمال فتكون جبلية ولا ضاربة في الجنوب فتكون رملية ، لقد كان المسلمون منذ أيام عبد الله بن سعد بن أبي سرح

يوثرون (قمونية) لانها بسيط من الأرض كثير المراعي ، خصب التربة ، كثيرة المياه ، لكن مكان (قمونية) ليس صالحاً من الناحية العسكرية ، ليكـــون قـــاعدة أمنية لقوات المسلمين لأن بعض غير المسلمين يسكنون (قمونية) مع المسـلمين ، وما اضطر ذلك على المسلمين وهم في جهاد دائب لفتح أفريقية ونشر الإســـلام في ربوعها [٢٠١] .

ومن معاني القيروان : معظم العسكر ، والقافلة من الجماعة ، وموضـــع اجتماع الناس والجيش ، ومحط أثقال الجيش وقيل : هي الجيش نفسه ، وليـــس هناك ما يؤيد القول: بأن القيروان كان علماً على مدينة قديمة بإفريقية ، احتطـت القيروان مكانها ، فلم يبق الا القول : بأن عقبة وأصحابـــه أرادوا بـــه محطـــاً لقوافلهم ومراحاً لعسكرهم .

وقد عهد معاوية الى عقبة بن نافع القيام بإنشاء مدينة القيروان كقـــاعدة متقدمة للمسلمين في إفريقية ، وأنجز بناءها سنة ٥٥هـــ ، وبنى المسجد الجـــامع وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم فأصبحت المدينة عسكر للمســـلمين وأهلـــهم ، فانتشر الإسلام فيها ، واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين ، وصارت القـــيروان مدينة كبيرة وعاصمة الإسلام في المغرب ، وأصبحت القيروان القاعدة الأمنيـــة للمسلمين في شمال إفريقية .

وفي سنة ٥٥هـــ ، استعمل معاوية بن أبي سفيان مســـلمة ابـــن مخلـــد الأنصاري الخزرجي على مصر وأفريقية وعزل عقبة بن نافع عـــن إفريقيـــة ، فاستعمل مسلمة على إفريقية ، أبو المهاجر دينار ، وقد عقد مسلمة بـــن مخلـــد لأبى المهاجر على الجيش الذي خرج معه الى (إفريقية) وبعد إنجاز أبى المهاجر تدابيره الغدارية وإعداده خطط الفتح، سار بجيشه الى (قرطاجنه) عاصمة الروم في شمال (إفريقية) ، لأن الروم لا زالوا قوة في ساحل المغرب من (بنزرت)الى (طنجة) ، وأن هذا الساحل الخصب هو مرتعهم ومواطنهم ، فلا بد من فتح تلـك

المناطق ليتخلص المسلمون نهائياً من مستعمري (إفريقية) القدامى وليحولوا بينهم وبين إشاعة التآمر والدس على الفتح الإسلامي [٢٠٢] .

وسار أبو المهاجر الى (قرطاجنة)، فإستغلقت وتحصنت بالأسوار العلية، فشدد أبو المهاجر عليهم الحصار، ولما علموا بأن المسلمين لن يبرحوا حتى يحققوا هدفهم بفتح جزيرة (شريك) التي كان الروم يتخذونها دوماً قيادة لحشد جيوشهم فيها قبل مهاجمة المسلمين ، وذلك لكي يتخذها أبو المهاجر قاعدة أمامية لجنوده يرتكز في عملياته العسكرية عليها ، وبهذا أثبت أبو المهاجر عملياً بأنه ينظر بعيداً من الناحية العسكرية ، فيفضل المواقع الإستراتيجية التي تفيده في الفتح على المال الذي كان بإمكانه أن يفرضه على أهل (قرطاجنة) مقابل إقراره الصلح بين الطرفين [٢٠٣] .

وكان هدف أبي المهاجر فتح جزيرة (شريك) أن يراقب الروم ويصدهم إذا هموا بالمسير الى المسلمين ، لأن بإمكان قوة الروم المرابطة في تلك المنطقة أن تهدد بسهولة ويسر خطوط مواصلات أبي المهاجر في حالة تغلغل قواته غرباً وجنوباً

وسار أبو المهاجر مع الساحل بإتجاه الغرب لا يعترض طريقه أحد حتى وصل (ميله) في الجنوب الشرقي لـ(بجاية) ويبعد عنها بحوالي خمسين ميلاً ، فوجدها ، مستعدة للقتال ، وكان فيها طائفة من البربر والروم قد تحصنوا فيها ، فنازلها أبوالمهاجر وفتحها واستقر فيها ،كانت (ميله) تتوسط المغربين الأدنى والأوسط ، حتى أحسن مكان يراقب أبو المهاجر منه أمور البربر والروم ، فجعل أبو المهاجر (ميله) مقرة وأقام فيها سنتين ، وكان خلال هذه المدة يتصل بالبربر وينشر فيهم الدين، ويريهم حقيقة المسلمين [٢٠٤] .

وكانت الزعامه في المغربين الأوسط والأقصى لقبيلة (أوربه) لكثرة عددها وغنائمها ومناعة مواقعها ، وكان رئيسها كسيلة ابن لمزم الأوروبي ، وكان البربر يجلونه وكان نصرانياً متمسكاً بدينه، ورأى كسيلة أبا المهاجر في

(ميله) فعلم أنه لا بد أن يسير لإقناع المغرب الأوسط والأقصى ، فذهب في المغربين الأوسط والأقصى يدعو البربر لمكافحة العرب والاستعداد لحربهم ، واستطاع كسيله أن يجمع جيشا من البربر والروم ، فمضى أبو المهاجر بجمعه ، فسار إليه ، وكان كسيله قد عسكر ب(تلمسان) ، فقصده أبو المهاجر والتقى الجيشان هناك ، فدارت معركة حامية بينهما ، فانتصر المسلمون وأسر كسيلة ، فحمل الى أبي المهاجر فأحسن إليه أبو المهاجر ، وتمكن أبو المهاجر ، وانتهى الى العيون المعروفة بعيون أبي المهاجر ، فهو أول قائد للمسلمين وطئت خيله المغرب الأوسط فصالح أبو المهاجر بربر(إفريقية) وفيهم كسيلة الأوزي ، ثم رجع الى القيروان وأقام بها (٢٠٥) .

❁ الغارات العربية على صقلية

كانت الغارات العربية على صقلية مرتبطة بنمو البحرية الإسلامية وبالصراع بين العرب والروم في شرق البحر المتوسط والبحرية الإسلامية بدأت في الظهور منذ أن انتصر العرب على البيزنطيين في معركة ذات الصواري الفاصلة سنة ٣١هـ/٦٥١م التي دعمت السيادة العربية على السواحل السرقية للبحر المتوسط (٢٠٦) .

وأول من غزا صقلية من العرب معاوية بن خديج مرسلا من قبل معاوية ابن أبي سفيان أيام إمارته على الشام في خلافة عثمان بن عفان ، هذه الغزوة الأولى اختلف فيها المؤرخون العرب القدامى منهم والمحدثون ، في تاريخ وقوعها والقائد الذي قادها والجهة التي أقلعت منها سفن المسلمين ، وخلط بعضهم بينهما وبين الغزوة الأخرى لصقلية التي خرجت من إفريقية بقيادة عبد الله بن قيس مبعوثا من قبل والي إفريقية معاوية بن خديج في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٢٠٧) .

اختلفت أسباب الغارات العربية البحرية على صقلية في العصر الأموي، وكان الحماس الديني الذي لم تفترِ حدته إذ ذاك أثره في ذلك ،ثم أن بعض الغارات التي كان غرضها الفتح المنظم لم تنجح لظروف خارجة عن الإرادة، كغزو حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وولده عبد الرحمن ، وغالبية الغارات التي انطلقت الى صقلية كان سببها موقع جزيرة صقلية الإستراتيجي واتخاذ البيزنطيين إياها مركز الهجمات أساطيلهم على الشواطئ العربية ، هذه الغارات التي أخرت استكمال فتح المغرب ، وأنها كانت غارات سريعة ، تغزو وترجع الى المكان الذي أغارت منه [٢٠٨] .

توقفت الفتوحات العربية الإسلامية بعد مقتل الخليفة عثمان، ولم تحدث غارة على صقلية حتى سنة ٤٦هـ عندما قاد عبد الله بن قيس بن مخلد الغزاوي غارة بحرية الى الجزيرة مبعوثاً من قبل والي إفريقية معاوية بن خديج في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وكانت هذه الغزوة قد أقلعت من إفريقية ورجعت إليها [٢٠٩] .

ومن العوامل التي حدت بالعرب الى إرسال هذه الغزوة أنهم أدركوا أهمية صقلية ، وعرفوا أنها قاعدة للنفوذ البيزنطي ، وأن وجودها تهديد للنفوذ العربي في إفريقية ، وأن غزوها حماية لفتوحهم [٢١٠] .

ومن هذا نرى أن معاوية لم يكتف بإرسال السرايا من مصر لإغارة في إفريقية ولكنه أقام فيها قاعدة متقدمة مما مهد الى فتح المغرب كله في عهد خلفه.

(٢) الفتوحات في عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ)

كان معاوية يمهد لتوريث ابنه الخلافة من بعده وبذلك استحدث تقاليد جديدة ، فقد اختار المسلمون أبا بكر بعد موت الرسول (ﷺ) وهو من غير أسرة الرسول (ﷺ) ليكون خليفة للمسلمين من بعده وأن وضعوا قيدا أن تكون الخلافة في قريش ، ثم كان لظروف الفتوح الأولى أن مرت مسألة الخلافة بدون ضجيج، فتولاها عمر بن الخطاب بعهد من أبي بكر ، وعند قتل عمر بن الخطاب كره أن يستخلف ابنه عبد الله ، وعين أهل الشورى وعددهم ستة ، ليختاروا للمسلمين واحداً منهم ،فاختاروا عثمان ، فلما قتل عثمان ، قبل علي الخلافة من عرب الأمصار ، وكبار أهل المدينة لما عرضوها عليه وعلى العكس كان المبدأ الوراثي في الحكم معروفاً عند البيزنطيين والفرس ، فكان ملوكهم يعينون أولياء عهودهم من بين أبنائهم [٢١١] .

ويبدو أن معاوية قد قصد من وراء توريث يزيد الخلافة القضاء على افتراق كلمة الأمة الإسلامية ووقوع الفتنة مثلما حدث بعد عثمان ، ولعله أراد أيضاً أن يوجد حلاً للمسألة التي تركها الرسول (ﷺ) دون حل وهي إيجاد سلطة دائمة للإسلام [٢١٢] .

وفي أوائل عهد يزيد أعيدت القيادة لعقبة بن نافع وظل أبو المهاجر تابعاً له ، وقد استطاع القائدان العظيمان أن يسيرا في فتوحاتهما حتى وصلا الى المحيط الأطلسي ويروي أن عقبة صعد هناك وهتف : يارب ، لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً في سبيلك ، ولو كنت أعلم بعده أرضاً وناساً لخضته إليهم [٢١٣] .

على أن هذه الفتوح لم تكن نهاية المطاف ، فقد كره البربر عودة عقبة للقيادة ، وكان كسيله يضغن على عقبة ، وكان عقبة يستصغر شأن كسيلة بعدما أحرز من انتصارات ، وحدث أن عقبة كان عائداً من إحدى غزواته المظفرة ، فلما وصل الى بلده(طينة) حرف ضده الى القيروان وسار في ثلاثمائة من رفاقه

يريده بلدة اسمها (تهوذة) وعرف الفرنجة بذلك فراسلوا كسيلة بــه ، وأمــدوا البربر بالسلاح والأموال ففاجأ هؤلاء عقبة وأصحابه ، ودارت معركـــة غـير متكافئة من ناحية العدد والاستعداد ، وقد إستشهد فيها عقبة بن نافع وأبو المهاجر وأكثر أصحابها ، وأسر من بقى ، وارتد كسيلة عن الإسلام وتبعه أغلب البربر ، ودفن عقبة في مكان لا يزال يحمل اسمه (سيدي عقبة) وبنى على خريمة مسجد هو أقدم أثر لفن العمارة الإسلامية في إفريقية [٢١٤] .وكان زهير بن قيس خليفـة عقبة بن نافع في القيروان ولما استشهد عقبة بن نافع سنة ٦٣هـ/٦٨٣م قصـد (كسيلة بن لمزم) القيروان في جمع كثير من الروم والبربر فعزم زهير علــى القتال فخالفه حنش الصنــعاني وعاد الى مصر فتبعه أكـثر النـــاس فـاضطر زهير الى العودة معهم ، فسار الى برقة وأقــام بها [٢١٥].

وقد زحف كسيلة الى القيروان سنة ٦٤هـ ، وانتزعها من يد المسلمين ، إذ لم يكن بمقدور العرب المسلمين وهو قليلون مقاومة كسيلة بعد ان اجتمع عليه الروم والبربر ، بعد أن ارتفعت معنوياتهم نتيجة لانتصارهم على عقبة بن نـافع في (تهوذة) واستشهاده واستشهاد زهاء ثلاثمائة رجل من أصحابه معه، خاصـة وأن الرجال الذين كانوا مع زهير في القيروان ، لم يكونـــوا مــن المحـاربين الممتازين ، إذ ليس هناك قائد يمكن أن يستغني عن خمسة آلاف أو ســتة آلاف ويبعثهم في الخلف وهم من محاربي الدرجة الأولى ، بل أن القادة يتركون فــي الخلف وراءهم محاربي من الدرجة الثانية من كبار السن أو من غير الشجعان .. ... الخ ، ومثل هذا الجيش لا يستطيع صد جيش كجيش كسيلة يتمتع بمعنويـات عالية فائقة ، لذلك انسحب زهير من القيروان الى (برقه)، وكــان قــراره هــذا صحيحا من الناحية العسكرية ، إلا أن اشتباكه مع العدو وهــو لا يملـك القــوة الكافية لإحراز النصر ، يؤدي الى كارثة عسكرية تحل بجيشه دون مــبرر ولا جدوى [٢١٦] .

(٣) الفتوحات في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٥٦-٨٦هـ)

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦هـ ، وبعد أن تغلب على أعدائه قضى على الفتنة عاد الى حركة الفتوح ، التي استمرت بعده وامتدت امتداداً هائلاً لم يكن يفكر فيه الخلفاء الأوائل ، ولم تستطيع الدولة العباسية التي جاءت بعد الأمويين أن تحتفظ بكل ما فتح في عهدهم [٢١٧] .

❁ عودة الفتوحات على جبهة الروم

لقد حاول الروم الاستفادة من وقوع الفتنة الثانية ، كما فعلوا في الفتنة الأولى ، ففي غضونها هاجموا حصون الثغور وبخاصة ملطية، التي كان معاوية استولى عليها، وجعلها طريق الطوائف العربية فهدموها ، وأنزلوا بها عساكرهم، كما أنهم قاموا ببعض الهجمات على مدن ساحل الشام بقصد تخريبها مثل عسقلان وقيسارية وصور وعكا ، ولعلهم كانوا ينوون الهجوم على الشام ، لولا أنهم شغلوا بمجيء البلغار وهم الصقالية الذين بدعوا يوطدون أقدامهم حول الدانوب منذ سنة ٦٠هـ/٦٧٩م ويشاركون الروم في منطقة البلقان وكانوا كفاراً وأسلم بعضهم [٢١٨] .

كذلك كان الروم يثيرون ضد المسلمين عناصر الجراجمة الجبلية الساكنة على حدود سوريا، كما فعلوا في الفتنة الأولى ، مع أن معاوية كان قد صالحهم، ولكن بتشجيع الروم انتشروا الى جبال لبنان في أواخر عهده ، فكانوا دائمي الفتنة بتحريض الروم [٢١٩] .

وثم أمر آخر هو ان الروم انتهزوا هذه الفتنة وعملوا على ضم أرمينية إليهم وهي التي كان المسلمون قد استرجعوها بعد الفتنة الأولى بمساعدة عناصر موالية لهم فيها ، ويقول البلاذري أن أجزاء من أرمينية التي كانت تخضع للمسلمين قد استقلت نتيجة للفتنة أيام ابن الزبير ، وقد أرسل الروم إليها جيشاً

ودخلها ، فلم نعد نسمع عن ولاة عليها من قبل المسلمين منذ معاوية ، كذلك كانت عناصر الأكراد الرعوية بجوار الجزيرة قد اشتد أمرها بالفتنة مما جعل الموقف يتحرج بالنسبة للمسلمين [٢٢٠] .

وقد كان الخلفاء الأمويون يحسون بنوايا الروم وتهديدهم ، إلا أنهم في أثناء الفتنة لم يكن يستطيعون شيئا في أواخر خلافته وقد شعر بما سيكون عليه موقف المسلمين من تعيينة ليزيد ، فقد اشترى السلام من إمبراطور الروم قسطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٥م) في سنة ٦٠هـ/٦٨٠م فعمل يزيد على تنظيم الدفاع عن ثغور الشام الشمالية ، وجعل لها جندا مستقلا عن بقية أجناد سوريا، عرف بجند قنسرين [٢٢١] .

كذلك بعث عبد الملك في أول خلافته بالهدايا الى ملك الروم جستنيان الثاني (٦٨٥-٦٩٥م) ، الذي نزل المصيصة في سنة ٦٦هـ /٦٨٥م وهي ثغر بين بلاد الروم والشام ، يقصد دخول الشام ، فشغله وهادنه ، بحيث امتنع عن غزو الشام ، وصالح كذلك الجراجمة كما فعل معاوية من قبل ، وفي سنة ٨٠هـ /٦٨٩م ، جدد عبد الملك الهدنة مع الإمبراطور جستيان الثاني ، لكن هذه الهدنة لم تدم طويلا ، حيث أن عبد الملك نقض الهدنة وعاد الى حرب الروم فقد استأذن محمد بن مروان أخوه عبد الملك ، والذي كان قائد حملته على العراق في غزو الروم ، فأذن له وولاه على الجزيرة وأرمينية ، وبذلك جعل عبد الملك للجزيرة قيادة مستقلة ، مع أنها كانت حتى أيام المرواثيين جندا واحدا مع قنسرين فمضى محمد بن مروان من ناحية أرمينية سنة ٧٣هـ/٦٩٢م ودخلها بمساعدة عناصر فيها موالية للمسلمين ، فقدم زعماء الأرمن خضوعهم ، كذلك تمكن المسلمون بقيادة عثمان بن الوليد من هزيمة جيش كبير للروم عدده ستون ألفا ، وأرسل لأرمينية ، ومع ذلك بقيت أرمينية خاضعة للروم طوال حكم عبد الملك ، خصوصا وأن المسلمين كانوا قد شغلوا بحرب الخوارج ، بحيث أن

الإمبراطور ليون(٦٨٥-٦٩٨م) تمكن من استمالة سمباد ، أحد زعماء الأرمن ، ومن ناحية أخرى كان لاضطراب أمور الروم بتنازعهم على العرش أثره في تمكن المسلمين من بسط حمايتهم على بعض أرمينية [٢٢٢] .

وفي نفس الوقت عادت حملات السواقي والطوائف السنوية من ثغر الشام ، بعد أن كانت قد توقفت منذ وفاة معاوية واشتداد الفتن ، وكان عبد الملك يرسل مع هذه الحملات أبناءه وأفراد أسرته ، كما كان يفعل معاوية من قبل ، وكان هدف هذه الحملات هو فتح حصون جديدة، ولعل من أهم الحصون التي فتحها المسلمون في عهد عبد الملك هو حصن المصيصة بقيادة ابنه عبد الله ، وهو حصن على شاطئ جيحان بين أنطاكية وبلاد الروم ، ولم يكن المسلمون قد سكنوه من قبل ، فأنزل فيه عساكره وجعله منطقة الحدود بدل أنطاكية ، وكان عبد الملك ينفق مبالغ طائلة على صيانة حصون الثغور ، فبنى حول المصيصة الحوائط الضخمة والأسوار المزدوجة والخنادق والجامع ، كذلك أوجد عبد الملك المسالح، وهي مواضع المراقبة ، لحفظ أعقاب الطوائف خوفاً من الجراجمة، فسمي من بقي فيها من العساكر (بالروادايف) [٢٢٣] .

هذا النشاط الحربي الإسلامي لم يكن هدفه كما يبدو التمهيد لفتح القسطنطينية ، كما حدث في زمن معاوية ، وإنما كان لإضعاف الروم وتخفيف قبضتهم في أرمينية ، خصوصاً وأن الدولة العربية لم تكن تستطيع في عهد عبد الملك أن تفعل أكثر من ذلك ، وقد عانت كثيراً من جراء الفتنة ، وإن كان خلفاؤه من بعده سيقومون بنشاط أكبر ضد الروم ،ويعودون الى حصار القسطنطينية [٢٢٤] .

❁ استكمال فتح إفريقية

ولما استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة بعد قضائه على الفتن الداخلية كان زهيراً مرابطاً في (برقة) منذ استشهاد عقبة بن نافع فذكر عند عبد الملك من بالقيروان من المسلمين وأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش الى إفريقية لاستنفاذهم من يد (كسيلة) وأن يعز الإسلام بها كما كان في أيام عقبة بن نافع فقال لهم عبد الملك (من للأمر مثل عقبة ؟) فاتفق رأيهم ورأي المسلمين على زهير ، وكان من أشراف المجاهدين ، فوجه إليه عبد الملك ،وأمره بالخروج فمن معه من المسلمين لفتح إفريقية ، فسر ذلك زهيراً وسارع الى الجهاد (٢٢٥) .

ولكن زهيراً كتب الى عبد الملك يعلمه بكثرة الروم والبربر ، وبقله من معه من الرجال والأموال ، فأرسل عبد الملك الى إشراف المسلمين ليحشدوا إليه المسلمين من الشام ، فسارع المسلمون الى الجهاد فأمرهم أن يلحقوا بزهير ، فلما وصلوا إليه خرج بهم الى (إفريقية) ، فلما دنا من (القيروان) نزل بقرية يقال لها (قلشانه) وذلك في سنة ٦٩هـ ، فبلغ ذلك كسيلة ، وكان معه جيش كثير من الروم والبربر، فدعا كبارهم وشاورهم وقال لهم : أرى أن ننزل بـ(قمس) لئلا يركبنا من القيروان فنهلك ، ولأن بالقيروان جيش كثير من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ، ونخاف أن قاتلنا زهيراً أن يثبت هؤلاء وراءنا ، فإذا ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا ، فإن ظفرنا بهم تبعناهم الى (طرابلس) وقطعنا أثرهم من إفريقية ، فأجابوه الى ذلك ورحل الى(بممس) فبلغ ذلك زهيراً ، فلم يدخل القيروان بل أقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى أراح وإستراح (٢٢٦) .

وفي اليوم الرابع سار زهير في آلاف من المسلمين وجمع له كسيله قبيلة القبرانس وسائر البربر ولقيه في(بممس) من نواحي القيروان ، فالتحم الفريقان حتى انهزم كسيلة وقتل ومضى المسلمون بمطاردة الروم والبربر ، فلحقوا كثيراً منهم وقتلوهم ، وجدوا في طلبهم الى وادي(ملوية) وواد(طنجة) بالمغرب، وفتح

(شقبنارية) وقلاعاً أخرى، وفتح مدينة (تونس) وفي هذه الوقعة ذل البربر وفنت فرسانهم ورجالهم ، وقتل رجال البربر والروم وفزع أهل إفريقية واشتد خوفهم ، فلجأوا الى الحصون والقلاع ، واضمحل شأن الروم فلم يعد لهم شأن يذكر .

وخاف البربر من زهير والمسلمين خوفاً شديداً ، وكسرت شوكة (أوربه) من بينهم ، واستقر جمهورهم بديار المغرب الأقصى وملكوا مدينة (دليلى) وكانت فيما بين (فاس) و (ومكناسه) بجانب جبل (زرهون) ولم يكن لهم بعد هذه الوقعة ذكر [٢٢٧] .

لقد كانت معركة (دعمس) معركة حاسمة فقد قضى زهير على مقاومة البرانس ، فكان هذا القضاء عظيم الأثر في مستقبل الفتوح ، وأن البرانس من البربر حملوا لواء المقاومة يمدهم الروم بالعون ، فباتت ضربة زهير قاضية على رأس المقاومة وخاتمة لآمال الروم في الاستعانة بأهل البلاد على المسلمين وقد ترك زهير القيروان آمنة ، لخلو البلاد من عدو ذي شوكة ، ورحل مع عدد من المسلمين الى مصر ، فبلغ الروم خروجه من (إفريقية) الى برقة فأمكنهم ما يريدون فخرجوا إليها في مراكب كثيرة من القسطنطينية وجزيرة صقلية ، فأغاروا على برقة ، ووافق ذلك قدوم جيش زهير ، فأمر الجيش بالمسير الى الساحل من أجل إنقاذ المسلمين فالتحم القتال ، واستشهد زهير بن قيس وأشواف من كانوا معه من المسلمين ، وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية [٢٢٨] .

ومع سوء أحوال الخلافة الأموية الداخلية ، أرسل عبد الملك قائدا أخر كفءا اسمه حسان بن النعمان الغساني في جيش عدده أربعون ألفا الى إفريقية للانتقام من الروم ، فسار هذا الجيش الى قرطاجنة ، وكان يومئذ بها جموع من الروم ، ولم يكن المسلمون قط حاربوهم، بل كانوا يحاصرونها ويفرضون على أهلها مالا أو بلادا مجاورة لجزيرة شريك ، ويتركونها الى أهداف أخرى فلما وصل حسان الى قرطاجنة رأى بها من الروم والبربر جيش كبير ، فقاتلهم

وحاصرهم ، فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب ، فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الأندلس ، ففتحها حسان عنوة، كذلك سار حسان على بقية الروم وهزمهم في معاقلهم المتفرقة على الساحل ، حتى طردهم من كل إفريقية وعاد بعد ذلك الى القيروان لأن الجراح كانت قد كثرت في أصحابه (٢٢٩) .

وكان هذا مشجعا لحسان على أن يعود الى حرب بربر جبل أوراس الأشداء ، وكان على رأسهم بعد كسيلة امرأة قوية من قبيلة جراوة البترية ، عرفت بالكهانة لانها كانت تخبرهم بشيء من الغيب ، وكانت تلقب (بملكة البربر) ويذكر ابن الأثير : إن الكاهنة هي التي خرجت لقتال حسان غضبا لقتل كسيلة ، فلما زحف حسان إليها غررت به ، واستطاعت ان تهزمه في وادي تبنى في أقصى إفريقية ، وبقيت الكاهنة تحكم المغرب كله بما فيه إفريقية ، وذلك بمساعدة اولادها (٢٣٠) .

وقد ظل حسان في برقة ، الى أن انتهت فتنة ابن الزبير ، وأرسل الخليفة إليه المادة والقوة ليرحل لمحاربة الروم والبربر، وفي تلك الأثناء كان الروم الذين طردوا من حصن قرطاجنة قد عادوا إليها ، لأن سقوطها أحدث أثرا في بلاد الروم ، فما أن وافى عهد الإمبراطور ليون ، الذي كان يحارب المسلمين في أرمينية ، حتى أرسل إليها أسطولا استولى عليها في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م ، واشترك في هذه الحملة الفرنجة من القوط ، ويبدو أن حسانا حاصرها هذه المرة من البر والبحر ، غير أن عبد الملك أوعز إليه باتخاذ دار صناعة لإنشاء الآلات البحرية ، فتمكن حسان من الاستيلاء عليها وكان هذا نهاية الاحتلال البيزنطي في إفريقية (٢٣١) .

ولكن مقاومة البربر استمرت بزعامة الكاهنة التي أحست بخطورة حسان هذه المرة ، فكانت تحرق وتدمر القلاع لتعوق تقدمه ، وتقطع أشجار الزيتون مصدر ثروة البلاد ، فصمم حسان على قطع دابر مقاومتها خصوصا وقد انضم إليه البربر المسلمون والنصارى الذين سئموا سياسة الكاهنة المدمرة ويبدو أن حسانا لم يتمكن من قتلها الا في سنة ٨٣هـ/٧٠٢م .

ولقد تكهنت الكاهنة بموتها وبالقضاء على مقاومة البربر وخضوعهم للمسلمين ، وبذلك قضى المسلمون على آخر حركة قام بها أهالي البلاد لردهم ، إذ كانت الكاهنة هي الحصن الأخير الذي احتمى وراءه أهل البلاد ، فلما سقطت انتهت كل المقاومة ، ولم يبق أمام المسلمين غير مقاومات طفيفة من بعض قبائل البربر [٢٣٢] .

وتولى موسى بن نصير في عام (٧٠٥م) قيادة المسلمين في إفريقية خلفا لحسان بن النعمان ، وراح يثبت دعائم النصر الذي حققه سلفه ، وسار أولا عبر السهل الساحلي ، فوصل الى طنجة ، وفتحها ، وإن كان قد فشل في فتح(سبتة) وعاد فعرض الاستقرار والهدوء على ساحل المحيط الأطلسي فيما نسميه الآن بمراكش، وعاد عبر المناطق الممتدة الى الجنوب من جبال الاطلس، فأكمل فتح البلاد كلها ، وكان الدين الإسلامي يسير جنبا الى جنب مع السياسة في هذه البلاد، وقد تحول البربر أخيرا الى الإسلام [٢٣٣] .

❁ حركة الفتوحات والتعريب

كان الخليفة عبد الملك يعمل على تقوية الحكم العربي بعد أن فسد كل شيء بسبب الفتن ، فعمل على تحويل كل شيء في جهاز الدولة الى العربية ، وهو ما عرف (بالتعريب) ، وقد كانت خطوة عبد الملك في هذا الصدد هامة ، إذ أن أجزاء كثيرة من الإمبراطورية العربية لا زالت الى وقتنا الحاضر عربية ثمرة لجهوده [٢٣٤] .

فنحن نعرف أن الخليفة عمر بن الخطاب ترك إدارة البلاد المفتوحة أجنبية كما هي ، مع تعديل بسيط فأبقى على الدواوين (جمع ديوان) ، وهي كلمة بندر فارسية يقصد بها الكتاب أو أماكن عملهم أو السجلات لإحصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق ، فكانت هذه الدواوين تحرر بلغة أهلها : فديوان الشام بالرومية(باليونانية) وديوان العراق وفارس (بالفارسية) ، وديوان مصر (بالقبطية) ، ولا يعني هذا أن الدواوين لم تكتب إطلاقا بالعربية ، فقد كان ديوان العساكر الإسلامية بالمدينة يحرر بالعربية منذ زمن عمر ، وإنما كان ديوان المال والجباية هما اللذان يكتبان بلغة أهل البلاد المفتوحة [٢٣٥] .

ولكن عبد الملك بعد أن استتب له الأمر أمر أن تكون اللغة العربية وحدها هي لغة الدواوين جميعها ، بقصد إيجاد الانسجام في إدارة الإمبراطورية الإسلامية ففي عهده نقل ديوان الشام من اليونانية للعربية ، كما أن الحجاج نقل الديوان بالعراق من الفارسية للعربية ، أما ديوان مصر فتأخر نقله الى أوائل عهد الوليد ، أن سبب سرعة نقل ديواني الشام والعراق دون ديوان مصر ، هو أن البلدين الأولين كانا عربيين منذ القدم [٢٣٦] .

ويرى أن إبن خلدون أن سبب تعريب عبد الملك للدواوين هو أن المسلمين في زمنه كانوا قد انطلقوا من طور البداوة ، وأقبلوا على تعلم القراءة والكتابة [٢٣٧] . ويرى أيضا أن الذي ساعد على اتخاذ خطوة التعريب ، هو أن اللغة العربية أصبحت في متناول كثير من الكتاب في البلاد المفتوحة ، وهم الذين كانوا يملأون الدواوين ،وبخاصة الموالي الذين أسلموا ، فمنذ زمن علي ظهر بعض الموالي المهرة الذين كانوا يبحثون في قواعد اللغة العربية مثل أبي الأسود الدؤلي(٦٨٦م) الذي عاش الى زمن الأمويين [٢٣٨] .

وقد كان من نتائج تعريب الإدارة في الإمبراطورية الإسلامية أن أقبل كتابها من غير العرب على تعلم العربية ، لكي يستمروا في عملهم بالدواوين،

ولكن الخليفة حينما نقل ديوان الشام الى العربية ، اضطر الى عزل كتبته من الروم وأنه نقل ذلك لوفرة وجود كتاب من أهل الذمة يعرفون اللغة العربية ، أما في العراق ، فقد أرغم الحجاج كتاب دواوينه على الكتابة بالعربية دون الفارسية[٢٣٩] وعلى العكس تأخر نقل ديوان مصر وأن تحويل ديوان مصر من دون الدواوين الأخرى لقي معارضة من قبل المصريين ، حتى أنه استعان بشخص من الشام [٢٤٠] .

وعلى ذلك أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في جميع أجزاء الإمبراطورية الإسلامية ، مما مهد لتعريب ألسنة شعوبها ، بحيث غلب الخط العربي على خطوطها ، كما انعدمت امامه بعضها ، مثل : الأرامية والسريانية ، والقبطية، كذلك أصبحت اللغة العربية لغة الدين في منطقة واسعة من البحر الأبيض ، ولم يقتصر الأمر على من تحول الى الإسلام ، بل تعداهم الى غيرهم من سكانها من المسيحيين .

وقد تبع خطوة تعريب الدواوين خطوة أخرى هامة ترمي الى تقوية الحكم الإسلامي ، بضبط ميزانيته وانتصاراته ، ففي ذلك الوقت كانت العملة المتداولة في أجزاء الدولة الإسلامية هي العملة البيزنطية أو الفارسية أو ما عرف بالرومية والكسرية ، ذلك لان العرب في أول عهدهم لم يكونوا يعرفون النقود الا في يد تجار قريش ، الذين كانوا يحملونها الى مكة من بلاد الروم والفرس ، فكانت هذه العملة تحمل نقوشاً فيها تماثيل (أي صور) مثل تمثال الملك أو أحد أبنائه أو حصن أو حيوان [٢٤١] .

ولكي يجعل الخليفة عمر لهذه العملة الأجنبية صبغة شرعية قرر أن تضاف بالعربية في نقوشها عقيدة الإسلام وكلمة(جائز) للدلالة على أنها عملة جيدة حسب العيار الذي أقره الرسول (ﷺ) والخليفة أبو بكر من قبل ، وبعد الخليفة عمر ظهرت عدة محاولات لسك عملة إسلامية حرفة ، إلا انها كانت

محاولات غير مثمرة ، إذ اعتبرت رديئة لا تنافس عملة الروم أو أو العجم فمثلاً سك معاوية درهماً باسمه ، كذلك ضرب مصعب بن الزبير في العراق الدنانير والدراهم في سنة ٧٠/٦٨٩ بأمر أخيه عبد الله (٢٤٢) .

ولكن عبد الملك هو أول من جعل الدولة العربية تشرف بنفسها على ضرب العملة ونقشها ، ونهى عن أن يضربها غيرهم ، وذلك منذ سنة ٧٥هـ/٦٩٤م ، ثم ضربها الحجاج بالعراق في سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م وقام بعد ذلك كل أمير بسكها في عمله ، على أساس تفويض من الخليفة ، إن سبب اتخاذ عبد الملك هذه الخطوة يرجع الى تهديد قيصر الروم له ، بات ينقش على الدنانير التي يتداولها أهالي دار الإسلام ما يكره عن النبي، وكذلك أن ضرب عبد الملك للعملة يرجع الى أسباب اقتصادية وسياسية ، إذ أصبحت من لوازم السيادة الإسلامية ، كما انتفع الناس بإشراف الدولة عليها ، فتميز المغشوش من العملة الخالصة (٢٤٣) .

وقد عرفت هذه العملة الرسمية باسم (السكة الإسلامية) وكلمة السكة تعني(خاتم الحديد الذي تطبع عليه العملة أو تضرب عليه بالمطرقة) وأصبح يطلق عليها وعلى الدار التي تصنع فيها اسم (دار السكة) أو (بيت الضرب) فكان يشرف عليها موظف خاص إسمه (صاحب بيت الضرب) يكون تحت يده الصناعون والطباعون ، وكان الخليفة بنفسه هو الذي يحدد لها (المقدار) أي الوزن كما فعل الخليفة عمر من قبل ، لتكون العملة في التداول على أساس العيار الشرعي ، إذ أن العملة وقتئذٍ كانت توزن ولا تعد (٢٤٤) .

ولم تتغير وحدة العملة بتعريبها فيعني الدينار الذهبي والدرهم الفضي ، والقطع من الدرهم مثل الدانق والمثقال ، ولكن تغير نقش العمله وأصبح كلمات من غير صور ، لأن الشرع الإسلامي نهى عن الصور ، فكانت الدنانير

والدراهم على شكلين مدورين ، والكتابة عليهما في دوائـــر متوازيـــة ، فيكتب على أحد الوجهين أسماء الله تعالى وصلاة على النبي ، وفي الوجه الآخر التاريخ واسم الخليفة ، كذلك نقش الحجاج بالعراق اسمه على الدراهـم فعرفـت بالعملة الحجاجية ، وسميت مكروهة ، وكره أهل العراق لها (٢٤٥) .

ونعرف بعض أسماء من عملة العصر الأموي ، مثل الدنانير الدمشـقية التي سكها عبد الملك ، والدينار الأبيض أي النقي الذي سكه الحجاج ، وقد بقـي في مصر حتى مجيء الفاطميين إليها ، وكانت أجود عملة لبني أميه مـا سـكه عمالهم بالعراق ، حتى عرفت بأسمائهم ، مثل الهبيرية ، والخالدية ، واليوسفية ، كذلك إستمرت في التداول بعض العملات القديمـة الأعجميـة ، مثـل البغليـة والطيرية (٢٤٦) .

❁ فتح بلاد ما وراء النهر

لقد مد المسلمون فتوحاتهم الى ما وراء النهر الواقع شمال حدود خراسان المعروف : بحيحون ، وقديما أموداريا ، أي الى البلاد التي سموها : مـا وراء النهر ، ولكنها وأن كان النهر يقع الى جنوبها ، وبلاد خوارزم الى غربـها ، إلا أن حدودها في الشرق والشمال لم تكن واضحة ، ففي الشرق قـد تدخـل فيـها بعض بلاد الصين وفي الشمال كانت تمتد الى النهر المشهور في حـدود بـلاد الترك باسم : سيمون وقديما سير داريا (٢٤٧) .

وقد كان يسكن هذه البلاد خليط من الشعوب الآسيوية أغلبهم من الفرس، الذين انتشروا في جميع أجزائها ، وكانوا يحكمونها عـن طريـق المرازبـة ، وواحدها مرزبان أي صاحب الثغر وهو المرز، إذ كانت للفرس منطقة ثغـور، وقد كان نظامهم لا يمد بعضهم بعضا أثناء الحرب إلا بإذن من الملك ، ولكونـها بلاد صلة لوقوعها في وسط أسيا ، فإنها كانت معبرا للشعوب الأسيوية منـذ قديم الزمان مثل الشعب المغولي الذي عرف للعرب بالهياطلة (٢٤٨) وللأدربييـن

بالهون ، وللصينيين بالهيونغ نو ، فهؤلاء خالطوا أهل بـــلاد مـــا وراء النـــهر وحكموهم أثناء تحركاتهم من الشرق الى الغرب حوالي القرن الخامس الميلادي، بحيث أن هيطل أصبح أيضاً اسماً لبلاد ما وراء النهر ، كذلك الترك وهم عنصر مغولي آخر ، كانوا يحيطون ببلاد ما وراء النهر من الشمال على الخصــوص ، وتمكنوا من حكم بعض أجزائها قبل الفتح العربي ، كما طمع الصينيــون فيــها وسعوا الى السيطرة عليها [٢٤٩] .

وكانت تكونت في بلاد ما وراء النهر ممالك مستقلة غير واضحة التاريخ أو الحدود ، بعضها يشمل أقاليم واسعة أومدنا مفردة ، أهمها في أعلى النهر :

مملكة طخارستان ، وهي بلاد واسعة تقع على ضفتي نهر جيحون تنقسم الى طخارستان العليا والسفلى تشمل على قاعدتها بلخ ، حيث يسمى جيحون بها، فيعرف أيضاً بنهر بلخ [٢٥٠] ، وعلى طالقان أكبر مدنها ، وقد كان يسكنها شـعب عرف بالطخارية وللصينيين بيوتشي ، كما أنه غزاهم أيام الفرس الهياطلة ، وإن لم يقضوا على مقوماتهم ، بدليل بقاء اسم طخارستان ، حتى وقت الفتح العربي ، كذلك كانت هذه البلاد شديدة الصلة باليونان ، وهذه البلاد حكمتها أســـرة قبـل الإسلام ، لعلها من أصل تركي ، عرف ملوكها بلقب ، جيغوية، وأن كان يبدوان سيطرتها على بلخ وطالقان كانت اسميه ، وأنها انكمشت في جزء صغير منـها ، ومملكة الختل أو ختلان ، وهي أول بلاد ما وراء النهر خلف جيحون على تخوم السند ، يقال لقصبتها هليك ، التي تقع على نهر أخش أحـــد أفـــرع جيحـــون ، ومملكة صغانيان ، إقليم عظيم من وراء النهر يجري إليه عدة أفرع من جيحـون وأهم مدنها شومان ، التي قد تكون مستقلة عنها ، كما وجـــدت مدينـــة أخـــرى بجوارها من الشرق اسمها أخرون أو أجرون لا يذكرها الجغرافيون ، وكان لقب ملك صغانيان هو : (صغان خذاه) [٢٥١] .

وممالك في وسط ما وراء النهر ، بخاصة مملكة الصغد ويقال السغد ، وهي بلاد عريضة تمتد من جيحون إلى سيحون تحيط بنهر الصغد المسمى أيضاً زرفشان داخل بلاد ما وراء النهر ، عبارة عن قرى ومدن متصلة بحيث اعتبرها العرب من جنان الأرض وأكثرها عمارة وفضلت على غوطة دمشق ، ويظهران هذه المملكة اختصت بشخصية معينة منذ القدم ، فقد كانت لها حضارة متميزة بالغة ، استمرت عدة قرون في وسط أسيا ، كما أن أهلها مجوس لهم شهور وتقويم مثل الذي عرف عند الفرس [٢٥٢] وكانت الصغد تتكون من وحدات سياسية مستقلة قبل الإسلام ، أهمها ، سمرقند وهي قصبة الصغد ، وبخارى (بخارا) مدينة قديمة أيضاً ، من أشهر مدن الصغد ، بحيث قيل الصغد صغدان، صغد سمرقند وصغد بخارى ، وكان ملكها يتلقب خذاه أو بخارا خذاه ، ويسك العملة ، ومدن أخرى أصغر ، مثل (كش) وكانت ملك سمرقند ، ونسف أو نخشب وهي مدينة كبرى بين بخارى وسمرقند وبها حصن عتيق (قهندر) ، مما يدل على استقلالها وبيكند وهي من مدن بخارى .

ومملكة في أدنى النهر أو دلتاه ، تعرف باسم (خوارزم) وهي ناحية عامرة استقلت منذ أن غزاها الإسكندر عاصمتها القديمة فيل أو فير ، ثم نقلت إلى كركانج، التي عرفت للعرب بالجرجانية ، وهي بلاد أغلب سكانها من الفرس المجوس وبعض النصارى ، ولهم خط متميز يعرف بالخط الخوارزمي ، وفي أطرافها يسكنها قوم من الترك ، ، وقد حكمتها أسرة قديمة من نسل الأكاسرة استمرت وقتاً طويلاً إلى زمن الفتح العربي وكان ملوكها يتلقبون بالشاه، وإن هذه المملكة كانت في حرب مستمرة مع الترك المجاورين لهم ، كما أنها كانت قد خضعت قديماً إما للفرس أو للصغد [٢٥٣] .

وممالك أخرى سيحونية على ضفاف نهر سيحون ، منها مملكة فرغانة ، وهي إقليم جبلي واسع ، تقع في أعالي سيحون وعلى ضفتيه ، وأهم مدنها ،

أخسبكت عاصمتها القديمة ، ثم كاشان التي كان يقيم بـــها ملوكــها ، كمـا أن ضجنده أعتبرت من جملتها ومتاخمة لها ، وكان الفرس يســيطرون عليــها ، فنسب إلى الملك أنور شان بناء أخسيكث ، ولكن الترك الخرجلية سيطروا علــى دهاقينها .

وكان ملوكها منهم يتلقبون بالأخشيد ، وأن فرغانة قبل الفتــح العربــي أصبحت من امبراطورية دولة الصين ، وإن بقي الترك يحكمون في كاشـــان ، ومملكة أشروسنه تقع شرقي فرغانة ، وأنها كانت فـــي طريــق فرغانـــة، وأن الهياطلة غزتها ، وملوكها يتلقبون ، بأفشين ، وأخيراً مملكة الشاش التـــي تقــع وراء سيحون شمالي أشروسنة ، يخترقها نهر عرف باسمها ، وهي إقليم ســهلي متاخم لبلاد الترك ، قصبتها بنكث ، وعلى العكس يقول البــلاذري أن قاعدتــها الطاربند [٢٥٤] ، وكان يحكم الشاش الترك أو الصينيون قبل الفتح العربي .

وقد كان على العرب إذا أرادوا أن يتوسعوا في هذه البلاد أن يعملوا ألف حساب لجيرانها الأقوياء ، الذين كانوا يتنافسون في السيطرة عليها ، فمــن وراء هذه البلاد وحواليها من مشارق خراسان من مملكة الإسلام إلى غــرب الصيــن وشمال الهند ، كان يوجد الترك أو الأتراك ، وهي كلمة تعني الأقوياء ، ويبدوان الترك من أصل نغولي أو من الهياطلة على الخصوص ، ظهروا فجأة حوالــــي القرن السادس الميلادي ، كونوا إمبراطورية بدوية واســعة ، بسـبب ضعـف العناصر المسيطرة عليهم من الشعوب المغولية الأخرى ، أو الصينييـــن ، وقــد امتدت إمبراطوريتهم من حدود الصين إلى البحر الأسود ، وعرفت بالتركستان ، أي ناحية بلاد الترك [٢٥٥]، وأنها أسست حوالي ٥٧٦ م ، على يد شخص يســميه العرب سنجابو خافان ، ولما أصبح الترك سادة كانوا يهاجمون شمال الصيــن ، كما كان يفعل غيرهم من القبائل المغولية .

ولكن هذه الإمبراطورية سرعان ما انقسمت إلى قسمين حوالي عام ٥٨١م ، أحدهما غربي في وسط أسيا ، والأخر شرقي بجوار الصين في منغولية وكان الصينيون يعملون على تقوية العداء بينهما ، للاحتفاظ بنفوذهم والحد من خطرهم ، بل أنهم أخضعوا قسماً كبيرا منهم بخاصة الترك الشرقين ، ولكن الترك الغربيين بقوا متمتيعن بسيادتهم بعيداً عن نفوذ الصينيين ، كما أنهم على يد ملك يسميه العرب توج كانوا يحاربون الإيرانيين في بلاد ما وراء النهر ، وأن بلاد الترك سميت باسمه (توران) ، ولقد أصبح النزاع بين الفرس والترك في هذه البلاد تقليدياً ، ولكن انشغال الفرس بحروبهم مع البيزنطيين منعهم من الالتفات إلى ترك بلاد ما وراء النهر ، مما سهل إقامتهم [٢٥٦] .

وكان الترك يعيشون في قبائل عديدة ، مثل : التغزغز والخرنجية والكيماك وخزخيز والطخطاخ والبجناك ، وأن بعضهم كان يعيش في الشرق قرب سور الصين ، والبعض في الغرب في وسط أسيا ، وبسبب طبيعة بلاد الترك الصحراوية الجبلية ، كان أغلبهم من الرعاة الذين يتبعون الكلأ وينزلون الخيام [٢٥٧] .

وكان يسيطر على جميع الترك بما فيهم ترك ما وراء النهر ملك يسمى (الخاقان) أي ملك الترك ، وأن خاقان لقب خاص بالترك المجاورين للصينيين ، وأن خاقان كان يعيش في قصر عظيم في مدينة حصينة ، حولها قرى وأقسام إدارية ، وقد كان له شعار عبارة عن علم تزينه تسع خصلات من شعر ذنب الخيل ، كذلك كان لمملكته قانون ينظمها يعرف باسم (ياسة) وله البريد[٢٥٨].

كذلك كانت الصين أو الصين الأقصى ، دولة كبرى في أسيا عبارة عن بلاد شاسعة ظهرت فيها منذ قديم الزمان حضارة متميزة ، بسبب خصب تربتها، وأن فيها نهر يسمى النهر الأصفر ، وقد عرفت الصين أسراً متعددة كانت

تحكمها منذ القدم ، مثل شائع حوالي القرن الخامس عشر(ق.م) قبـل الميـلاد ، وأينغ في القرن الحادي عشر (ق.م) ولكن في القرن السابع قبل الميلاد انقسـمت الصين إلى قطائع نتيجة لضعف السلطة المركزية ولوجود قبائل الهون المغوليـة (الهياطلة) التي يسميها الصينيون الهيونغ -نو، وكانت تحوم حولها [٢٥٩] .

إن العرب منذ استقرارهم في خراسان كانوا قد قرعوا أبواب بـلاد مـا وراء النهر ، ولكن لم تكن هناك خطة لفتحها في عهد الخلفاء الأوائل ، ذلك لأن خراسان نفسها كانت ملثاثة إلى أن قتل يزد جرد في عهد الخليفة عثمـان بـن عفان عام ٣١هـ / ٦٥١م ، ثم بعد ذلك اضطربت طاعتها بعد وقـوع الفتنـة الأولى ، وأن الترك انتهزوا هذه الفتنة لمهاجمة خراسان [٢٦٠] .

ولما استقرت الأمور في عهد معاوية نجد أن العرب بدؤوا يسـتطلعونها عن طريق إرسال السرايا والبعوث ، كما فعلوا في معظـم فتوحاتـهم ، ولكـي يمهدوا لفتحـها اتخذوا مرو قاعدة للفتح ، في خراسان المقابلة لبـلاد مـا وراء النهر وهي التي كانت تعرف أيضاً بمرو الشاهجان أو مرو العظمـى ، بحيـث كانت تعرف اشبه بالثغر ، فأنزلوها جنودهم منذ سـنة ٤٥هـ / ٦٦٥م [٢٦١] ، وكان أول من عبر النهر عبيد الله بن زياد في سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م ، ومن بعـده سعيد بن عثمان في سنة ٥٥هـ / ٦٧٥م [٢٦٢] .

وقد عين عبد الملك بن مروان ، الحجاج بن يوسف حاكماً عاماً للشـرق الذي يضم العراق وفارس ، وتمكن القائد المهلب بن أبي صغرة بعد قضائه على الخوارج من التفرغ لإمارة خراسان التي عين حاكمها ، والواقعة عنـد الحـدود الشمالية الشرقية للدولة العربية الإسلامية ، ولم تمكن غـزوات المـهلب فـي أراضي ما وراء النهر ،العرب من تثبيت سلطانهم بصورة منظمـة فـي هـذه المناطق ، ولذا بقي الأمراء المحليون السابقون في مدنـهم ، علـى أن يدفعـوا الجزية إلى العرب ، لكن هيبة العرب ما لبثت أن عادت علـى أي حـال إلـى

المنطقة ، وراح الحجاج يولي اهتمامه بعد ذلك إلى رتبيل ، ملك كابل ، التي فتحها العرب ، ثم ما لبثوا أن أخرجوا منها [٢٦٣] .

وقرر الحجاج أن ينظم حملة جديدة وقوية ، ليضمن بها النصر ، ولذا فقد جهز جيشا قوامه عشرون ألفا نصفهم من الكوفة والنصف الآخر من البصرة وعهد بقيادته إلى عبد الرحمن بن الأشعث ، أحد كبار زعماء الكوفة ، وتقدم الجيش إلى سجستان ، وقد أنفق الحجاج أموالا كثيرة في إعداده هذا الجيش، فدخل عبد الرحمن بهذا الجيش إلى أراضي كابول دون أن تقع معركة فاصلة[٢٦٤].

أخذ عبد الملك قبل عام من وفاته ، البيعة من الناس لابنه الوليد ، ليخلفه في الحكم ، وأقران يكون ولده الثاني سليمان خليفة بعد الوليد ، توفي عبد الملك بن مروان في سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م ، وكان في الستين من عمره[٢٦٥] .

(٥) الفتوحات في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ)

توفي عبد الملك في شوال ٨٦ هـ/٧٠٥ م ، بعد خلافة حافلة بالأحداث مدة ٢١ عاماً ، فقضى على الفتن العديدة بشدة شكيمته وشخصيته الجبارة ، وقد عرف بأنه (أبو الملوك) وذلك لانه ولى الخلافة بعده أربعة من ولده أولهم الوليد فكان يكنى بأبي الوليد [٢٦٦] .

ولم يكن للوليد حق سابق في الخلافة ، فإن مروان كان قد بايع لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده ، فولى عبد العزيز عمل مصر في حياة أبيه وبقي فيه في خلافة عبد الملك .

ولكن عبد الملك أراد أن ينحي عبد العزيز عن ولاية عهده ، إذا لم يكن أخاه من أمه ، والمبايعة لابنه الوليد ، وبذلك يكون قد فعل ما فعله من قبل مع خالد بن يزيد وأن الحجاج هو الذي زين لعبد الملك بيعة الوليد ، وأرسل له وفداً ولكن عبد العزيز قاوم ، ورفض أن يجعل الوليد، حتى في ولاية عهده من بعده ، وقد هم عبد الملك بخلعه لولا أنه تريث إلى أن توفي في حياته سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م[٢٦٧] .

فبايع لابنيه الوليد وسليمان بعده ، وكتب لهما في البلدان وهدد خالداً وعبد الله ابني يزيد بالقتل ،إذا لم يبايعا لابنيه ، فضمن بذلك ولاية الوليد للخلافة [٢٦٨] .

ولقد استلم الوليد من أبيه ملكاً موطد الدعائم ، مما جعل عصره يتميز بالاستقرار ، وبوجود نهضة معمارية لم تحدث من قبل منذ ظهور الإسلام ، شملت جميع أجزاء الدولة العربية الإسلامية ، فقد كان ذا همة في عمارة المساجد كما كثرت الأبنية في البلاد ، حتى أن الناس كانوا يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن البناء [٢٦٩] .

❀ عودة الفتوحات على جبهة الروم

وفي عهد الوليد وصلت الدولة العربية الإسلامية إلـــى أقصـــى اتساعها فقد ظهر قواد أكفاء عملوا على رفعة الإسلام شرقاً وغرباً ، وقد عدت الفتوحات في عهده من الفتوحات العظيمة ، مثل تلك التي كـــانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٢٧٠) .

ومنذ أن استقرت سيطرة العرب في أرمينية ، عــادت حمــلات الشواتي والصوائف بنفس القوة التي كانت في عهد معاوية ، وقد كفــل الوليد حرب الروم إلى أخيه الأمير مسلمة بـــن عبــد الملــك ، وابنــه العباس بن الوليد ، فأظهر كلاهما قدرة حربية فائقة في قيادة الحمــلات ، ولم تكن الحملات للتخويف ، ولكن هدفها كما كان في عهد عبد الملــك دك حصون العدو ومدنه المسلحة ، وإنشاء حصون جديدة مما أدى إلـــى إزدياد نفوذ المسلمين في أسيا الصغرى ، وقد كان العرب يحملون معــهم نساءهم في فتوحاتهم ، إرادة الجد في القتال (٢٧١) .

ولعل أهم الحصون التي فتحها المسلمون في عهد الوليد حصـــن طوانة في سنة ٨٨هـ / ٧٠٧م ، الواقعة قـــرب المصيصـــه – ثغـــر المسلمين القوي ، فبعد حصارها بتسعة أشهر بالمنجنيقات وقعـــت فـــي أيديهم ، بحيث بلغت خسائر الروم فيها حوالي خمسين ألفاً ، وقد ســـار المسلمون في بلاد أسيا الصغرى ، وفتحوا عدداً كبيراً مـــن الحصـــون وأقاموا فيها الحاميات ، مثل : سلوفيه عند الساحل ، ومرعش وعمورية بين الشام وبلاد الروم (٢٧٢) ،حيث زودوها بالأسوار والجوامع ، وكـــان المسلمون يخرجون منها لمهاجمة حصون الروم البعيدة ، ولكي يـــأمنوا شر الجراجمة ، الذين زاد خطرهم حتى بلغ مداه في عهد عبد الملـــك هاجموا الجرجومة نفسها ، أهم مدنهم في جبل اللكام في الثغر الشـــامي

في سنة ٨٩هـ / ٧٠٧م ، وهزموهم على الرغم من تجمعهم للدفاع عنها في كل مكان ، ونقلوا بعضهم إلى الشام ، وأدخلوهم في فرق المسلمين ، دون أن يكرهوهم على ترك النصرانية ، كذلك نقلوا إلى الثغور عناصر من الزط ، الهندية ، التي جاءت من بلادها إلى بلاد المسلمين ، كما فعل معاوية من قبل ، ولعل أراد الوليد فتح القسطنطينية إلا أن هذا لم يخرج إلى حيز التنفيذ بسبب أن جند المسلمين كانوا قد انساحوا في أطراف الدولة الأخرى انسياحاً كبيراً [٢٧٣].

❁ فتح الأندلس

كان فتح الأندلس نتيجة طبيعية لتمام فتح المغرب ، لأن الأندلس هو الجناح الغربي للمغرب ، ولأن الأندلس كان المجال الحيوي للفتح الإسلامي بعد إنجاز فتح المغرب الإفريقي واستقرار الفتح فيه بانتشار الإسلام وبوجود القوة الضاربة في جانب العرب المسلمين[٢٧٤] .

ولم تستعص على موسى بن نصير غير مدينة (سبته) لمناعتها ووصول الإمدادات إليها من إسبانيا القوطية عن طريق البحر، وكان من قبل (القوط) في إسبانيا حاكم اسمه (خوليان) ويسميه العرب (يليان) وأن يوليان) كان حاكما عاما على إقليم (مورطانية الطنجية) وكانت تابعة لمورطانية القيصرية، إحدى الولايات السبعة الخاضعة للدولة البيزنطية ، فلما عجزت الدولة البيزنطية عن حمايتها ، ولت (سبته) وجهها شطر إسبانيا القوطية ، وقد بدأ يوليان ولا يته لهذا الإقليم في سن مبكرة ، وأنه أقام مده طويلة في ارض المغرب حتى توثقت علاقته بمن جاوره من قبائل البربر.

أما علاقته بالدولة القوطية في إسبانيا ، فمرجعه أنه كان يتوجه بطلب المعونة إلى هذه الدولة ، ليبعد مدينته عن بيزنطة واضطراب أمور بيزنطة في تلك الفترة [٢٧٥] .

وكان (يوليان) حليفا لملك إسبانيا (غيطشة) الذي تولى عرش البلاد في سنة (٧٠٠م) بعد وفاة أبيه (أخيكا) ، وقد خلع غيطشه من العرش على أثر ثورة قام بها نفر من أنصار (لذريق) وأثار اغتصاب لذريق للعرش نقمه أنصار غيطشه وأبناءه ، فهبوا ضد هذا المغتصب الذي انتزع الملك لنفسه من البيت المالك الشرعي ، وبدأت حركة استقلالية في أطراف البلاد ظلت مستمرة حتى دخول المسلمين أرض الأندلس [٢٧٦] .

وقد بعث يوليان برسالة إلى موسى بن نصير يعرض فيها تسليم معقلة (سبتة) ويدعوه إلى فتح إسبانيا ، فكتب موسى بن نصير إلى إبن عبد الملك يخبرة بأمر هذا المشروع [٢٧٧] .

وقد عمل موسى بن نصير على اجتياز الأندلس بالسرايا بتوجيه الخليفة الوليد خصوصا وأن المسلمين كانت قد عظمت صولتهم في غرب البحر المتوسط ، بالسيطرة على شواطئ المغرب الطويلة المقابلة للأندلس ، وبإنشاء وصناعة السفن في تونس ، ولأن دولة القوط نفسها لم تكن دولة بحرية في قوة دولة الروم ، فهاجم المسلمون في البحر جزيرتي (سنورقة ، وميوزمة) قبالة ساحل الأندلس الشرقي [٢٧٨] .

وبعث موسى بن نصير رجلا من البربر يسمى طريفا ، ويكنى بأبي زرعة في مائة فارسي وأربعمائة راجل ، فسار في أربعة مراكب حتى نزل البحر بالأندلس فيما يحاذي (طنجة) وهو المعروف بـ(جزيرة طريق) سميت باسمه لنزوله هناك، فأغار عليها ، ورجع سالما ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٩١هـ / ٧١٠م) [٢٧٩] .

وفي رجب سنة (٩٢هـ / ٧١١م) جهز موسى جيشا من العرب والبربر يبلغ سبعة آلاف مقاتل بقيادة طارق بن زياد الليثي ، فعبر البحر من (سبته) بجيشه ونزل بالبقعة الصخرية المقابلة التي لا تزال تحمل اسمه(جبل طارق) ، وتوالت انتصارات طارق ، ففتح مدينة (قرطاجنة الجزيرة) ثم سار غربا واستولى على المنطقة المحيطة بقرطاجنة وأقام قاعدة حربية في موضع يقابل(الجزيرة الخضراء) وبعد معارك محلية أكمل المسلمون فتح(الجزيرة الخضراء) وسيطروا على المجاز إلى الأندلس ، وتوجه لذريق لصد المسلمين ، فكتب طارق إلى موسى بذلك ، فأرسل إليه موسى مددا من خمسة آلاف من المسلمين ، وعلى رأسهم طريف بن مالك وأغلبهم من الفرسان ، وبهم كملت عدة من مع طارق اثني عشر ألفا [٢٨٠] .

والتقى الجيشان في ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ -٧١١م ، على وادي (برباط) أو وادي(لكه) قرب مدينة (شذونه) واستمرت المعركة ما يقرب من ثمانية أيام ، وانتهت بهزيمة القوط هزيمة ساحقة ، وكانت هذه المعركة هي المعركة الحاسمة التي فتحت أبواب الأندلس للمسلمين وبدأ طارق يجني ثمار جهاده وانتصاره في وادي لكة ، ففتح (شذونه) عنوة ، ثم مضى إلى (المدور) ثم عطف على (قرمونه) ثم اتجه إلى (إشبيلية) فصالحه أهلها على الجزية ، ومنها سار إلى (اسبخة) وكانت تؤلف المركز الأول للمقاومة ، إذ كانت فلول القوط، قد تجمعت هناك فظفر طارق بصاحب المدينة وأرغمه على الصلح وظفر طارق بصاحب المدينة وأرغمه على الصلح وفرض عليهم الجزية [٢٨١] .

وفرق طارق جيوشه من (اسبخة) ، فبعث مغيثا الرومي مولى الوليد إبن عبد الملك إلى (قرطبة) في سبعمائة فارس ، وبعث جيشا آخر إلى (مالقة) كما بعث جيشا ثالثا إلى (البيرة) أما هو فسار إلى كورة (جيان) بمعظم جنوده في

طريقه إلى (طليطلة) وعبر طارق الوادي الكبير ، فدخل (طليطلة)سنة ٩٣هـ دون مقاومة (٢٨٢) .

وقد عبر موسى بن نصير إلى الأندلس في رمضان سنة ٩٣هـ/٧١٢م من (طنجة) على رأس جيش قوامه ثمانية عشر ألفاً من المسلمين ، ونزل موسى في جبل الفتح (جبل طارق) ، ثم دخل الجزيرة الخضراء وأقام فيها أياماً للتأهب لخوض المعركة القادمة ، فلما عزم على المسير ، جمع حوله رايات العرب . ووجوه الكتائب وعددها يزيد على عشرين راية ، وتفاوض الجميع في الرأي ، وكيف تكون الخطة العسكرية للفتح ، فاجتمعوا على السير إلى (إشبيلية) وفتح ما بقي من غرب الأندلس حتى (أكشونية) ، إذ لم يبرح موسى موضعه حتى أمر بتخطيط الموضع واتخاذه مسجداً ، وكان يقابل باب البحر من أبواب المدينة (٢٨٣).

وسار موسى إلى (شذونة) فافتتحها عنوة ، ثم سار إلى (قرمونة) ولم يكن بالأندلس أحصن منها ، فسأل موسى عن أمرها ، فقيل له : لا تؤخذ إلا باللطف والحيل ، فقدم إليها علوجاً كانوا من أصحاب (يوليان) وغيرهم ، فأتوهم في هيئة المنهزمين ومعهم السلاح ، فأدخلوهم المدينة ، فلما علم موسى بدخولهم بعث الخيل ليلاً ، ففتحوا لهم باب المدينة ، وهو الباب المعروف بباب (قرطبة) ، ثم دخل المسلمون المدينة عنوة (٢٨٤) وسار موسى إلى (رعواق) المعروفة بقلعة وادي (أيره) أو قلعة (جابو) فافتتحها ، وبهذا أمنت خطوط مواصلات المسلمين من الجزيرة الخضراء إلى (قرطبة) إذا أصبحت سلسلة مدائن الجزيرة وشذونة و(رعواق) و(قرمونة) و(أسبخة) و(قرطبة) في يد المسلمين ، وأصبح بإمكان موسى أن يتجه نحو الغرب ليفتح (إشبيلية) كبرى مدائن شبه الجزيرة بعد (طليطلة) آنذاك (٢٨٥) .

لقد كان ترصين قواعد الفتح المتقدمة وتأمين خطوط مواصلات الفتح وحماية الجناح الأيسر (الغربي) لمنطقة فتح طارق ، الأهداف الحيوية الأولى التي حققها موسى بعد إنزال قواته الأندلس [٢٨٦] .

❁ فتح إشبيلية

وتقدمت قوات موسى نحو إشبيلية ، وكانت من أعظم قواعد الأندلس شأناً وأكثرها آثار ، وكانت دار ملك روم روما قبل غلبة القوطيين على الأندلس، فلما غلب القوطيون عليها استوطنوا (طليطلة) وأقروا بها ملكهم وبقي بمدينة إشبيلية علماء أهل روما ورؤساؤهم وحاصرها موسى حصاراً شديداً ، ولكنها (منعت عليه أشهراً ، وأخيراً استطاع فتحها وانسحبت حاميتها إلى (باجة) فترك موسى الحامية ومضى قدماً لتحقيق أهدافه [٢٨٧] .

❁ فتح ماردة

وسار موسى قاصداً (ماردة) متتبعاً طريقاً رومانية قديمة كانت تصل إشبيلية بمارده ، فإستولى في طريقه على بلد تسمى لقنت ، سلم له أهله دون مقاومة فسموا لذلك موالي موسى ، وسمي الطريق التي سلكها موسى (فيج موسى) وتمتد من (لقنت) إلى (ماردة) [٢٨٨] .

وكانت (مارده) أيضاً دار مملكة لبعض ملوك الأندلس في سالف الدهر، وهي ذات عز ومنعه ، وفيها آثار وقصور ، فحاصرها أيضاً ، وكان أهلها في منعة شديدة ، وعمل موسى دبابه ، ودب المسلمون تحتها إلى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونه ، فلما قلعوا الصخر أفضوا بعده سورها وجعلوا ينقبونه، فلما قلعوا الصخر أفضوا بعده إلى شيء يشبه الإسمنت الصلب كان يسمى (الأشة ماسه) فلم تنل منه معاول المسلمين وعدتهم ، وثار العدو بالمسلمين على

غفلة، فاستشهد بأيدي العدو عدد من المسلمين تحت تلك الدبابـــه فســمي ذلــك الموضع (برج الشهداء) واستمر موسى محاصرا لماردة حتى مستهل شوال سـنة ٩٤ هـــ ، فدخلها صلحا في ١ شوال سنة ٩٤هــ / ٣٠ حزيران - ٧١٣ م حيث صالحه أهلها [٢٨٩] .

❁ فتح إشبيلية ثانية

حيث كان موسى محاصرا (مارده) ، ثار عجم إشبيلية وارتـدوا وقاموا على من فيها من المسلمين ، واستشهد من المسلمين نحو ثمانين شـــهيدا ، فلما أن فتح ماردة وجه موسى ابنه عبد العزيز في جيش إلى إشبيلية ففتحـــها ، وقتل أهلها ، ونهض إلى (لبلة) ففتحها أيضا ، فاستقامت الأمـــور فيــها هنـــالك وعلا الإسلام [٢٩٠] ولم يغادر عبد العزيز بن موسى إشبيلية إلا بعد أن ترك فـــي إشبيلية وباجة وليلة حاميات إسلامية لتؤمنها من أي تدبـــير يقــوم بـــه القــوط وكانت حامية بتحة قوية بقيادة قائد عربي هو عبد الجبار قائد ميسرة موسى بـــن نصير [٢٩١] .

أقام موسى بن نصير شهرا في (ماردة) بعد افتتاحها يرتـــب أمورهـــا ، وينجز متطلبات جيشه الإدارية تمهيدا لمتابعة الفتح وتطهير الجزء الشمالي مـــن غرب الأندلس من بقايا القوط وعلى رأسهم لذريق ، وكان موسى قـــد أدرك أن مراكز المقاومة للقوطية بدأت تتجمع في هذه المنطقة بـــالذات لعرقلـــة مســيرة الفتح بالإفادة من وعورة المنطقة ، ظنا منهم أن المسلمين لن يستطيعوا الوصول إليها، واستعدادا للهرب إلى نواحي (قشتاله) و(إسترامادورة) إذا ما وطئت أقــدام المسلمين هذه النواحي من شمال غربي الأندلس [٢٩٢] .

لقد كانت محاولة القوط استرداد (إشبيلية) خطوه مدبرة لقطـــع طريــق الرجعة على قوات موسى ، لولا أن عبد العزيز بن موسى اســـتطاع أن يجمــد

الحركة ، كما تمكن من القضاء على مركز المقاومة في (ليلة) ، فما كادت تسقط (ماردة) حتى تراجع لذريق وتحصن هو وجنوده في شعاب جبال (سيرادي فرانثيا) مما يلى وادي (أنة) إلى الشمال وأقاموا هناك ينتظرون الفرصة لمهاجمة جيوش المسلمين ، وقدر موسى موقف عدوة تقديراً صائباً ، فاكتشف أن العدو له كمين في طريقه إلى (طليطلة) ، ولم يكن موسى ليستطيع السير من (ماردة) إلى (طليطلة) والعدو يهدد خطوط مواصلاته بهذا الكمين ، فكان لا بد له من القضاء على التجمعات المعادية ، لذلك استدعى طارقاً ليلقاه في منتصف الطريق بين (ماردة) و (طليطلة) وخرج طارق بجيوشه ، وسار مسافة قدرها مائة وخمسين كيلوا متر في الطريق الموصل ما بين (طليطلة) و (طلبيرة) وبحذاء واد يقال له (الأروكامبو) وانتظر موسى في هذا الوادي في مكان يسمى المعرض بين (التاجه) ونهر (التيار) [٢٩٣] .

وتابع موسى سيره بعد ذلك في الطريق إلى (طليطلة) حيث التقى بطارق في موضع يقال له(تايد) أو التيار وهو نهير في المنطقة ، لقد اتبع موسى وطارق الطريق الروماني القديم الممتد من (ماردة) إلى (سلمنقة) ، وسار في نقطة إلتقاء الطريقين الموصلين من (ماردة) إلى (سلمنقة) ، ومن (آلية دي تورميس) إلى (ثيوداد رودريجو) ومضى في فج منسوب إليه [٢٩٤] بحذاء نهير سمي من ذلك الحين بـ(وادي موسى) ، وظن لذريق أن الفرصة قد سنحت في المسلمين لتوسطهم هذه الطريق الطويل وبعدهم عن أي مركز يستطيعون من طلب المعونة ، وانقضوا على جيش موسى في ناحية (السواقي) وهي(سيجو بلادي لوس كورنيخو) بالقرب من بلدة(تماس) ، وهناك وقعت فيه المعركة الحاسمة الثانية في سنة ٩٤هـ / ٧١٣م، وفي هذه المعركة لقي لذريق حتفه على يد مروان بن موسى ابن نصير ، وهزم القوط هزيمة نكراء .

إن اشتباك المسلمين مع القوط ، قد شجع عدد من القوط وأنصارهم في (طليطلة) على نقض طاعة المسلمين فانتهزوا فرصة خروج طارق وجنده منها ورغبوا ويثبوا بها ، فاضطر موسى إلى فتحها من جديد [٢٩٥] .

وفي طليطلة ، أقام موسى طوال فصل الشتاء من سنة ٩٤هـ ، يدبر أمرها ثم ضرب عملة ذهبية وأخرى برونزية لصرف رواتب الجند وذلك بدار السكة القوطية بطليطلة ، ثم بعث موسى برسولين إلى الوليد بن عبد الملك ينقلان إليه أخبار هذا الفتح العظيم ، ووقع اختياره على التابعي علي بن رباح وكان رجلاً صالحاً في نحو الثمانين من عمره[٢٩٦] ، ومغيث الرومي فاتح قرطبة ومولى الوليد بن عبد الملك .

❀ فتح شمال الأندلس

لما انقضى فصل الشتاء ، واطمأن موسى إلى هدوء ما بيده من البلاد ، عزم على متابعة الفتح فأخذ يستعد للسير نحو الشمال لإكمال فتح شبه جزيرة الأندلس ، وجمع جيوشه وأكمل أمورها الإدارية ثم سار بها نحو (سرقسطة) الواقعة ، على الضفة اليمنى من نهر (أبره) وكان طارق على مقدمته وسار موسى خلفه في جيوشه ، وافتتح (سرقسطة) وأعمالها وتقدم في البلاد وطارق أمامه لا يمران بموضع إلا فتح عليهما وقد ألقى الله الرعب في قلوب العدو ، فلم يعارضهما أحد إلا بطلب صلح ، وموسى يجيء على أثر طارق في ذلك كله ويكمل إبتداءه ، ويوثق للناس على ما عاهدوه عليه [٢٩٧] ولم تكد طلائع المسلمين تشرف على (سرقسطة) حتى رعب أسقفها (بنسيو) ومن معه من الرهبان ، فجمعوا كتبهم المقدسة وذخائرهم الموروثة وقرروا الهجرة من البلد والفرار بهذه الذخائر ، فلم يلبث موسى أن أرسل إليهم رسولاً يؤمنهم ويعطيهم عهده ، فسكنت مخاوفهم وعدلوا عن مغادرة المدينة [٢٩٨] ، وفتحت المدينة البيضاء (سرقسطة)

أبوابها للمسلمين سنة ٩٤هـ ، ولم يكد المسلمون يستقرون في هذا البلد حتى قام التابعي حنش بن عبد الملك الصنعاني بإنشاء مسجد للمدينة وقد قدر لهذا المسجد أن يتسع حتى أصبح مسجداً جامعاً وظل قروناً متوالية مناراً للإسلام وأهله في هذه النواحي [٢٩٩] .

وبعد فتح (سرقسطة) فتح موسى (وشقة) و(لاردة) و(طركونة) ، وكانت أغلب المناطق التي سار فيها الجيش أرضاً جرداء ، وكانت أغلب المناطق التي يتحدث أهلها اللاتينية ، وبينما كان موسى يعد العده لفتح (جليقة) إذ أتاه مغيث الرومي رسول الوليد بن عبد الملك يأمره بالخروج من الأندلس والتوقف عن التوسع في البلاد ، وأن يعود إلى دمشق ، ولكن قدوم مغيث لم يمنع موسى عن المضي في ذلك ، إذ لم يكن في الأندلس بلد لم يدخله المسلمون إلى ذمته غير (جليقة) ، فكان شديد الحرص على فتحها ، وطلب من مغيث البقاء في الأندلس بعض الوقت ريثما يتم فتح (جليقة) ، وقبل مغيث بذلك بعد أن وهب موسى مغيثاً الموضع الذي ينسب إليه في عهد المسلمين ، وهو (بلاط مغيث) لجمع أرضه من أرض الخمس ، وبعد ذلك بادر موسى بالسير شمالاً لفتح (قشتالة القديمة) تأميناً للحدود الشمالية لإقليم(طليطلة) [٣٠٠] .

وكان يتفرغ من (سرقسطة) طريقان رومانيان يتجهان من الشرق إلى الغرب ، الأول يذهب بحذاء نهر أبره (الأبرو) حتى (هارو) ، ومن هناك يتبع (برفيسكا) ثم (أماية) ، ثم (ليون) و(أسترقة) ، والثاني ينفصل من الطريق الأول عند بدايته ويتجه إلى (قلونية) و(بلنسية) ، ويلتقي بالطريق الممتد من (ماردة) إلى (أسترقة) في مدينة (بنافسي) وكان لا بد لموسى من السير في كل من هذين الطريقين : مقسم جيشه إلى قسمين ، قسم بقيادته والآخر بقيادة طارق .

واختار موسى الطريق الثاني ، وعهد إلى طارق بالسير في الطريق الأولى أدنى سفوح جبال (كنتبرية) .

وشرع طارق بمهاجمة (اليشكنس) غربي نهر (أبرة) ،فلم يجد زعيم هذه المنطقة (فرتون) بداً من الدخول في طاعة المسلمين بل اعتنق الإسلام، ولذلك أعفيت(شيه) منطقته من التخميس ، وإليه ينتسب بنوفسى أصحاب الثغر الأعلى الذين كان لهم شأن في تاريخ المسلمين في الأندلس (٣٠١) .

ثم تابع طارق سيره ، ففتح (أماية) و(أسترقة) .

وسار موسى نفسه على الضفة الشرقية لنهر(إبره) في إقليم (قشتالة) فأطاعه معظم من مر بهم من رؤساء هذه الناحية ، وقد لقي بعض المقاومة عند حصن (بارو) أو (بازو) في مقاطعة (بلد الوليد) التي لا يزال يطلق عليها الإسبان اليوم (فاليا دوليد) ، وبدلاً من أن يعرج على (أسترقة) ليلتقي فيها بجيش طارق ، انحرف إلى الشمال واخترق باب (تارنا) ، وسار متابعاً مجرى نهير (النالون) ثم حط رحاله عند قلعة (لُك) ب(إشتوريش) غير بعيد عن (أبيط) ، ومازال بها حتى فتحها ، ثم سار بنفسه حتى بلغ(ضيغون) وأقر فيها حامية وجعلها حصناً لما فتحه من البلاد في تلك النواحي البعيدة ، ثم بعث سرية من مرساته أدركت البحر عند صخره (بلاي) على بحر الظلمات فطاعت الأعاجم، ولاذوا بالسلم وبذل الجزية (٣٠٢) .

وهكذا وصلت جيوش موسى حتى البحر المحيط ، فاطمأن إلى أن فتح شبه الجزيرة كلها ، لذلك شعر أنه لم يعد هناك معنى للاسترسال في الفتح ، وكان موسى يترك في كل قلعة يفتحها حامية من المسلمين ، فتفرق جنده ، وطال السير بمن بقي معه منهم ، ونال منهم الجهد ، فمالت نفوسهم إلى العودة ، فاكتفى موسى بوصوله إلى (ضيخون) ، وقرر العودة ، غير أن عدداً كبيراً من القوط قد تراجعوا أمامه واحتموا في نواحي (إشتوريش) و(جليقة) ، وكان المسلمون يحسبون أنهم قضوا على القوط حتى لم يبق منهم إلا ثلاثون رجلاً والواقع أن من بقي من القوط آنذاك قليلاً ، ولكن العرب شغلوا بأمور أنفسهم ، فاستطاعت

هذه الحفنة القوطية أن تطمئن في هذه النواحي القاصية القاحلة ،وأن تنتظر لننتهز في المسلمين كل فرصة تسنح [٣٠٣] .

ولما انتهى موسى في فتوحه إلى هذا الحد القاصي كان لا بد أن يعود لا إلى(طليطلة) أو (قرطبة) فقط بل إلى دمشق ، فقد كان مغيث الرومي رسول الخليفة يتعجله وكان الوليد بن عبد الملك قد بعث إليه برسول آخر يكنى أبا نصر، وقد اتاه وهو في مدينة (لك) بـ(جليقة) [٣٠٤] .

كما أن موسى بن نصير بعد أن افتتح (سرقسطة) بعث سراياه إلى (قطالونه) ففتحت (برشلونه) ، ومن هناك اخترقت جبال البرتات (البرانس) ، وتوغلت في بلاد (غاله) ، فاستولى على (أربونه) وصخره (أيسيثون) وحصن (لودون) على وادي (ردونه) وهو وادي نهر (الرون) ، ولا تستبعد أن تكون قوات موسى قد افتتحت (برشلونه) و(لارده) وجزء من إقليم (قطالونية) وأنها قد وصلت إلى جبال (البرتان) واجتازتها إلى (قرقشونه) ، وهو نفس الطريق الذي اتبعه السمع بن مالك بعد ذلك بسنوات ولكن فتح موسى هذا لم يكن فتحا مستداما إنما كان بقوات استطلاعية خفيفة استطاعت جمع المعلومات عن تلك المنطقة من بلاد فرنسا تمهيدا لفتحها فيما بعد [٣٠٥] .

كذلك فتح عبد العزيز بن موسى ما بقي من مدائن الأندلس ، إذ لم يفتح المسلمون جميع أنحاء شبه الجزيرة فقد بقيت في البلاد مناطق لم تصل إليها جيوش المسلمين بعد، وقد تجمعت في بعض الأقاليم غير المفتوحة وفي الجيوب الجبلية النائية الوعرة مراكز للمقاومة القوطية ضد المسلمين ، فاقتضى الأمر إخماد هذه المقاومة وإتمام فتح الأندلس [٣٠٦] .

سار عبد العزيز على رأس جيشه لاستكمال فتح غرب الأندلس (البرتغال حاليا) ، حيث أنه بينما كان موسى بن نصير وطارق بن زياد يفتحان البلاد من

(سرقسطة) عبر (قشتالة) القديمة ،توجه في سنة ٩٥هـ / ٧١٤م نحو (يـابرة) و(شنترين) و(قلموية) وظل فتحها إلى أقصى الغـرب بقصـد ملاقـاة الفـرق الإسلامية في (أسترقة) ،حيث أنه قد فتح (شنترين) و(قلموية) صلحا [٣٠٧] ، لقـد كان موسى بن نصير يحسب حسابه بدقة متناهية حيث أن الموقف العسكري كان يحتم عليه أن يحمي جناح تقدمه الأيسر ، وذلك إثناء فتوحاتـه الأخـيرة ، وإلا تعرضت خطوط مواصلاته الممتدة بالعمق شمالا إلى تهديد العدو الرابض فـي غرب الأندلس (البرتغال) ، فلم يكن باستطاعة موسى أن يتقدم شمالا ما لم يؤمن جناحه الأيسر بالحماية اللازمة ، وذلك بفتح هذه المنطقة ، ولم يكن هناك أولـى بفتحها من عبد العزيز بن موسى الذي كان قد وصل إلى (باجة) القريبـة مـن غربي الأندلس [٣٠٨] .

وقد بادر موسى بالعودة من (لك) بـ(جليقة) مع أبي نصـر الرسـول الثاني للوليد بن عبد الملك ، وكان مع أبي نصر رسالة الوليد إلى موسى يـأمره بالخروج ، فأخذ موسى في طريق العودة في أواخـر سـنة ٩٥هـ/ ٧٤١م ، وإلتقى مع مغيث الرومي بنواحي (ليون) ، وهناك أدركهما طارق عـائدا مـن (أسترقة) ، وساروا جميعا فاخترقوا (نتج موسى) في طريقهم إلى(طليطلة) ، ولم يقم موسى في (طليطلة) وإنما مضى حتى دخل (قرطبـة) ، ثـم مضـى إلـى (إشبيلية) حيث ركب البحر ومعه طارق ومغيث الرومي وأبو نصـر فـي ذي الحجة سنة ٩٥هـ ، وكان معهم (يوليان) ، وفي (إشبيلية) استخلف موسى ابنـه عبد العزيز بعد أن اختارها عاصمة للأندلس ، لاتصالها بالبحر[٣٠٩] ، وترك معه الجند ومن يقوم بحماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو[٣١٠] .

أبحر موسى ومن معه من(إشبيلية) ، وكان يأمل أن يخترق ما بقي عليـه من بلاد أفرنجة ، ويقتحم الأرض الكبيرة حتى يصل بالشام ، مؤمـلا أن يتخـذ

مسلكا بتلك الأرض طريقا واضحا يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق وإليه على البر لا يركبون بحرا [٣١١] .

وقد استخلف موسى ابنه عبد الله على إفريقية وابنه مروان على (طنجة) و(السوس) ، فمر في طريق عودته ب(القيروان) ثم قدم (مصر) سنة ٩٥هـ ، ثم سار متوجها حتى أتى فلسطين و بلغ دمشق سنة ٩٦هـ / ٧٥١م [٣١٢] .

ويبدو أن الوليد ومن بعده سليمان اعتقد أن موسى غرر بالمسلمين ، وأنه عرضهم للممالك بتغلغله إلى حدود بعيدة في الأندلس ، كما أنهما خشيا من طموح موسى في التقدم في بلاد أبعد من الأندلس فيقود المسلمين إلى رومية ، وأن موسى أراد أن يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز إلى الشام دروبه ودروب الأندلس ، ويخوض إليها ما بينهما من أمم الأعاجم النصرانية مجاهدا فيهم ، إلى أن يلحق بداية الخلافة كما أن الوليد لم يكن مطمئنا على أمن المسلمين في الأندلس ، إذ خشي تغلب العدو عليهم ، كذلك كان طموح موسى في التوسع بالفتح ، سببا واضحا لاستدعائه إلى دمشق [٣١٣] .

وبهذا الفتح العظيم ، الذي لم يستمر أكثر من ثلاث سنوات امتدت رقعة أرض الإسلام إلى قارة أوروبا باقتطاع شبه جزيرة الأندلس ، التي أصبحت مثل الكم في ثوب الإسلام [٣١٤] .

❁ فتح بلاد ما وراء النهر

إن سياسة فتح بلاد ما وراء النهر لم تنتظم إلا في عهد الوليد بن عبد الملك ، فقد أرسل الحجاج ، بدل المفضل بن مهلب قتيبة بن مسلم ، وتولى قتيبة بن مسلم قيادة جيش المشرق وولاية خراسان سنة ٨٦هـ/٧٠٤م ، وكان قد تدرب على الإدارة وقيادة القطاعات العسكرية خلال ولايته للري ،وكان فتى يتحرك شوقاً للجهاد في سبيل الله وإعلاء شأن العرب والإسلام [٣١٥] .

وفي سنة ٨٦هـ/٧٠٤م تقدم قتيبة بن مسلم الباهلي من مرو باتجاه الشرق مع أعالي نهر جيحون في ولاية طخارستان وهي التي تشكل شمال أفغانستان الحالية ماراً بمدن أندخوى وبلخ وخولم حتى استقر في الطالقان وبعد وصوله إلى الطالقان بقليل وصلها جيش بلخ ودها فينها لمساعدته في عبور النهر، وبعد أن تجمع جيشه بكامله عبر جيحون فتلقاه ملك الصاغنيان بالهدايا والترحاب (والصاغنيان هي منطقة وادبي كافرنيكان وسورخند وتشكل القسم الجنوبي من طاجكستان) وكانت هناك مراسلات بين قتيبة وهذا الحاكم جعلته يدخل الصاغنيان بدون قتال [٣١٦] .

إن ملوك آخرون وشومان (القسم الأوسط من طاجستان) كان في عداء مع الملك الصاغنيان ويهاجمه باستمرار ، ثم تقدم قتيبة نحو آخرون وشومان وقد انضم إلى جيشه الملك تيش ملك الصاغتيان انتقاماً من ملك شومان عدوه فأخطر حاكم آخرون وشومان الى الاستسلام وقبول الصلح بشروط قتيبة [٣١٧].

وبعد ذلك عاد قتيبة مع قسم من قطعانه إلى مرو ولم يتبع طريق ترمز مرو أو طريق زم – مرو ، بل سار مع جيحون شمالاً إلى الغرب من بخاري وهي هدفه القادم وعبر جيحون عائداً من آمل (جهارجوي) وأفرز قسماً من جيشه بقيادة أخيه صالح بن مسلم للتقدم باتجاه شمالي شرقي نحو فرغانة – واستطاع صالح بن مسلم فتح أخشيكت (وهي فرغانة القديمة) ومدينتي كاسان

وأورشت من مملكة فرغانة ، وكان نصر بن سيار يرافق صالح بن مسلم في هذا الفتح (٣١٨) .

❁ فتح بيكند

إن خطة قتيبة كانت الشروع بالحركات العسكرية في الربيع والعودة قبل حلول الشتاء إلى مرو ، لكي يجنب قطاعاته الشتاء القاسي فيما وراء النهر ولكي يعد العدة لحملة جديدة وإراحة قطاعاته والقيام بعملية إعادة التنظيم .

وكانت مدينة بيكند تقع على مسافة أربعين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من بخارى على نهر زرفشان وعلى الطريق التجاري المهم الذي يربط بخاري بالمرور عبر مدينة آمل على جيحون (٣١٩) .

وكانت من أهم المدن التجارية بين الصين وبحر الخزر وخراسان علاوة على أنها منطقة زراعية إذ تقع في سهل بخارى الغني بمياه نهر زرفشان (ناثر الذهب) ، وكانت المدينة محاطة بأسوار ضخمة ومحمية بقوة كبيرة لذلك سميت (المدينة ذات النطاق النحاسي) لكثرة دروع وأسلحة الحرس على الأسوار (٣٢٠) .

تقدم قتيبة بقواته العربية معززة بقطاعان المسلمين من خراسان وطخارستان والصاغنيان وكان فيهم نيزك طرخان حاكم بادغيس وحاكم بلخ وملك الصاغنيان ، وكان التقدم يجري على طريق مرو – زم وهي الآن تسمى (كركي) فعبر نهر جيحون من زم واتجه باتجاه شمالي غربي من جيحون قاصداً بيكند ، وقد استعدت حامية بيكند للحصار ، بينما إستنجد حاكم بخارى ، فجمع كل محازي الصغد من دولته ومن الدول المجاورة له من الشاش وأشروسنه وغيرها.

حاول قتيبة اقتحام الأسوار ونظراً لتوقف العدو ومعرفة البخاريين أراضيهم وطبيعتها فقد تمكنوا مع حلفائهم الأتراك وقطعان الدول التي أنجدتهم

من تطويف الجيش العربي الذي كان يحاصر بيكند ، فقطعت كافة خطوط مواصلاته وبات في ضيق شديد وانقطعت أخباره عن الحجاج في الكوفة (٣٢١).

حاول البخاريون (الصغد) حمل قتيبة على التراجع بعد هجمات شديدة مستغلين تفوقهم الكبير بالعدد فلم يفلحوا بذلك ، ثم انطلقوا يذيعون الشائعات عن موت الحجاج فلم يجدهم ذلك كله فتيلا تلقاء ما كان عليه قتيبه من شجاعة خارقة وإقدام ، واشترك الفريقان في قتال انتهى بهزيمة الترك ، ففر فريق منهم وقد ملئ رعبا في حين لاذ آخر بمدينة بيكند الحصينة (٣٢٢) .

حاول قتيبة دك أسوارها لفتح ثغرات في أسفل الأسوار ، إلا أن حامية المدينة طلبت الصلح فوافق قتيبة بعد أن حاصرها خمسين يوما ، وعين لها حاكما من قطعانه وهو ورقة بن نصر وعاد منسحبا إلى مرو ، وما أن ابتعد عن بيكند (٥) فراسخ أي (٣٠) كيلو مترا حتى علم بتمرد بيكند واستشهاد ورقة بن نصر فاستدار نحو بيكند ، فحاصر المدينة التي حاولت الصلح فرفضه قتيبة وأصر على مهاجمتها فباشر ينقب أسوارها بفتح ثغرات فيه بواسطة المنجنيق حتى هدم أسوارها واقتحمها وأباد حاميتها (٣٢٣) .

وكانت حامية بيكند مدججة بالسلاح وفيها مخازن ومستودعات كبيرة للأسلحة ، لهذا قرر قتيبة مصادرة الأسلحة لتسليح قطاعات جديدة ، وكان فتح بيكند في سنة ٨٧هـ / ٧٠٦م (٣٢٤) .

بعد التجربة التي خاضها قتيبة في فتح بيكند ، ونظرا لتفوق الصغد وحلفائهم من الأتراك والأشروشين لذلك فإنه اتخذ قرارين مهمين في سير الحركات العسكرية وهما أن يتقدم ببطئ وحذر ، وأن يعزل بخارى ، وذلك بفتحها لوحدها مستقبلا .

وفي عام ٨٨هـ/٧٠٦م ، تقدم الجيش العربي من مرو التي عاد إليها بعد فتح بيكند لقضاء الشتاء ، وعبر أموداريا (جيحون) من رم ، ففتح نومشكث وكرمينية وهما إلى الشرق من بخارى ثم تقدم إلى رامتنة الكائنة شمال بخارى فاستسلمت دونما قتال وقبلت الصلح فعاد الجيش العربي منسحباً من رامتنة (٣٢٥).

وكان أمير الصغد في بخارى قد استنجد بحكام الدول الشرقية من الأتراك والفرغانيين والأشروشيين والإيغوريين الصينيين ، فتقدم جيش عظيم من هؤلاء الحلفاء ، فحصل جيش الحلفاء على النحاس بمؤخرة الجيش العربي ، وكان على الساقة (مؤخرة المؤخرة) عبد الرحمن بن مسلم شقيق قتيبة ، وأن العدو كاد أن يتغلب على المؤخرة التي كان يقودها عبد الرحمن بن مسلم ، إلا أن ظهور قتيبة بنفسه في ميدان المعركة قد رفع من معنويات جيشه ، ودارت معركة طاحنة ، أبلى فيها قتيبة وكل جندي عربي ومسلم بلاء حسناً ، فتمكنوا من توجيه طعنات مميتة وطعنات ساحقة لجيش الحلفاء ، فتراجعت فلولهم مذعورة نحو الشرق ، وبعد أن أعاد قتيبة تنظيم قطاعاته استمر في انسحابه نحو مرو .

إن قتيبة استعمل الحيلة والمفاوضات لتفريق خصومه ، فقد أرسل حيان النبطي، لمقابلة طرخون ملك الصغد ، بما فيها بخارى موضحاً له بأنه إذا أندحر المسلمون وانسحبوا فإن حلفاءه من الأتراك والشاشي والتركستان الصينية بقيادة كور مغان إبن أخت ملك الصين ، سوف يخلعونه من العرش وسيسيطرون على بلاده ، ومن الأسلم له أن يعقد صلحاً مع قتيبة بحجة أن إمدادات كبيره قد وصلت لقتيبة ، وأنه لا طاقة له بهم وأنه قرر الانسحاب ، فسوف ينسحب الآخرون ، وهذا ما تم فعلاً إذا انسحب ملك الصعد وباشر الآخرون بالانسحاب تباعاً (٣٢٦) .

❁ فـــتح بـــخارى

في سنة ٨٩هـــ /٧٠٧م ، كان قتيبة قد عزل بخارى بعد أن أخضع فـــي السنة الماضية المناطق المحيطة بها ، فاستلم وصايا الحركات من الحجاج بـــن يوسف الثقفي ، قائد الجبهة الشرقية ووالي العراق ، بالتقدم نحو وردان الكائنـــة إلى الشمال من بخارى [٣٢٧] .

تقدم قتيبة بجيشه نحو وردان ، إلا أن التغير العام الـــذي أعلنـــه حـــاكم بخارى وجموع الحلفاء الصغدين وغيرهم قد تجمعوا لصده في خرقانة الســـفلى على يمين وردان ، ومع ذلك فبعد قتال شديد دام يومين وليلتين تمكـــن الجيـــش العربي من دحرهم ، إلا أنه لم يتمكن من التغلب علـــى وردان خـــداه (ملـــك بخارى) الذي تحصن في مدينة وردان، فعاد منسحبا إلى مرو لإعادة التنظيم .

إن الحجاج ، طلب مزيدا من المعلومات من قتيبة مع خريطـــة لميـــدان الحركات ،وأن الحجاج طلب من قتيبة في رسالته(أن صورها،فبعث بصورتـــها) وقد استلم قتيبه جوابا لرسالته ، وفيها وصايا الحركات الجديدة من الحجاج .
وأنه ينصح بأن تبدأ الحركات بتطهير منطقة كش (كش بكش) حيث تقـــع كـــش إلى الشرق من مدينة نسف ، تم مهاجمة مدينة نسف ، ثم هاجم مدينـــة وردان ، وانتبه وخذ الحذر ضد التطويق ، وأسرع نحو أهدافك بخـــط مســـتقيم وتجنـــب منعطفات الطرق [٣٢٨] .

تقدم قتيبة بجيشه عام ٩٠هـــ/٧٠٧م، فتمكـــن مـــن تطويـــق بخـــارى دوردان، إلا أن جموع الصغد وحلفائهم التي قد تجمعت فـــي ميـــدان المعركـــة لنجدة بخاري حسي استغاثة وردان ضداه (الملك وردان) قـــد شـــجعت حاميـــة بخارى على الخروج الطوق ، فدار اعنف قتال شهدته المعركة بيـــن الجيـــش العربي وحلفاء بخارى، وحاول قتيبة دحر الحلفاء بهجمات متتالية دونما طـــائل لذلك قرر أن يقدم الفرقة الأزدية قتالا ضاريا (قبيلـــة الأزد اليمانيـــة) فقـــاتلت

الفرقة الأزدية قتالا ضاريا بهجمات متتالية إلا أنها فشلت في تحقيق أهدافها ، فأوعز قتيبة للفرقة الأزدية بمواصلة القتال ريثما دفع بكتائب الخيالة العربية بحركة إحاطة من الجانبين (حركة كماشه) فأثرت الإحاطة الراكبة هذه على الموقف فتراجع الحلفاء إلى مرتفع عبر نهر زرفشان (٣٢٩) .

ثم أوعز قتيبة إلى الفرقة التميمية بالتقدم وعبور النهر وتأسيس رأس جسر وإزاحة المقاومة الصغدية على التل فتقدم قائد الفرقة وكيع بن حسان بن قيس التميمي وكان قائد كتيبة الخيالة في الفرقة هريم بن أبي طلحة ، وقد تمكنت الفرقة من دفع العدو إلى ما وراء النهر ثم أمر وكيع بنصب جسر من خشب على الزرفشان ، فعبر الفرسان العرب النهر فدارت معركة عنيفة صمد فيها الصغديون والأتراك ولإزالة المقاومة طلب قائد الفرقة من هريم قائد الخيالة القيام بحركة إحاطة للموقع ريثما يتهيأ له مهاجمته من الجبهة بغية اشغال العدو وجلب انتباهه لحركة الإحاطة والتطويق فدار قتال عنيف على المرتفع وقائد الجيش قتيبة يراقب الموقف عن كثب فانهزم العدو فتراجع بغير انتظام ولكي يضرب القائد ضربته الحاسمه أوعز قتيبة بمطاردة شديدة للعدو (٣٣٠) .

أن الملك طلب الصلح لمدينة بخارى ، إلا أن قتيبة قد أعد كمينا لكي يهجم على الباب فور فتحها له ، وإذا ما تغلب الكمين على حرس الباب فإنه سيأخذ المدينة عنوة .

وبعد أن فتحوا الباب هاجمها الفرسان العرب وتغلبوا على الحرس وكان قتيبة قد دخل بخارى فاتحا ، ولغرض إعادة التنظيم عاد قتيبة إلى قاعدته مرو.

بعد فتح بخارى عاد الجيش ، وعند الوصول إلى آمل استأذن ينزك طرخان ملك بادغيس في العودة إلى طخارستان ، فأذن له قتيبة إلا أن ينزك تمرد عند وصوله إلى بلاده فأرسل قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم في ١٢ ألف

مقاتل لإعادة فتح بادغيس وبلخ والطالقان ، فتقدم عبد الرحمن وتبعه قتيبة بعـــد انقضاء الشتاء فأعاد فتح البروقان والجوزجان والطالقان وظل عبد الرحمن على مقدمة جيش قتيبة يطارد ينزك وجيشه من واد لآخر حتى تحصن بـــترك فـــي الكرز ، وكان مضيق الكرز من الوعورة بمكان ، إذ ليس له إلا طريق اقـــتراب واحد أغلقه ينزك بقوة، وهنا بدر لقتيبة أن يستدرج ينزك بالحيلة والخداع ، فدعا قتيبة أحد وكلائه وكان صديقا لينزك ، واسمه سليمان الناصح ، فطلب منـــه أن يتصل بنيزك ويستدرجه على أن لا يعطيه الأمان ، وأرسل مع سليمان النـــاصح جنودا من خيرة الفرسان ، استعملهم سليمان بعد أن استدرج ينزك للصلح ، فـــي عزل ينزك عن جنوده بغلق مدخل المضيق ، وجلب بنزك إلى قتيبة ومع ذلك لم يقتله قتيبة بل ، كتب يستأذن الحجاج بقتله ، فجاءه جواب الحجـــاج بالموافقـــة ، ليكونن مثلا لكل مرشد وناكث بالعهد [٣٣١] .

لقد قضى قتيبة عامي ٩١هـــ / ٩٢هـــ في توطيد الأمن في أفغانســـتان بعد الفتن التي أثارها ينزك وبعد امتناع ملك شومان من دفع الجزية ففتح قتيبـــة شومان ثانية وهي القسم الجنوبي من طاجاكستان كما عقد الصلح مع الملك وتبيل الأعظم في سجستان .

وأخمد تمرد مدينتي كشف ونسف ، ووطد الأمن تماما في كل بلاد مـــا وراء النهر بين جيحون ووادي زرفشان [٣٣٢] .

❃ فـــتـــح خـــوارزم

كذلك امتدت فتوحات قتيبة إلى دولة خوارزم غرب أموداريا (جيحون) ، وإلى الجنوب من بحيرة أورال وهي تجاور مملكة بخارى في الشمال الغربي ولا يفصلها عنها سوى نهر جيحون نفسه .

وأنه كان لملك خوارزم شاه أخ اسمه خورزاد ، وأنه كان يتحكم في الأمور ، وقد طغى وتجبر وعاث فسادا في خوارزم ، ولم يكن خوارزم شاه قادرا على ردعه ، وقد جرت مراسلات بين قتيبة وخوارزم شاه ، وقد جرى الاتفاق السري بين الاثنين على أن يقضي قتيبة على الملك خام جرد ، الذي كان يعادي ملك خوارزم ويغزوه باستمرار، وأن يقضي في نفس الوقت على شقيقه خورزاد ، ومقابل ذلك يسمح ملك خوارزم لقتيبة بدخول مملكته ، والاتفاق على صلح ، يكون خوارزم شاه بموجبه حليفا للمسلمين [٣٣٣] .

وفي سنة ٩٣هـ/ ٧١١م تقدم قتيبة من مرو وعبر جيحون ، وقد أشاع أنه يهدف إلى التقدم نحو الصغد (سمرقند) وقد ساعد ذلك ما تحدث به ملك خوارزم لشعبه ، أن قتيبة يريد الصغد وليس خوارزم ، وما هي إلا عدة أيام حتى استدار قتيبه بجيشه نحو الغرب فوصل إلى مدينة هزارسب على جيحون فاستشار خوارزم شاه الذي كان قد اتفق سرا مع قتيبة على هذه الخطة ، أجابهم (لكني لا أرى ذلك لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ، ولكني أصرفه بشيء أؤديه إليه ، فأجابوه إلى ذلك) [٣٣٤] .

فسار ملك خوارزم بجيشه إلى مدينة الفيل ، وهي أحصن بلاده والمواجهة لمدينة هزارسب التي فيها قتيبة ، واتفقا على أن يدفع الخوارزميون عشرة آلاف رأس غنم على أن يعين قتيبة خوارزم شاه على مملكة خام جرد عدوه .

ولما كان خورزاد قد إلتجأ إلى خام جرد ، فقد أرسل قتيبة جيشا بقيادة أخيه عبد الرحمن بن مسلم فقضى على جيش خام جرد ، وعاد بأربعة آلاف أسير بينهم شقيق خوارزم شاه فدفع قتيبة بالأسرى إلى الملك الخوارزمي ، وولى قتيبة أخله عبد الله بن مسلم حاكما على خوارزم [٣٣٥] .

❁ فتح سمرقند

كانت سمرقند تشكل أمنع حصون الصغد وأقوى المدن الحصينة في بلاد ما وراء النهر ، وكان ملكها غورك قد استولى على الحكم بعد مقتل ملكها تارخون الذي سبق أن قبل بالصلح مع المسلمين ، بينما أدى الأمير ديفا شتيج أولاد الملك القتيل ولقب نفسه بلقب قيصر الصغد جمع قتيبة قطاعاته وألقى فيهم خطاباً أوضح فيه أن بلاد الصغد شاغرة ، وأنهم قد نقضوا العهد ونكلوا بالحامية العربية ،وأنه قد عزم على فتح سمرقند ، ثم تقدم وراء عبد الرحمن فوصل إلى سمرقند بعد حصول عبد الرحمن على النحاس بحامية سمرقند الصغدية بثلاثة أيام ، وأن المدينة قررت قبول الحصار فحاصرها شهراً (٣٣٦) .

على أثر تقدم قتيبة بجيشه العربي يسانده ملك خوارزم وملك بخارى نحو سمرقند ، كتب غورك ملك سمرقند إلى الدول التركية المجاورة ،وهي الشاش (عاصمتها طاشقند) وأشروسنة ، وفرغانة وتحصنت الحامية التركية وراء أسوار سمرقند الحصينة ، وكان ذلك في عام ٩٣هـ / ٧١١م .

حاول قتيبة اقتحام المدينة عدة مرات إلا أنه كان يصطدم بمقاومة عنيفة ، وقد بذل الطرفان جهدا جبارا في الصراع من أجل النصر ، لأن الطرفان كان يعتبر معركة سمرقند حاسمة ، وقد دام حصار قتيبة للميدنة شهرا كاملا ، تمكنت خلاله النجدات التركية من الشاش وأشروسنة وفرغانة من الوصول إلى ميدان المعركة ، انتخب الفرغانيون والشاشيون خيرة جنودهم وفرسانهم والمعدودين من أبطالهم ، وكان من بينهم أبناء الملك والأمراء وولوا قيادة جيش النجدات هذه للابن الأصغر لخاقان الترك واسمه إينيل خاقان ، تقديراً منهم أن المعركة حاسمة ولا بد من الانتصار فيها (٣٣٧) .

عندما بلغ قتيبة نبأ النجدات باتجاه سمرقند لفك الحصار عنها ، انصرف إلى دراسة الموقف العسكري مجدداً ، وعلى ضوء الظروف الجديدة والقوى الكبيرة التي ستدخل ميدان الصراع ، لذلك انتخب قتيبة ستمائة فارس من خيرة فرسان العرب ، وشكل منهم كتيبة بقيادة أخيه صالح بن مسلم ، ، وقد أمر قتيبة صالحاً أن يتقدم على الطريق ويكمن على مسافة فرسخين (١٢ كيلوا متر) وأن يقطع رتل النجدات بهجوم ليلي مباغت .

تحرك صالح وكتيبته ، وقرر صالح بعد استطلاع المنطقة الكائنة شرقي سمرقند وعلى طريق سمرقند – طاشقند تقسيم الكتيبة إلى كميتين – أحدهما يمين الطريق والآخر يساره [٣٣٨] .

بعد أن وصل الرتل المعادي واجتاز منطقة الكمينين لمدة مناسبه ، باشر الكمينان بهجوم صاعق ليلاً أرعب رتل العدو بمباغتة تامة ونشر الفوضى في صفوفهم ، وصار فرسان العرب يحصدون عدوهم حصداً في هجوم اتصف بكل معاني العزم والنجدة والشهامة ، إذ كان كل فارس في الكتيبة يعرف أهمية هذه المعركة ويدرك مدى خطورة وصول هذه النجدات إلى سمرقند ، وحسب الخطة التي وضعها قتيبة ، سحب أكثر قطاعاته من وراء أسوار سمرقند بسرية وكتمان شديدين كي لا تشعر به حامية المدينة ، فتخرج من الأسوار وراءه ، لتخفيف ضغطه على رتل النجدات ، فشن هجوما صاعقاً على جبهة رتل العدو الذي قطعه الكمين فدارت أشرس معارك ما وراء النهر في تلك المعركة الليلية [٣٣٩] .

وبعد إبادة رتل النجدات إبادة تامة عاد قتيبة مسرعا إلى أسوار سمرقند ، وقرر أن يدكها ويفتح المدينة مهما كلف الأمر ، وبعد أن أدام عليها قتيبة قصفاً مستمراً ليلاً نهاراً ، بواسطة المنجنيقات لإحداث ثغرات في الأسوار ، ثم دفع بقطاعاته من رماة السهام والنبال للتقرب من الثغرات لتغطية هجوم المشاه ،

فإقتحم المدينة بعاصفة من الجنود العرب الأشاوس ، ففتح المدينة واستسلم غورك ولكن حكمه قتيبة وبعد نظره ، قادته إلى إبقاء غورك حاكماً على الصغد ، وذلك بعد تحطيمه بنفسه هياكل المجوس ، ونظراً لأنه لم يمسه شيء فقد آمن عدد كبير منهم بالإسلام ، وقام بإبقاء حامية عربية داخل سمرقند وتعيين حاكم عربي للمدينة، ثم بنى في سمرقند مسجداً سماه مسجد قتيبة [٣٤٠] .

❁ فتح الشاش (طاشقند) وفرغانة

بعد أن عاد قتيبة إلى مرو فور إنتهائه من فتح سمرقند ، وجد أنه من المستحيل استتباب الأمن والنظام ما لم يقض نهائياً على القوات المسلحة للدول الثلاث الباقية إلى الشرق من الصغد (سمرقند) ، وهي الشاش وعاصمتها طاشقند، وأشروسنه، وعاصمتها خوجندة، وفرغانة عاصمتها فرغانة [٣٤١] .

وكانت خطته تقضي بالتقدم على جميع تلك الدول في آن واحد ، وكان هدفه تجميد قطاعات كل دولة داخل حدودها ، وعدم السماح لهم بنجدة الواحدة للأخرى ، لذلك وضع خطته للتقدم برتلين الأول الرتل الجنوبي بقيادته هو نفسه ، يتقدم على طريق سمرقند – خوجنده – فرغانة– كاشان ، وكان الرتل مؤلفاً من العرب – إذ أنه توقع مقاومة شديدة ، سيما وأنه سيقوم بحركات ضد دولتين أما الرتل الشمالي ، ويتألف من محاربي المناطق المفتوحة من مسلمي خوارزم ، بخاري ، سمرقند ، كش ، ونسف وغيرهم ، ويتقدم على طريق سمرقند – طاشقند ثم يلتقي بالرتل الجنوبي في كاسان [٣٤٢] .

وفي عام ٩٤هـ /٧١٢م ، تقدم قتيبة من مرو عابرا جيحون ، وتوجه إلى منطقة التحشد في سمرقند ، حيث تحشدت أيضاً قطاعات الرتل الشمالي ،وجرى تنفيذ الخطة، إذ تقدم الرتل الجنوبي بقيادته على محور سمرقند ، خوجنده

فأخضعها بعد عدة معارك شديدة ، كما قام بحركات في المنـــاطق الجبليـــة مـــن اشروسنة ظن علاوة على سهولها ، لفتح كل أراضي الدولة ، ثـــم اندفـــع نحـــو خوجندة، فرغانة ففتح فرغانة بعد عدة معارك مع الفرغـــانيين ، ولـــم يلـــق أي مقاومة تذكر في دولة فرغانة [٣٤٣] .

وتقدم الرتل الشمالي على محور سمرقند طاشقند فخاض معركـــة عنيفـــة حول طاشقند التي أبدت مقاومة شديدة انتهت بإحراقها ، وللقضاء على أية مقاومة تذكر في بلاد الشاش ، ودفع قتيبة الرتل الشمالي إلى إسفيجاب (مدينة جمكنـــت حالياً) والكائنة على مسافة ١٢٠ كيلو متراً إلى الشمال من طاشقند ، فاحتلها الرتل ثم انحدر جنوباً إلى طاشقند ، ومنها توجه شرقاً على محور طاشقند – كاســـان ، فالتقى بالرتل الجنوبي الذي وصلها قبله .

وبعد هذا النصر اللامع عاد حسب عادته لقضاء الشتاء ، وإعادة التنظيـــم وإراحة قطاعاته في مرو ، وفي عام ٩٥هـــ /٧١٣ م ، وردت إليه نجدات جديدة من العراق ، وتقدم نحو الشاش (طاشقند) نظراً لوجود تمرد فقضى بسهولة عليه، وبينما هو في طاشقند بلغه نبأ وفاة والي العراق ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، فعاد إلى مرو ، ولكنه استلم رسالة من الخليفة الوليد بن عبـــد الملـــك تثـــبته فـــي منصـــبه[٣٤٤].

❁ فـــتـــح كـــاشغر الصينية

كذلك امتدت فتوحات قتيبة إلى مدينة كاشغر الصينية حيث كـــان الوضـــع السياسي مضطربا في الولايات الغربية من الصين والتي تسمى تركستان الشرقية أو تركستان الصينية ، وكان الأمراء الأويغوريون متفرقين وفي تناحر مســـتمر فيما بينهم ، فوجد بذلك قتيبة ورأي أن الفرصة مواتيـــة للتقـــدم إلـــى كاشـــغر ،

بالإضافة إلى أنه أراد ردع أمراء الأويغور من التدخل في المناطق المفتوحة سيما وأنهم كثيراً ما ساندو حكام فرغانة في معاركهم [٣٤٥] .

كانت خطة قتيبة للتقدم إلى كاشغر تتضمن حشد أكبر قوة عربيـــة ممكنـــة واتخاذ إجراءات انضباطيه شديدة ووضع حامية على معبر نهر جيحون ، تمنـــع العودة الى الوراء إلا بإجازة من قتيبة ، وكذلك التقدم على الطريق التجاري الـذي يربط بين مدينة فرغانة ببحيرة جاتيركول إلا أن اقتحام ممر تيترك في تركســتان الشرقية [٣٤٦] .

في عام ٩٦هـ / ٧١٤م ، تقدم قتيبة حسب الخطة التي وضعـــها ، وقــد أرسل مقدمته بقيادة كبير بن فلان ففتح كاشغر وتوغل إلى ما ورائها ، حتى بــلت الإصطدام بين جيش المسلمين والصينيين وشيكاً ، فطلب ملك الصين التفـــاوض فوافق قتيبة على ذلك [٣٤٧] .

وقد أرسل قتيبة إلى ملك الصين وفداً برئاسة هبيرة بن المشمرج الكلابـــي يدعوه إلى الإسلام أو الجزية أو السيف ، فثار ملك الصين وقال لهبيرة ، إذهــب إلى صاحبك فقل له ينصرف فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا أبعــث عليكم من يهلككم ويهلكه ،فأجابه هبيرة بثقة وقوة ، كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن في لنا آجالاً إذا أحضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه .

وأدرك ملك الصين القوة العاتية التي تكمن خلف هؤلاء وعرف أن التــهديد والثورة لا طائل منها فعاد يسأل وما الذي يرضي صاحبكم ؟ فأجاب هبيرة أنـــه حلف ألا يتصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطي الجزية ، فقال الملــك: أنا نخرجه من يمينه فلا يحنت ، نبعث إليه بتراب من أرضنا فيطـــؤه وببعــض ابنائنا فيختمهم ونبعث له بجزية يرضاها ، وهكذا افتدى ملك الصين نفسه وبــلاده

بالجزية ، وأغلب الظن أن قتيبة ما كان ليقتنع بذلك لولا وفاة الوليد وتولى سليمان ابن عبد الملك الخلافة ، وكان بين سليمان وقتيبة ما شغل الأخير عن مواصلة جهاده في بلاد الصين الواسعة [٣٤٨] .

بهذا الفتح العظيم اعتبر قتيبة من كبار رجال الفتوح أمثال خالد بن الوليد ، ويكفي دليلاً على عظم قدره أنه لم تمتد الفتوح بعده في هذه البلاد أكثر من ذلك ، كذلك دل على براعة ومقدرة هائلة ، فمع أنه كثير ما وجد حلفاً من ملوك ما وراء النهر ، الذين كانوا دائماً يستعينون بالترك ، إلا أنه انتفع بذكائه من وجود العداوة الطبيعية بين هؤلاء الملوك ، واستطاع أن يستولي على ممالكهم الواحدة بعد الأخرى [٣٤٩] .

❁ فتح بلاد السند

كذلك امتدت فتوحات المسلمين في أسيا إلى بلاد السند ، وهي تقع شرقي إيران على ساحل بحر الهند عبارة عن دلتا نهر السند العظيم ، التي تعتبر المدخل لقارة الهند .

وقد كان يسكنها عناصر آرية ، تشبه سكان إيران، وإن كان أغلب سكانها من عناصر تسمى الهندية نسبت إليها البلاد تميزت بلون أسود خاص ، مما جعل العرب يعدونهم من جملة السودان وسكنها أيضاً أصناف من قبائل مجهولة الأصل ، مثل الزط والسبابجة ، حيث كانت الأولى من الرعاة ، الذين يتبعون الكلأ على الساحل (الطفوف) [٣٥٠] .

وامتدوا حتى الخليج العربي والبحرين ، وكان أسراهم يعملون كجند مرتزقة في جيش الفرس ، كذلك وجدت عناصر تركية كثيرة في بلاد اسمها (قيقان) تلي خراسان من الشرق ، وتعتبر من بلاد السند [٣٥١] .

وكانت الهند دائماً ممالك متفرقة تتراوح بين القـــوة والضعـــف ، وكـــان بعضها خاضعاً للفرس المجاورين لهم ، وأنه كان يوجد بالسند مملكة قوية قبل أن يغزوها الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٥ ق.م ، وهي مملكة الموريا ، التي بقيـــت بعد هذه الغزوة ، ولكن قبائل الهون (الهياطلة) الذين تسببوا فـــي إســـقاط دولـــة الصين وغزوا بلاد ما وراء النهر ، غزواً هذه البلاد أيضاً منذ القرن الأول قبـــل الميلاد ، وكونوا منها مملكة راي القوية ، التي إستمرت تحكمها مدة طويلة إلـــى أن سيطر عليـــها قبل الفـــتح الإسلامي (صـــهصهة) ومن بعده ابنه داهــــــر ، الذي عرف بملك السند [٣٥٢] .

إن العرب قبل الإسلام طالما ركبوا البحر إلى بلاد السند مستبضعين ، ولما جاء الإسلام نجد أن عامل الخليفة عمر بن الخطاب على البحرين وعُمان ، قـــام بإرسال حملات المسلمين على بلاد السند فأرسل إليها حملة في البحر فـــي ســـنة ١٥هـــ / ٦٣٦م ، مما أغضب الخليفة لتغريره بالمسلمين [٣٥٣] .

ولكن ازداد اهتمام المسلمين ببلاد السند منذ أن فتحوا (مكران) في شرقها ، التي فتحت عنوة في أيام معاوية بحيث أنه لما هاجمها حلف الجند بطلاق نســـائهم ألا يهربوا وأن يقاتلوا أعداءهم ، واتخذوا مسعراً يغيرون منها على السند ، كذلـــك كانت حملات المسلمين على السند من ناحية مفازة سجســـتان الواقعـــة شـــمالي مكران، التي كان فتحها قد تم في أيام معاوية [٣٥٤] .

إن حملات المسلمين على السند كانت منذ عهد الخليفة عثمان بن عفـــان ، وفي أواخر أيام الخليفة علي إبن أبي طالب ، إلا أنها لم تكن شديدة ومتصلـــة إلا في أيام معاوية ، فقد قتل عدد من قوادها المسلمون [٣٥٥] .

وأن أغلب الحملات كانت على بلاد قيقان من أرض السند التي كان أهلـــها من الترك وأيضا ضد (الخلج) وهم صنف من الهياطلة ، وقعوا في قديم الزمـــان

إلى أرض كابل أوزيلستان ، التي بين الهند ونواحي سجستان ، حيث أن زنبيل أو رنبيل ، وهو لقب ملوكها ، وأشهر من فتح نواحي السند في أيام معاوية المهلب بن أبي صفرة القائد المعروف ، الذي تقدم في أعالي الهند وهزم أهلها عند تبنة ولوهر [٣٥٦] ، ولكن إنشغال المسلمين بالفتنة بعد موت معاوية ، ثم فتنة ابن الأشعث بسجستان أيام عبد الملك ، حد من نشاط المسلمين في هذه الناحية ، وأن كان زنبيل قد صالح الحجاج بعد تسليمه لابن الأشعث وقبل دفع الجزية [٣٥٧].

وحدث أن ساءت العلاقات بين المسلمين وبين (داهر) ملك السند مما استدعى صداماً مسلحاً ، أما سبب سوء العلاقات فهو أن الحجاج أرسل سعيد بن أسلم إلى مكران ، فخرج إليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافي فقتلاه ، إذ كان من الخارجين على سلطان الأمويين في هذه الجهات ، وكانا قد لقيا عند داهر ملك السند البرهمي كل ترحيب حين لجأ إليه [٣٥٨] .

وبلغ الحجاج الخبر فسأل الخليفة ، أن يأذن له لمهاجمة السند ملجأ الخارجين على الدولة ، ولكن الخليفة لم يأذن له ثم بعد ذلك تعرض قراصنة من (ديبل) لسفن كانت قادمة من جزيرة الياقوت (سيلان) وفيها أرامل لتجار من المسلمين وافاهم الأجل هناك ، فأسر القراصنة هؤلاء النساء ، ولما طلب الحجاج من (داهر) تخليص النساء من الأسر لم يستجب له ، وادعى أنه لا يسيطر على لصوص البحر هؤلاء ، فكان هذا وسواه باعثاً للحجاج أن يلح على الخليفة ليثأر لهذا العدوان وليؤمن طريق التجارة وحدود البلاد الإسلامية من غارات المعتدين[٣٥٩] .

وقد وكل الحجاج قيادة هذه الحملة إلى أحد أقربائه ، وهو محمد بن القاسم الثقفي صهره وابن عمه ، الذي لم يكن يتجاوز سبعة عشر عاماً وقد تمثلت في

هذا القائد سجايا الأمة العربية من سؤدد وشجاعة ، بحيث كان بحق معجزة حربية (٣٦٠) .

سار محمد بن القاسم من مكران في سنة ٨٩هـ ، ففتح أرمئيل وهي مدينة كبيرة من أرض السند شرقي مكران ، ثم سار إلى الديبل ميناء السند العظيم على ساحل بحر الهند ، فوافقته السفن التي كان قد حمل فيها الرجال والسلاح ، فخندق أمامها ولكن لم يستطيع فتحها ، إلا بعد أن جاءته توصيه من الحجاج ، فقد كان يقدم له تقرير عن سير الحملة كل ثلاثة أيام (٣٦١) ، فأمره الحجاج بنصب منجنيق، فرمى الدقل وهو سارية لمنارة البلد العظيمة بالمدينة فكسرها ، فتطير العدو وجزع ، فأمر محمد بالسلالم وصعد عليها الرجال ودخلوا المدينة ، واستمر القتال فيها ثلاثة أيام فهرب عاملها من قبل داهر وأنزل بها محمد جنده وبنى جامعاً ، وبذلك مضى على وكر كبير لقرصان الهنود (٣٦٢) .

ثم سار عنها محمد صاعداً إلى شمال السند ، وأخذ لا يمر بمدينة إلا فتحها صلحاً أو عنوة ، كما انضم إليه عدد من قبائل الزط ، خصوصاً وأن المسلمين كانوا قد صالحوهم في أثناء فتوحهم في فارس ، مثلما فعلوا من قبل مع الجراجمة بالشام ، بل كما أن معاوية نقل عدداً منهم إلى الشام ، فلما بلغ داهر بتقدم محمد ابن القاسم استعد لمحاربته ، وجمع جيوشاً عديدة مزودة بالفيلة ، وهو مستخف به فلقيه محمد والمسلمون بعد أن عبروا نهر السند ، على جسر وتغلبوا عليهم وقتلوهم ، وذلك لأن بالهند لا دواب لها غير الفيلة ، وكان المسلمون في أيام فتح فارس يتغلبون على الفيلة بقطع خرطومها ، وفي هذه المرة استخدموا النفط في القضاء عليها ، ولما ترجل داهر قتل أيضا (٣٦٣) .

وبقتل داهر غلب محمد على بلاد السند ، ودخل عاصمتها (راور) ، وكان بها أمراء لداهر خافت أن تؤخذ فأصرفت نفسها وجواريها ، ثم قطع محمد نهر

(بياس) العظيم المؤدي إلى (ملتان) الغنية بذهبها فقاتله أهلها وانهزموا ، فحاصرهم ، وقطع عنهم الماء ، فعطشوا ونزلوا على حكمه وسماها محمد بن القاسم (المعمورة) بدلاً من (ملتان) وذلك في سنة ٩٥ هـ ، وبعدها تقدم محمد في شمال السند إلى مدينتي (بيلمان) و(قندهار) حتى وصل إلى حدود قشمير التي كانت تجاوز الترك [٣٦٤] .

وقد كان فتح محمد بن القاسم لبلاد السند من أعظم الفتوح الإسلامية ، فبعده لم يتجاوز أحد فتوحاته فيها إلى أيام الغزنويين ، كذلك كان فتحها مريحاً للغاية من الناحية المادية ، فينما نظروا في النفقة وجدوا أنهم استرجعوها وزيادة [٣٦٥].

وبعد هذه الفتوحات العظيمة توفي الوليد أقوى خلفاء الأمويين في سنة ٩٦هـ ، وهو الذي عمل على توسيع رقعة الإسلام إلى مدى لم تصله قبله أو بعده بحيث جعل الدولة العربية الإسلامية أشبه بهلال ضخم رأسه عند جبال البرتان ، والأخر قرب الصين ، كذلك أقام للمسلمين أفضل عمائرهم وأجملها ، وأثبت أن خلفاء الإسلام بناؤون يتمتعون بذوق عال[٣٦٦] .

(٥) الفتوحات في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ)

كان الوليد غير راض عن توليته أخيه سليمان الخلافة من بعده بناء على توصيته عبد الملك ، ويريد أن يولى عهده لابنه عبد العزيز ،واستشار الوليد لذلك خاصته وقادته فوافق الحجاج ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم [٣٦٧]، لكن سليمان أبى التنحي عن ولاية العهد كما ان كثيرا من الناس لم يجيبوا الوليد إلى توليته عبد العزيز ، مما جعل الوليد لا يتمكن من خلع سليمان ، فبويع لسليمان بعد الخلافة في جمادى الآخره سنة ٩٦هـ / ٧١٥م .

ولما تولى سليمان الخلافة تحول عن دمشق إلى الصحراء ، فأخذت له البيعة في الرملة [٣٦٨] .

❀ حصار المسلمين للقسطنطينية

إن الفتوحات الإسلامية لم تقف في عهد سليمان ، ففي أسيا الصغرى كانت عمليات تدمير حصون العدو في عهد عبد الملك والوليد ، قد جعلت المسلمين يعودون بالحملات على العاصمة البيزنطية ، كذلك كان المسلمون قد استعادوا بعض نشاطهم في البحر ، بسبب أنهم عرفوا سر تكوين النار الإغريقية، التي سببت حرق أسطولهم ، وانسحابهم من جزر البحر الأبيض في أواخر أيام معاوية وأوائل حكم يزيد ، فأصبح النفط من ضمن أدوات قتالهم [٣٦٩].

والذي هيأ للمسلمين السير في التقدم نحو مهاجمة العاصمة البيزنطية هو حدوث اضطراب خطير في دولة الروم المعاصرة لحكم الوليد ، نتيجة لتعاقب الأباطرة والثورات الكثيرة ، وطمع الأعداء من جيرانها ، فقد تولى عرش مملكة الروم عدة أباطرة منذ أن قتل (جستنيان الثاني) ، الذي حاربه عبد الملك والوليد، وأن الروم قدرت نيات المسلمين وذلك في آخر حكم الوليد في سنة ٩٥هـ ، ولكن الوليد رفض ، وبعد موت (فيلبقوس) جاء (نسطاس الثاني) الذي سعى

الآخر إلى طلب الصلح من الخليفة سليمان في سنة ٩٦هـ ، على غير جدوى / كما أنه في نفس الوقت ، كان قد أعد حملة في جزيرة رودس لمهاجمة الساحل السوري ، بقصد القضاء على إستعدادت المسلمين (٣٧٠) ، ولكن حدثت ثورة ضده أدت إلى عزله ، وتولي بعده (تيلاوس) الأرمني، حيث ثار على هذا الأخير حاكم عمورية ، المسمى ليون المرعشي ، فجاء إلى سليمان وطلب منه معاونته على الوصول إلى عرش الروم على أن يحكم باسمه (٣٧١) ، وبخاصة وأنه كان فصيحاً بالعربية .

وقد استعد سليمان لهذه الحملة استعداداً هائلاً فجمع في مرج دابق ، بقرب حلب في منطقة الثغور ، جنوداً من كل أنحاء الدولة العربية الإسلامية وعلى الأخص من الشام والجزيرة بلغ عددهم أكثر من مائة وعشرين ألفاً وأخرج معهم جماعة من الفقهاء ،كما جمع أدوات الحرب من كل صنف للصيف والشتاء ، مثل أدوات الحصار من المجانيق والنفط وغير ذلك (٣٧٢) .

وقبل تحرك الحملة ، قام المسلمون بالصائغة في سنة ٩٧هـ ، وعلى رأسها داودين سليمان وأخوه مسلمة بن عبد الملك ففتحوا بعض الحصون ، ولكن الحملة الرئيسية التي كانت أشبه بالغابة المتحركة لكثرتها خرجت وعلى رأسها مسلمة في سنة ٩٨هـ (٣٧٣) ، وقد سار مسلمة سالكاً طريق مرعش من ناحية الشام ، وهجم عليه الشتاء وهو في الطريق فشتا ثم خرج طالباً القسطنطينية ، في أثناء تقدمه بلغ الذعر مداه عند سكان أسيا الصغرى ، بحيث أن الجيش العربي جمع من الروم أسرى كثيرين ، وكان سكان ولا يأت بأكملها يهربون أمامه وأن الإمبراطور الرومي نفسه لما سمع بما فعله ليون ، وتقدم الجيش العربي اعتزل الحكم وأن ذكر إبن الأثير أنه كان قد مات (٣٧٤) .

إن مسلمة لما وصل إلى عمورية خدعه ليون ، فجعله يوادعـــه ويرفـــع الحصار عنها ، ويسهل وصوله إلى القسطنطينية وقد تولى ليون عرش الـــروم باسم ليون الثالث ، وعقدوا على رأسه التـــابع ، ووعدهـــم أن يخلصـــهم مـــن المسلمين، لذلك أعاد تقوية الحوائط والأسوار ، وأرسل جيشا لقطع خطوط تموين المسلمين ، الذين ألقوا الحصار حول العاصمة ، ووضعوا المجانيق عليها (٣٧٥) .

وفي نفس الوقت ، كان سليمان قد أجمع أســاطيل عديــدة مــن الشــام ومصر، وأرسلها في البحر لتعاون الجيش البري ، فأخذ الأســـطول بمهاجمـــة سواحل أرض الروم ، إلى أن وصل إلى الخليج وهو بحـــر مرمـــرة ، فـــألقى مراسيه أمام القرن الذهبي ، وحاصر القسطنطينية من البحر أيضا ولكي يحكـــم المسلمون حصارهم عبروا المضيق بقواتهم إلى أوروبا ليهاجموا البلغار ، أو مـــا يسميهم العرب أيضا برجان ، الذين نزلوا البلقان وسيطروا فيه منذ القرن السابع الميلادي ،وأنهم ساعدوا الروم وهاجموا المسلمين ، لتقديرهم بأنـــه إذا ســـقطت بيزنطة تحول المسلمون نحوهم (٣٧٦) .

ولكن الحصار طال وهجم الشتاء ، وكان البرد شديدا ولم يقدر الخليفـــة أزاء هجمات الروم أن يمدهم ، حتى أنه لما أرسل مددا من الجند مزقه الـــروم، كما أتلفوا قسما كبيرا من المؤونة بحيث اضطر مســلمة إلـــى الأمـــر بـــالزرع وإنشاء الحقول والبيوت ، كذلك استخدمت النار الإغريقية في مهاجمة الأسطول، وأن العواصف لم تبق منه غير قليل من المراكب ، وقد استمر الحصار طـــول حكم سليمان إلا أنه أمام هذه الكوارث لم يعد ينتظر منه أي أمل ، لذلـــك فـــإن خلفه عمر بن عبد العزيز أمر بالانسحاب في سنة ٩٩هـــ بعد أن زود المســلمين بالمؤن والمدد، وأن أخطروا إلى القتال وهم ينسحبون (٣٧٧) .

وقد ترتب على فشل هذا الحصار أن هاجم الروم ثغور المسلمين في الشام ، كما حدث بعد فشل الحصار الأول ، وأن سبب فشل هذا الحصار هو أن الروم كانوا لا يزالون أقوياء ، وأن العرب ما كان يضيرهم هذا الانسحاب في شيء كما حدث في المرة السابقة ، إذا أنهم لم يلبثوا حتى عادوا إلى الهجوم بنفس الرغبة في قتال الروم ودك حصونهم (٣٧٨) .

❁ فتح بلاد بحر قزوين

وعلى النقيض نجح سليمان في فتح بلاد في الشرق لم تكن قد فتحت من قبل ، وذلك على يد عامله يزيد بن المهلب ، الذي ولاه العراق والمشرق بعد أن عزل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، في سنة ٩٧هـ (٣٧٩) ، وأن الحجاج كان يكره يزيد لما فيه من النجابة خوفاً من أن يفعل مثل إبن الأشعث ، كما أن يزيد لم ينفذ رغبته في فتح بلاد ما وراء النهر ، فعزل الحجاج يزيد عن خراسان وحبسه ، ولكن يزيد تمكن من أن يهرب مع إخوته إلى سليمان بالرملة في سنة ٩٠ هـ ، حيث أمنه وعلى الرغم من أن الحجاج كتب إلى الوليد يحذره من آل المهلب ، وطلب الوليد من سليمان تسليمهم ، فإن سليمان أرسل يزيد إلى الوليد مع أيوب ، أحد أبناء سليمان ، مقيداً في سلسلة واحدَة ، مما جعل الوليد يضطر إلى أن يؤمن يزيد وأخوته وقد أثبت يزيد بن المهلب جدارته ، فذهب إلى فتح بلاد لم تكن فتحت من قبل (٣٨٠) .

فقد كان في شمال هضبة إيران حول بحر قزوين وهو عرف أيضاً بأسماء الشعوب التي تحيط به ، مناطق أغلبها جبلية ، ظلت في أيدي حكامها العجم أو الترك ، الذين استطاعوا أن يصدوا المسلمين عنها ، وقد اكتفى المسلمون منذ عهد الخليفة عثمان ، باتخاذ بلدة قزوين (٣٨١) ، التي كان الفرس

أنفسهم قد اتخذوها من قبل لمهاجمة هذه النواحي ، وسموها (كشور) أي الحد المرموق ، ثغراً أو مصراً أي آخر الحدود ، وكان المسلمون يستولون على أجزاء منها حتى عصر الحجاج ، الذي أقام فيها المناظر للمراقبة ، وإن كانوا أيضاً هاجموها من ناحية خراسان [٣٨٢] .

وقد بدأ يزيد بن المهلب (بقوهستان) ، وهي كلمة تعني بلاد الجبال لأن (كوه) بالفارسية هي الجبل ، وقد أطلقت على أجزاء كثيرة في الهضبة الإيرانية لطبيعتها الجبلية ، وأن أكثر بلاد العجم لا تخلو من موضع يقال له قوهستان ولكن المشهور بهذا الاسم هي الولاية التي فتحها يزيد وهي تقع جنوب شرقي بحر قزوين ، أغلبها صحاري أو جبال ولا توجد بها الأنهار،وعاصمتها (قاين) ، وقد كان يسكنها العجم ، وعنصر مغولي من الهون (الهياطلة) يسميهم ابن الأثير الترك [٣٨٣] ، قدموا من الشرق من أواسط أسيا واستولوا على بلاد ما وراء النهر. ثم انتقلوا الى هذه النواحي. وحتى بقايا الحيثيين الذي سمعنا عنهم في العصور القديمة [٣٨٤] .

قام المسلمون بإرسال الحملات لهذه البلاد لأول مرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب من كرمان ، فاستولى المسلمون على ناحية (طبسى) وقريتها كرين وهما حصنين ، أو ما يعرف بالطبسين فسمي الصلح – صلح الطبسين [٣٨٥] ، وفي أثناء فتح خراسان فتحت قوهستان عنوة وهزم الهياطلة ، وذلك في أيام الخليفة عثمان سنة ٣٠هـ ، وفي أيام معاوية سنة ٥١هـ ، فتحت قوهستان من جديد ، وضمت إلى خراسان ، ولكن لكثرة غارات أهلها وقتالهم للمسلمين حتى أنهم كانوا قد حاربوا قتيبة ، فتحها يزيد بن المهلب من جديد ، فكان يحاصرها في حصونهم إلى أن استسلموا وأرسل ملكها واسمه صول ، يطلب الصلح – فصالحه يزيد ودخل عاصمتها (قاين) ، وكتب يزيد بشارة النصر إلى سليمان بن عبد الملك [٣٨٦] .

وبعد ذلك سار يزيد إلى البلاد المجاورة التي تقع بجوار خراسان جنوبي شرقي بحر قزوين ، فعرفت للعرب باسم جرجان ، وسمي البحر باسمها بحر جرجان وقديما (أراقانيا) وهي عبارة عن سهول كثيرة تجري فيها عدة أنهار ، كما توجد حولها سلسلة جبال (البزر) الشاهقة – التي عرفت أيضا بجبال جرجان، قد كانت جرجان تنقسم إلى نواحي كبيرة ، مثل دهستان في أدنى البلاد، وبكر أباد ، إما جرجان نفسها فلم تكن يومئذ مدينة وإنما كانت جبالا ومسالك، وقد كان يسكنها الفرس الذين يحكمكم مرزبان ، والترك بخاصة في دهستان الذي يحكمكم ملك اسمه أولفيه أيضا صول (٣٨٧).

وقد قبلت جرجان دفع الجزية منذ أن اقترب المسلمون من حدودها في سنة ١٨هـ ، ولكن في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، سنة ٣٠هـ ، دخلها سعيد ابن العاص وصالح أهلها قبل أن يفتح قوهستان ، وبعد سعيد لم يأت إلى جرجان أحد إلى أن جاء يزيد (٣٨٨) ، والذي هيأ يزيد فتحها ، هو وجود نزاع لبين المرزبان الفارسي وصول التركي ، بحيث أخطر المرزبان إلى الهروب إلى يزيد وهو في خراسان ، وتغلب صول على جرجان ، فدخل يزيد مع المرزبان جرجان ، وحاصر صول وهو في بحيرة تقع في بحر قزوين ، وقتل عددا كبيرا من الترك ، ولعله صالح صول أو قتله (٣٨٩) ، ولكن لم يلبث أهل جرجان أن ثاروا على المسلمين الذين تركهم يزيد واستشهدوا فيها ، فعاد يزيد إلى جرجان ثانية وقتل عددا كبيرا من أهلها ، وهو ما عرف (بالفتح الثاني) وقد بنى يزيد مدينة جرجان ، في واد عظيم ، تطل على البحر ، ولم تكن بنيت قبل ذلك ، وأصبحت أكبر مدينة بهذه البلاد (٣٩٠) .

ولما فرغ يزيد من جرجان هاجم طبرستان ، وهي تسمى أيضا (مازندران) التي تقع في جنوب بحر قزوين، شمال جبال البرز الشاهقة ، وتحيط

بها بلاد جرجان من الشرق ، وجيلان من (أوكيلان)الجبلية ، التي تسكنها شعوب الجيل والديلم من الغرب ، وهي عبارة عن بلدان واسعة وسهول ، وجبال كثيرة، قصبتها (آمل) وقد سكنتها عناصر فارسية كانت تميل إلى الحرب ، وتستخدم في قتالها الفؤوس ولذلك كان اسم طبرستان يعني بلاد فؤوس ، لم تكن قد خضعت للمسلمين ، فكان يحكمها (الأصبهند) وتعني رئيس الجند ، إذ أنه من سلالة أسرة فارسية قديمة كان يوليها ملوك الفرس على أهالي هذه المنطقة (٣٩١) .

ولم يكن من السهل فتح هذه البلاد لحصانتها ومنعتها لذلك صالحها المسلمون لما فتحوا فارس ورضوا منها بالشيء اليسير ، ولكن في عهد الخليفة عثمان بن عفان سار نحوها سعيد بن العاص ، في سنة ٢٩هـ (٣٩٢) ، ففتح سهولها وجبالها من ناحية خراسان ، وفي عهد معاوية أرسل مصقلة إبن هبيرة ، فإستدرجوه إلى ممرات في الجبال ، وأرسلوا الصخور منها على رؤسهم ، فاستشهد عدد كبير من المسلمين (٣٩٣) .

وفي ولاية إبن زياد على العراق ، أرسل محمد بن الأشعث فاستدرجوه أيضا واستشهد ابنه ، ولما سار يزيد إلى طبرستان ، وتوجهت طلائعه إليها فاستعان أهلها بأهل جيلان والديلم المجاورين ، واستطاعوا ان يهزموا هذه الطليعة ، وقد كانت هذه الهزيمة من الأسباب التي دعت أهل جرجان إلى الغدر بالمسلمين ولذلك استخدم يزيد الخديعة واضطر إلى مصالحة الأصبهند (٣٩٤) .

استمر حكم هذا الخليفة الشاب زهاء ثلاث سنين ، ووافاه أجله بدابق ، وهو ابن تسع وثلاثين في سنة ٩٩هـ / ٧١٧م ، أما فتوحه لم تكن حاسمه كما هي في عهد سلفه إلا أن حماسه في مد رقعة الإسلام كان شديدا لا يقل عن حماس سابقيه من الخلفاء (٣٩٥) .

(٦) الفتوحات في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)

كان يزيد بن عبد الملك يريد أن يعين ابنه الوليد ولياً للعهد مـــن بعـــده، ولكن أصحابه أرشدوه إلى أن الوليد صغير السن ولا يستطيع أن يحمل عـــبء الخلافة ، ولهذا عين يزيد أخاه هشاماً لولاية العهد على أن يتلوه الوليد ، وفـــي يوم وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك ، بويع لهشام بن عبد الملك في شعبان ســـنة ١٠٥هـ /٧٢٤م، واتخذ الخليفة هشام الرصافة مقراً له وهي تقـــع علـــى نـــهر الفرات [٣٩٦] .

❁ معركة بـــلاط الشهـــداء

بعد أن تم فتح الأندلس استدعى الخليفة الوليد القائدين العظيمين موسى وطارق إلى دمشق ، وعلى هذا لم يحقق موسى أمله في اختراق جبال البرانس والتقدم نحو جنوب فرنسا الحالية ، ثم جاء بعده السمح بن مالك في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فاخترق جبال البرنس وتقدم شرقها ولكن محاولته لم تنجح فاستشهد في سنة ١٠٢هـ ، وتمت بعد ذلك حملات متصلة في عهد عتبة بن سحيم الذي كانت له الولاية بعد السمح [٣٩٧] .

وعاد المسلمون في عام ٧٢٥م فأحرزوا تقدماً جديراً ، وسيطروا على جميع المنطقة الواقعة إلى الجنوب من تيمس ، حيث اندفعوا نحو الشمال إلى نهر الرون ، فوصلوا في النهاية أوتون ثم عادوا منها محملين بالغنائم ، وحاصر المسلمون بقيادة قائدهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي في عام ٧٣٢م ، مدينة بوردو، وهزموا أودس ، وسيطروا على جميع البلاد التي تقع شمالاً حتى اللوار، واستعان أودس بشارل مارتل ، حاجب القصر في مملكة الفرنجة الذي زحف جنوباً لملاقاة المسلمين فدارت معركة عنيفة في عام ٧٣٢م بين المسلمين والفرنجة عند مدينة تورز ، سماها المسلمون (معركة بلاط الشهداء) ، وقد استشهد عبد الرحمن الغافقي في هذه المعركة ، وتمكن الفرنجة من صد المسلمين وإرجاعهم جنوباً ، وأن الفرنجة منوا أيضاً بخسائر بالغة ، وتراجعوا أيضاً باتجاه الشمال[٣٩٨].

إن معركة بلاط الشهداء لم تضع حداً لتقدم المسلمين بل أن المسلمين سرعان ما أخذوا يستردون مراكزهم السابقة .

وقد سلم حاكم مرسيليا مقاطعة البروفنس إليهم سنة ٧٣٧ م ، وسيطروا على الأرل ، ودخلوا مقاطعة سان ترويز سنة ٨٨٩م ، ودامت إقامتهم بمقاطعة

البروفنس إلى نهاية القرن العاشر الميلادي ، وتقدموا في مقاطعة القالة وسويسرا سنة ٩٣٩ م [٣٩٩] .

الفتوحات الإسلامية
في عهد الدولة العباسية



(أ) الفتوحات في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)

نشأت الدولة العباسية على أثر دعاية واسعة النطاق ، دامت حوالي ثلثي قرن فضمت إلى صفوفها كل من عادى الأمويين في كثير من أنظمتهم وتقاليدهم ولم يخلقوا دولتهم خلقاً جديداً [٤٠٠] .

ومن أبرز الخلفاء العباسيين الأوائل أبو جعفر المنصور حيث بويع بالخلافة بعد وفاة أبي العباس في سنة ١٣٦هـ، والدولة لم تتوطد أركانها ولم يستقر حكمها بعد ، ولكنه استطاع أن يثبت أركانها بمقدرته النادرة ، فقد كان مستشار أبي العباس وساعده الأيمن وولى أرمينية وأذربيجان والجزيرة وعمل بالإرادة والسياسة قبل مجيئه إلى الحكم [٤٠١] ، وعرف عنه سرعة البديهة وجزالة العقل فضلاً عن اقتصاره في النفقات [٤٠٢] ، ويعد الخليفة المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، حيث تمكن بفضل ما أوتيه من حزم ، وصواب رأي ، وحسن سياسة من إرساء قواعد الحكم على أسس قوية .

❁ الفتوحات على جبهة الروم

كانت الحدود بين الدولة العربية ودولة الروم البيزنطي، تتألف من سلسلتي جبال، وكان يحمي هذه الحدود خط دفاعي طويل ، يتكون من قلاع وحصون عرفت بالثغور ، ويمتد هذا الخط من ملطية في أعالي الفرات إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط ، ويتكون مكن قسمين أحدهما – الثغور الجزرية وتحمي شمال العراق – وثانيها الثغور الشامية وتحمي شمال الشام ، وكان هذان الثغران محل صراع دائم بين الدولتين .

وبعد قيام الدولة العباسية حاول الروم أن يجربوا قوتهم مع الدولة الجديدة والتعرف على مدى ردود الفعل فقام ، إمبراطور الروم (قسطنطين) عام ١٣٣هـ/٧٥٠م ، بشن حملة عسكرية على ملطية ، فتصدى له أهلها ، وبعد مقاومة شديدة لم يستطيعوا الاستمرار، فاضطروا إلى قبول الأمان الذي عرضه عليهم الإمبراطور ، لكن في الوقت نفسه لم يحدث رد فعل قوي من جانب الخلافة ، لانشغال الخليفة أبي العباس في ترتيب الأوضاع الداخلية ، على أنه في أواخر خلافته كلف والي الشام عبد الله بن علي العباس بالقيام بحملة عسكرية لكنها لم تحقق بسبب وفاة الخليفة [٤٠٣].

وقام الخليفة المنصور بالاهتمام بتحصين الثغور وشحنها بالمقاتلة ضمن خطة عسكرية متكاملة وفي سنة ٧٥٩م، استرجع المسلمون مدينة الحدث وحصنوها ووضعوا فيها حامية ، وفي السنة التالية شغل قسطنطين بالحرب مع البلغار ، فدحر المسلمين القائد الأرمني (بول) وقتلوه وأسروا اثنين وأربعين من قواده ، ثم كان يتبادل الأسرى في سنة ٧٦٦م ، ثم حصن المسلمون مرعش ووضعوا فيها حامية في سنة ٧٦٩ [٤٠٤] .

وعني الخليفة المنصور بتحصين حدوده وخاصة تلك التي تواجه البيزنطين، وبنى المنصور مدينة مرعش والمصيصة ، ثم حصن أهم ثغور الجزيرة وهي مدينة ملطية ، حيث أمر الخليفة ببنائها سنة ١٣٩هـ ، وجمع الصناع من كل بلد للاشتغال فيها فتم البناء في ستة أشهر ، وكذلك بنى مدينة الرافقة على الفرات سنة ١٥٥هـ ، على طراز مدينة بغداد ، ورتب فيها الجند[٤٠٥] .

(ب) الفتوحات في عهد الخليفة المهدي (١٥٨ -١٦٨هـ)

اهتم الخليفة المنصور بإعداد ابنه المهدي للخلافة واعتنى بتدريبه على الحرب والإدارة ، وعينه واليا على خراسان والجبال (ومقرة الري) بين ١٤٨هـ – ٧٧٥م دون أية معارضة وكان المهدي في الثالثة والثلاثين من عمره وكان سخيا شهما ومحبوبا من الناس [٤٠٦] .

❁ استكمال الفتوحات على جبهة الروم

وقد تصاعدت حملات المسلمين الحربية ضد الروم في عهد الخليفة المهدي ، فلم تمر سنة إلا وتكون فيها حملة صيفية أو شتوية ، فكانت أول حملة في صيف عام ١٥٩هـ /٧٧٦م ، بقيادة العباس بن محمد ، وكان سبب الحملة هو الرد على هجوم الإمبراطور البيزنطي (ليد الرابع) على سمسياط ، وأخذه بعض الأسرى ، وبالرغم من وصول القوات العباسية إلى (أنقرة) إلا أنها لم تحاصرها، وفي السنة نفسها أسكن الخليفة المهدي ألف مقاتل في المصيصة مع أنها كانت مشحونه بالجند والمتطوعين فضلا عن ابتدائه في بناء كفربيا [٤٠٧] .

وقد هاجم إمبراطور الروم الحدود عن طريق درب الحدث لذلك في عام ١٦٢هـ / ٧٧٩م ، شن العباسيون حملتين ضد البيزطيين ، الأول بقيادة الحسن بن قمطية الطائي، انتقم فيها مما فعله الإمبراطور ، والثانية كانت من طريق قالقيلا بقيادة يزيد السلمي ، واستطاع فتح ثلاثة حصون ولقد تنبه القائد الحسن الطائي بعد قيادته تلك الحملة ، إلى وضع الجبهة ، بحيث اقتنع الخليفة المهدي بضرورة تحصين طرسوس فوافق الخليفة على ذلك وأمره ببناء مدينة الحدث وأسكن فيها مقاتله من أهل الشام والجزيرة وأعطى لكل فرد (٣٠٠) درهم أعانه لهم ، ثم بنى مدينة طرسوس [٤٠٨] .

وفي عام ١٦٣هـ/٧٨٠م ، جهز الخليفة المهدي جيشا كبيرا وعلى رأسه ابنه أنساب هارون ومعه كبار القوات ، وقضى الخليفة المهدي شهرين يجهز لهذه الحملة ، وقد دخل الجيش العباسي أرض الروم وفتحوا حصن سمالوا بعد استسلام أهله على شروط ، وعاد الجيش إلى بغداد [٤٠٩] .

وفي عام ١٦٥هـ/٧٨٢م ، أرسل الخليفة المهدي ابنه (الأمير هارون) لحملة جديدة عرض عليها مبالغ طائلة ، وقد تقدم الأمير في بلاد الروم مسافة بعيدة جدا ، وفتح في طريقه حصن (ماجدة) ثم التحم الجيش العباسي مع خيالة للجيش البيزنطي ، فانهزم الخيالة وبذلك تقدم الجيش العباسي على (نقمودية) فانفتح الطريق إلى الشمال نحو القسطنطينية ، لكن ظروف إمبراطور الروم (إيريني- أوغسطة) كانت سيئة وتواجه مصاعب داخليه ، ولتقدم الجيش العباسي إلى مناطق بعيدة جدا لذا تم التفاوض حول الصلح ، وكانت الشروط أن تكون هدنة لمدة ثلاث سنوات ، وأن تدفع الإمبراطورة مبالغ نقدية سنوية ، فضلا عن تقديم الإدلاء والغذاء إلى الجيش العباسي في طريق عودته مع تسليم الأسرى لديهم [٤١٠] ، واستفادت الدولة العربية الإسلامية بإذلال إمبراطورية الروم المركز العسكري المسيطر الذي حافظت عليه طيلة عهد الأمويين [٤١١] ، وعند عودة الجيش إلى بغداد لقيت الأمير هارون بـ(الرشيد) وعينه والده وليا للعهد بعد أخيه موسى[٤١٢].

(ج) الفتوحات في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ)

بويع الرشيد بالخلافة في ١٤ ربيع الأول سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، خلفا لأخيه موسى الهادي ، وكان في الثانية والعشرين من عمره ، وقدر له أن يحكم ثلاثا وعشرين سنة ، وأن الخليفة الهادي حاول أن يخلع الرشيد من ولاية العهد لمصلحة ولده جعفر ، كان لا يزال صبيا ، لذلك فشلت كل معارضة لبيعة الرشيد بعد وفاة الخليفة الهادي [٤١٣] .

❀ الفتوحات على جبهة الروم

اهتم الخليفة الرشيد بتنظيم الحدود مع البيزنطيين وغصبها ، ففي عام ١٧٠هـ/٧٨٦م، قسم الثغور إلى خطين للدفاع ، الخط الجنوبي من الثغور في جبهة الشام – الثغور الشامية وسماها (العواصم) وجعلها منطقة عسكرية مستقلة على شكل حصون عسكرية ما بين حلب وأنطاكية ، وقاعدتها منبج، واهتم كذلك في تحصينها ، واهتم الرشيد أيضا بتحصين مدن (العواصم) فأمر بتحصين مدينة طرطوس ، وأسكن فيها ثلاثة آلاف مقاتل كدفعة أولى ، ثم ألفين من أهل المصيصة وأنطاكية ،وأعطى زيادة في رواتبهم بلغت عشرة دنانير ، ثم وزع عليهم الأراضي لغرض السكن والإقامة فيها بصورة مستمرة ، وفي عام ١٨٠هـ/٧٩٦م ، قام الرشيد ببناء مدينة (عين زربة) وتحصينها ، وبعد ثلاث سنوات بنى (الهارونية) والكنيسة السوداء وحصنها ،ووزع على المقاتلة الأراضي للسكن فيها بصورة دائمة والخط الدفاع الشمالي من الثغور هو الثغور الجزرية واهتم الخليفة الرشيد به أيضا ، فأعاد بناء مدينة الحدث ، وزاد تحصين زبطره ، وشحنها بالمقاتلة ووزع الأراضي عليهم [٤١٤] .

وفي سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م ، أسر الروم بعض الجند الذين أبحروا من مصر إلى سورية ، فتحرك أسطول عربي من مصر إلى قبرص ومنها إلى أسيا الصغرى ، والتقى ، بالأسطول البيزنطي فهزمه وأسر أمير البحر البيزنطي[٤١٥]

وفي عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م ، قاد الخليفة الرشيد حملة عسكرية عن طريق المصيصة ، كانت نتائجها فتح حصن الصفصاف عن طريق المصيصة ، والاستيلاء عليه ، واستولى عبد الملك بن صالح والي الجزيرة ، على (مطمورة)، ووصلت قواته إلى أنقرة، ولم يكن هناك رد فعل من قبل البيزنطي ، وذلك لحصول اضطرابات داخليه كانت من نتائجها خلع الإمبراطور قسطنطين واعتلت أمه (إيريني) العرش باسم (أغسطة) ، إلا أن القائد نقفور استطاع تنحية إيريني واعتلى العرش البيزنطي وذلك في أوائل عام١٨٧هـ /٨٠٤م [٤١٦].

وتقدم الخليفة الرشيد بنفسه في عام ١٨٧هـ / ٨٠٤م ، إلى هرقلة واستولت بعض فرق جيشه على ويسه وأخذت مقدمته أنقرة ، فجاء نقفور لصده فهزم ، ولعل تأخر الموسم جعل الخليفة الرشيد يقبل الهدنة والجزية ، وعلى أن لا يبني نقفور الحصون المهدومة ، وكان مقدار الجزية دينارا من الروم سوى نقفور وابنه ، إلا أن نقفور خالف بنود الصلح، وأرسل جيشا ضرب عين زربة ولكن حامية المصيصة هاجمته واسترجعت معظم الأسرى [٤١٧] .

وفي عام ١٩٠هـ /٨٠٦م، قاد الخليفة الرشيد الحملة العسكرية ووصل (طوانه) فعسكر بها ، ثم توجه الخليفة الرشيد إلى (هرقلة) وسيطر عليها ، وافتتح بعض القواد حصن الصفالية وبعض المطامير ، وقد أخطر (نقفور) إمبراطور الروم إلى قبول الصلح ، على أن يدفع أموالا ضخمة للخليفة على سبيل الجزية وأن يدفع جزية شخصية عنه (٤ دنانير سنويا) وعن إبنه (دينارين سنويا). وبذلك اعترفت بأنه تحت ذمة الخليفة واشترط الخليفة عليه أن لا يبني حصنا كما تعهد أن يرجع حملة وذا الكلاع وحصن سنان سالمة [٤١٨] .

(د) الفتوحات في عهد الخليفة المأمون (١٩٨ -٢١٨ هـ)

تولى المأمون الخلافة في سنة ١٩٨هـ ، وامتاز المأمون بصفات عديدة منها أنه يميل ى العفو ويكره الانتقام من أعدائه ، وأحاط المأمون نفسه بالعلماء ، وك ن فصيحا أديبا شاعرا حكيما ، وقد درس العلم والفقه والتاريخ من صغره ، وكثيرا ما أطلق على المأمون وصف (أحكم الخلفاء العباسيين) [٤١٩].

❁ استكمال الفتوحات على جبهة الروم

نظم الخليفة المأمون حملة بقيادته عام ٢١٥هـ/٨٣٠م ، لمهاجمة الحدود البيزنطية ، فاستولى على حصن (قرة) وتهديمه ، وحصني سندس وسنان ، وفي العام التالي رد الإمبراطور البيزنطي على الهجوم ، فهاجم طرسوس والمصيصة وكان رد الخليفة المأمون عنيفا ، فاستلمت (هرقلة) من غير قتال ، واستولى الأمير أبو إسحاق (المعتصم) على ثلاثين حصنا ، أما العباس ابن الخليفة فإنه استطاع إلحاق الهزيمة بقوات الإمبراطور ، مما اضطر الإمبراطور إلى طلب عقد هدنه ، إلا أن الخليفة رفض هذا العرض ، وفي عام ٢١٧هـ/٨٣٢م، هاجم الخليفة الحدود مجددا ،وحاصر حصن لؤلؤة لمدة مائة يوم ، ولم يستطيع احتلاله، فبنى حوله حصنين مما أدى إلى استسلامهم[٤٢٠].

وفي سنة ٢١٨هـ ، حصن الخليفة المأمون مدينة الطوانة (وجعل سورها على ثلاثة فراسخ) وأتى بالقوات إلى العواصم من العراق وسوريا ومصر[٤٢١] ، وكانت خطة الخليفة المأمون فتح عمورية ، ومن ثم فتح بلاد الروم، حيث أنه انتبه لغدر الروم المتواصل ، ولذلك فكر بخطة واسعة المدى

تقضي فتح المدن وتأهيلها بالمسلمين لتثبيت الفتوح ، إلا أن وفاته حالت دون تنفيذ الخطة [٤٢٢] .

❁ استكمال فتح صقلية

وفي عهد الخليفة المأمون ، قام أمير الأغالبة زيادة الله الأول بتوجيه أسد بن الفرات لفتح صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، وقد انتهج زيادة الله سياسة بحرية للسيطرة على البحر المتوسط ، ولم تكن حملة الفتح هذه الأولى على صقلية ، إنما سبقتها غزوة سنة ٢٠٤هـ/٨٩١م ، واعتقد زياد الله أن لا سبيل لتحقيق هذه السياسة دون السيطرة على صقلية وتضييق الخناق على الأسطول البيزنطي[٤٢٣].

وما اختيار زياد الله لأسد بن فرات قائدا للحملة وهو القاضي الفقيه ، إلا دليل على الصفة الجهادية التي اتصف بها فتح صقليه ، إذ يندر أن نجد فقيها قائدا لحملة فتح كهذه ، كما أن الصفة الجهادية للحملة يؤكدها قول أسد بن الفرات نفسه الذي قال أنه أراد أن يقودها وفق تعاليم الإسلام ، فما أحوجهم إلى أمن يجريها بالكتاب والسنة [٤٢٤] .

وكان لخطورة بقاء صقلية تحت النفوذ البيزنطي على المغرب أثر في إقدام العرب على فتحها ، لأنها اتخذت قاعدة للهجوم عليه ، فقبل عام من الفتح (أي في سنة ٢١١ هـ) تعرضت المغرب لهجمات بحرية من صقلية قامت بالنهب وأسر التجار [٤٢٥] .

ومن العوامل المشجعة للفتح حالة الدولة البيزنطية إذ ذاك ، فقد شهدت ثورة توماس الصقلي في أسيا الصغرى ، وحاصر القسطنطينية سنة ٨٢١م ، فسحب الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني (٢٠٥-٢١٤هـ/٨٢٠-٨٢٩م) جيوشه وقواته من أطراف الإمبراطورية لدفع الخطر عن العاصمة ، ولم يستطع

القضاء عليها إلا سنة ٢٠٩هـ ،٨٢٤م، وأخذت الدولة البيزنطية تعاني من نتائج هذه الثورة البيزنطية عامه عليها [٤٢٦] ، ومما زاد في ضعف الأسطول البيزنطي عامه والأسطول البيزنطي في صقلية نفسها إن قائده فيمي (يوفيميوس) أسلم القسم الذي كان تحت سيطرته للإغالبة بعد ثورته الفاشلة [٤٢٧] .

قلد زياد الله أسد الفرات قاضي القيروان قيادة الحملة وإبقاءه على القضاء أيضا ، وأجريت كل الاستعدادات لفتح صقلية ، فهيئت السفن ، وجهزت بما تحتاجه [٤٢٨] ، وأنه قد خرج بعدة كاملة .

وأمر زياد الله فيمي بالذهاب إلى مرسى سوسه والانتظار هناك ، وخرج أسد بن الفرات من القيروان على رأس الجيش المعد للفتح متوجها إلى سوسه ليقلع منها إلى صقلية وخرج وجوه الناس والعلماء وكبار رجال دولة الأغالبة لتوديعه [٤٢٩] .

وأقلع الأسطول العربي بقيادة أسد بن الفرات من مرسى سوسه يوم السبت النصف من شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ/١٤ يونيه ٨٢٧م ، ووصل إلى أقرب نقطة في صقلية وهي مرسى مازر في اليوم الرابع من إقلاعها أي أنها وصلت يوم الثلاثاء ١٨ ربيع الأول سنة ٢١٢هـ ،١٧ يونيه ٨٢٧م[٤٣٠].

مكثت الحملة العربية ثلاثة أيام في (مازر) دون أن يحرك قائدها ساكنا وكان ينتظر وصول سفن أخرى من أسطوله ، ولم تخرج له غير سرية واحدة (استطاع) أن يأسرها فإذا هي من أصحاب فيمي فأطلقها ، ولما كان أسد لا يثق بفيمي قال له (اعتزلنا فلا حاجة لنا بأن تعينونا وقال : اجعلوا على رؤوسكم سيما تعرفوا بها ، لئلا يتوهم منا أنكم من هؤلاء الموافقين لنا ، فيصيبكم بمكروه، فجعلوا على رؤوسهم الحشيش) فكانت تلك سيماهم [٤٣١]

وهكذا استغنى العرب في فتحهم للجزيرة عن فيمي وأصحابه منذ الأيام الأولى ، قبل دخولهم أية معركة مع العدو .أما بطريق صقلية وتسميه المصادر العربية (بلاط) ، فما أن سمع بنزول القوات العربية في صقلية ، حتى زحف على رأس جيش كبير ، وتقدم أسد نحوهم وفي يده اللواء وقال (هؤلاء عجم السواحل ، هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم) والتقى الجمعان ،وانتصر الجيش الفاتح وهرب بلاطة إلى قصريانه ثم إلى قلوريه في ١٥ يوليه ٨٢٧ م /١٧ ربيع الثاني ٢١٢هـ[٤٣٢].

وتعتبر هذه المعركة صراعا حقيقيا بين العرب والبيزنطيين لامتلاك صقليه ،وأنها بالإضافة إلى أهميتها العسكرية ، إذ قتل فيها عدد كبير من جيش العدو وأصاب العرب سبا كثيرة وكثرت الغنائم عن المسلمين ، فإنها بلا شك قوت عزيمة العرب في صقلية ، واعتبرت الأغالبة هذا الانتصار هو فتح الجزيرة ، يظهر ذلك من الكتاب الذي بعثه زيادة الله إلى الخليفة المأمون [٤٣٣] وأهمية هذا الانتصار تتضح أيضا في أن العرب سيطروا بعدها على عدة حصون في الجزيرة .

واتجه أسد بن الفرات شرقا بمحاذاة الساحل الجنوبي قاصدا فتح العاصمة سرقوسة التي تقع في القسم الشرقي من الجزيرة وأولى المناطق التي سيطر العرب في طريقهم إلى سرقوسة هي الكنيسة الأفيمية ، ثم كنيسة السلفين ، ثم وصلوا إلى قلعة الكراث ، وقابل أسد بن الفرات هناك وفدا بيزنطيا من أهل سرقوسة ، فخدعوه بأن عرضوا عليه أن لا يتقدم نحوهم مقابل دفع الجزية، فوافق أسد على ذلك وتوقف عدة أيام لا يتقدم ، وأدرك أسد في الحال أنهم خدعوه وأنهم أصلحوا تحصينات سرقوسة ، وأدرك أيضا أن هذه الهدنة لم تفد إلا أعداءه بالدرجة الأولى ، كما أن فيمي أخذ يراسل أهل

سرقوسه المحاصرين سراً ، ويحثهم على الثبات والصمود ومقاومة العرب [٤٣٤] .

وبعد أن اتخذ أهل سرقوسة الاستعدادات اللازمة أعلنوا رفضهم للهدنه ، فاستأنف عندئذ أسد السير وتقدم لمحاصرة المدينة براً وبحراً ، واستطاع أن يحرق سفنها ، إذا استطاع أسد أن يحاصر مينائي المدينة الصغيرة والكبيرة ، ولكنه لم يستطع أن يدمر الحصن لسببين هما ، عدم توفر آلات الحصار لديه لتدمير حصنها ، فقد كان مع أسد ثمانية آلاف أو تسعة آلاف جندي ليس معهم أله حصار واحدة والسبب الثاني يعود إلى كون حصن سرقوسة حصناً منيعاً جداً، فما كان على أسد إلا أن يستمر في ضرب الحصار ، وينتظر وصول الإمدادات ، وفي خلال ذلك الحصار وصلت إلى صقلية إمدادات من إفريقية والأندلس[٤٣٥] .

أما الإمبراطورية البيزنطية فإنها لم تقف مكتوفة الأيدي ، بل اتخذت الإجراءات لإعادة صقلية إلى ما كانت عليه ، ولكنها لم تستطع أن توقف الفتح العربي ، فأرسل الإمبراطور ميخائيل الثاني مدداً إلى صقلية ، وأقنع دوق البندقية جستينيا نوس بإرسال أسطول إلى الجزيرة لحرب العرب ، لأن اقترابهم من مياه بحر الأدرياتيك سيكون خطراً على مدينة البندقية نفسها ، ولكن هذا الأسطول لم يستطع أن يعمل شيئاً من أجل فك الحصار عن أهالي سرقوسة ، وتقدم والي بلرم البيزنطي في جيش كبير، فأحاط العرب أنفسهم بخندق وجعلوا من ورائه حفراً كثيره وقاية من الفرسان ، ومع أن البيزنطيين أنفسهم كانوا يلجؤون إلى هذه الطرق الدفاعية ، لكنهم خدعوا هذه المرة وسقط كثيرون منهم في تلك الحفر ، حيث كانت الخيول تكبوا والفرسان تتساقط جماعات ، فيقتلهم العرب [٤٣٦] .

ويظهر أن هـــذه المعركـــة وقعت قـــبل وصول مدد الإمبراطور ميخـــائيل من القسطنطينية ، واشتد حصار العرب سرقوسة وأصــــبح موقـــف أهـــل المدينة حرجاً إلى حد كبير ، فطلبوا المفاوضة فهم أسد أن يقبل ، ولكن رفـــض من معه من العرب فعادت الحرب ، ولكن وباء شـــديداً انتشـــر فـــي صفــوف معســكر العرب ، وهم محاصرون لسرقوسه ، مات فيه أسد بن الفرات نفســـه في سنة ٢١٣ هـــ/٨٢٨م ، وقيل أنه مات من جـــراء جراحـــات إصابـــته ، ودفـــن في نفس المكان [٤٣٧] .

ولم يكن وفاة القائد أسد بن الفرات نهاية الحملات لفتح صقليـــة ، فقـــد تلتها في السنوات اللاحقة عدة فتوحات فتم فتح بلرم في سنة ٢١٦هـــــ، وفتـــح مدينة مسسبي في سنة ٢٢٨هـــ ، وتم فتح جزيرة صقلية بشكل نهائي من قبـــل المسامين في سنة ٢٨٩هـــ/٩٠٢م، على يد إبراهيم الثاني أمير الأغالبه[٤٣٨] .

(هـــ) الفتوحات في عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـــ)

بويع المعتصم بالخلافة في ١٩رجب سنة ٢١٨هـــ/٩ أغســـطس عـــام ٨٣٣ م ، في معسكر الجيش العربي في بلاد الروم ، حيث توفي المأمون ،وهـــو ثامن أولاد الرشيد ، وثالثهم في الوصول إلى الخلافة ، وقد بايعه العبـــاس بـــن المأمون منذ اللحظة الأولى ، واختار الخليفة المعتصم سامراء على بعد ســـبعين ميلاً إلى الشمال من بغداد على نهر دجلة لتكون عاصمتـــه الجديـــدة ، وكـــان المعتصم رجلاً مهيب الصورة ، موصوفاً بالشجاعة [٤٣٩] .

❁ فـــتـــح عمـــورية

في سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧م ، تم القضاء على تمرد (بابك الخرمي) وجيء به إلى سامراء ، وتهيأت بذلك الفرصة أمام الخليفة المعتصم بعـــد أن اســتتبت الأمور لحكمه لتخفيف رغبته في الانتقام من ملك الروم (توفيل) نتيجـــة غـــزوه مدينة (زبطرة) العربية .

وقد تم نتيجة إعلانه النفير تجمع الجيوش النظاميـــة والمتطوعـــة فـــي معسكرات غربي نهر دجلة في منطقة سامراء وأصبحت مستعدة للمسير وكـــانت تلك القوات كبيره لم تجتمع قبل مثلها مزودة بأحدث الأسلحة والمعدات المعروفة أنذاك ، وقد اختلف في تعدادها والرقم الذي نعتقده قريب إلى الرقـــم الصحيـــح يكون بين ٢٥٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف مقاتل [٤٤٠] .

وقد أمر الخليفة المعتصم أن يكتب كل حامل لواء على لوائــــه(رايتـــه) أنه يقصد (عمورية)كما أمر جميع المحاربين أن يكتبوا اسم (عموريـــــة) علـــى التروس شرع الجيش العربي بالحركة من ســـامراء فـــي ٢ جمـــادى الآخـــرة ٢٢٣هـ/ الأول من نيسان ٨٣٨ م ، وهدفه (عمورية) وكـــانت خطـــة التقـــدم تقتضي بدخول بلاد الروم برتلين على طريقيـــن مختلفيـــن ، ، الرتـــل الأول – بقيادة (الأفشين) (حيدر بن كاردس) بقوة(٣٠٠٠٠) مقـــاتل ويعقـــب طريـــق (درب الحدث) إلى داخل بلاد الروم على أن يسلك طريق – الرقة– ســـروج – سمياط– ومنها إلى درب الحدث ، أما الرتل الثاني وهو القسم الأكبر من الجيـــش بقيادة الخليفة المعتصم ويعقب طريق طرسوس ومنها إلى داخل بلاد الروم [٤٤١].

واتخذ الخليفة المعتصم ترتيبات الحماية أثناء التنقل فقسم جيشـــــه إلـــى مقدمة جعل على رأسها القائد (أشناس) و (محمد بن مصعب) وميمنـــة وعلـــى رأسها القائد (إيتاخ) وميسرة وعلى رأسها القائد (جعفر بن عبـــد الله الخيـــاط) وعلى القلب جعل القائد (عجيف بن عنبسه) وسار الرتلات حتى وصـــل الرتـــل

الأول سرج والرتل الثاني وصل إلى نهر (اللامس) الذي يقــع علــى الحــدود العربية – الرومية ، وهو موضع كان يجري عليه تبادل الأسرى بيــن العــرب والروم [٤٤٢] .

خرج ملك الروم بجيشه من القسطنطينية في الأسبوع الأول من حزيران عام ٨٣٨م لملاقاة الجيش العربي عندما سمع بتقدم الخليفة المعتصم علــى رأس الجيش نحو بلاده ، وأكمل تحشده عند مدينة (درولية) الكائنــة شــمال غــرب (عمورية) وعلى مسيرة ثلاثة أيام منها (تبعد ١١٠ كيلومترات منــها تقريبــا) وتسمى حالية مدينة (أسكى شهر) وأن (توفيل) كــان بعــرف هــدف الخليفــة المعتصم من الحملة وهو مدينة(عمورية) ، ووصلته أنباء عن عظمــة الجيــش العربي وقواته الكبيرة ، لذلك قدم بعض قادة الجيش الرومي إلى ملك نصيحــة أشاروا فيها عليه إخلاء مدينة (عمورية) من السكان ، ولكن (توفيل) رأى فــي ذلك جبنا لا يليق به وأثر أن يحصن (عمورية) وعهد بحمايتها إلى قائد محنــك يدعى (إيتوس) وكان بطريقا والقائد العام في أناضوليا كما بعث إلــى المدينــة تعزيزات جديدة بقيادة القائدين (ثيودور كراتــيروس) والبطريــق (قســطنطين بايوتريكوس) ، تقدم الملك (توفيل) بعد أن أكمل تجهيزه جيشه من (درولية) إلــى وراء نهر (الهيلي) فتأهب لعبور النهر لمفاجأة الجيش العربي ومانعا المعتصــم للوثوب عليه[٤٤٣] .

بقي الملك (توفيل) وجيشه في هذا المحل ينتظر الفرصــة للانقضــاض على الجيش العربي مدة شهر ، وفي هذا الوقت علم الملك من عيونه أن جيشــا عربيا أخر قد دخل بلاد الروم من ناحية (جند الأرميناك) من مدينــة (ســردج) على طريق (درب الحدث) بقيادة (الأفشين) فقرر الملك توفيل استغلال الفرصــة لتحطيم هذا الجيش في هذه الجبال الموحشة لذلك ترك الملك جزءا مــن جيشــه بقيادة شخص يمت له بصله القرابة (ابن عمه) على نهر (الهليس) وأمره أن يبني

في محله ولا يجهد نفسه وأن يتجنب الدخول مع الجيش العربي بمعركة نظاميـــة وسار (توفيل) على رأس – أكثرية جيشه لملاقاة جيش (الأفشين) فـــي منطقـــة (جند الأرميناك) [٤٤٤] .

غرر الخليفة المعتصم الدخول إلى أرض الروم ، من جـــهات مختلفـــة حيث أرسل (الأفيشن) مع قسم من الجيش إلى (سردج) الواقعة جنـــوب غـــرب (سكياط) بـــ٦٥ كيلومتر (ثلاثة عشر فرسخاً) وأمره أن يدخل أرض الروم عـــن طريق (الحدث) ،وقد انضم إلى هذا الجيش أمير ملطية ، وجنود من أرمينيا وقـد حرر لهذا الرتل يوم يصل فيه إلى (أنقرة) أن الخليفة المعتصم كان علـــى رأس الجيش الرئيسي في (طرسوس) مستعداً للتقدم إلى (أنقرة) ليصلـــها فـــي نفـــس الوقت الذي يصلها جيش الأفشين ولتكون نقطة الانطلاق فيما بعـــد منـــها إلـــى (عمورية) [٤٤٥].

بدأ جيش الخليفة المعتصم في التقدم نحو (أنقرة) يوم الأربعاء ٢٢ رجب ٢٢٣ هـــ/ ١٩حزيران ٨٣٨ م ، وقد قسم الجيش إلى ثلاثة أقسام ، في المقدمـــة جيش على رأسه القائد (أشناس) ويليه جيش على رأسه القـــائد (وصيـــف)يليـــه جيش بقيادة (الخليفة المعتصم) وأمر هذه الجيوش بالتقدم إلـــى (أنقـــرة) علـــى طريق طرسوس- الصفصاف – لؤلؤة – مرج مرج الأسقف علـــى أن تكـــون الفاصلة بين جيش وأخر يوم واحد [٤٤٦] .

وعند وصول جيش(أشناس) منطقة (* مرج الأسقف) وصلت أخبار إلى الخليفة المعتصم تفيد بأن ملك الروم على رأس جيشه يعسكر قرب نهر (الهليس) وهو مستعد للعبور ومفاجأة الجيش العربي .

بعث الخليفة المعتصم على الثغور خطاباً إلـــى (أشـــناس) يعلمـــه فيـــه بالمعلومات التي وصلته عن جيش الروم ويامره أن يبقى في محلـــه ولا يعـــبر (نهر الهليس) طالما لن تلتحق بالرتل إلا منعه والمؤن وكذلـــك القـــوات التـــي

أفرزها الرتل لتقوم بواجب (الساقات) عند عبور الجيش مضيق قلقية ،وواجب الساقات حماية مؤخرة الرتل ، وهي عبارة عن قوات صغيرة ،ويظهر من ذلك أن الخليفة المعتصم كان لا يريد ملاقاة جيش الخصم وظهر الجيش العربي مستند إلى النهر أمتثل (أشناس) للأمر وتوقف واتخذ تدابير الحماية المحلية لتفويت الفرصة على الروم من مباغتته حيث أرسل قطعان استطلاع قوية من الفرسان إلى الأمام والأجنحة [٤٤٧] .

أرسل الخليفة المعتصم بعد ثلاثة أيام من توقف (أشناس) رسالة له يطلب منه أن يتقصى المعلومات عن ملك الروم وجيشه وأن يرسل قوة تعمل على جلب بعض الأسرى (للحصول على المعلومات بالقوة) لاستنطاقهم والحصول على المعلومات المطلوبه عن طريقهم .

كلف أشناس المدعو (عمر الفرغاني) على رأس قوة قوامها ٢٠٠ مقاتل من الفرسان لهذا الغرض ، واستطاع الفرغاني من جلب عدد كبير من جنود الروم وبعض السكان المحليين كأسرى ، وتبين من المعلومات التي أفاد بها هؤلاء الأسرى بأن معسكر جيش الروم بقيادة الملك (توفيل) يقع وراء نهر (الهليس) وعلى بعد ٢٠ كيلومترا عن النهر ، وقد مضى على الملك في هذا المعسكر ما يقرب من ثلاثين يوماً ، وهو يترقب مرور جيش الخليفة المعتصم للهجوم عليه ، كذلك أفادوا بأن ملك الروم وصلته معلومات تفيد بأن جيشاً عربياً دخل أرض الروم من ناحية (جند الأميناك) وهو جيش (الأفشين) وأن الملك (تزفيل) ترك قوة مغيرة وراء نهر(الهليس) وسار على رأس جيشه باتجاه (الأفشين) لمباغتته وتدمير جيشه ،أخبر (أشناس) الخليفة المعتصم بهذه المعلومات المهمة ، وعلى أثر وصول تلك المعلومات إلى المعتصم حاول إيصالها إلى (الأفشين) على الفور بكل الوسائل الممكنة ، وخصص مبلغاً كبيراً من المال (عشرة آلاف درهم) لمن يوصل خطاب الخليفة المعتصم إلى الأفشين

والذي يعلم فيه الخليفة الأفشين بتحركات ملك الروم ويأمره بهذا الخطاب أن يقف حيث هو لا يتحرك [٤٤٨] .

وفي الوقت نفسه عزز الخليفة المعتصم رتل (أشناس) وأمره بالتقدم فروراً نحو (أنقرة) وسار الخليفة على رأس قوته وراء (أشناس) وجعل المسافة بينهما مسيرة يوم واحد ولم يكن لدى الرتلين أي خبر عن رتل (الأفشين) فقد توغل في بلاد الروم ولم يصله خطاب الخليفة المعتصم، استمر الملك (توفيل) بالمسير على رأس جيشه حتى وصل (دازيمون) وهي (دزناما القريبة من ترخال الآن) ووقف جيشه على سفوح جبل يسمى (أنزن) وهناك تقابل مع جيش (الأفشين) وجهاً لوجه .

وفي يوم الأربعاء ٢٤ شعبان ٢٢٣هـ/ ٢١ تموز ٨٣٨م ، كان كلا من الجنسين مستعدين لبدء القتال ، استشار الملك (توفيل) قادة جيشه في إجراء الهجوم ليلاً أو نهاراً وقد تضاربت الآراء حول ذلك وكان الملك يفضل الهجوم ليلاً ومع ذلك فقد فضلت الاكثرية الهجوم نهاراً وتقرر ذلك [٤٤٩] في صباح يوم الخميس ٢٥ شعبان – الموافق ٢٢ تموز ، ابتدأت المعركة بين الطرفين وكانت في بداية النهار تسير لصالح الجيش الرومي حيث أوقعوا خسائر كبيرة في الجيش العربي ولكن المعركة انقلبت لصالح الجيش العربي عند ظهر نفس اليوم عندما تدخل الفرسان العرب حيث أوقعوا في الروم الخسائر الفادحة واختل نظام الجيش الرومي وانهزموا من ميدان المعركة واستمرت المعركة حتى الليل وكانت النتيجة هزيمة الجيش الرومي شر هزيمة، وأخذ الجنود الروم يتفقدون قائدهم ولم يجدوه في المعسكر لذلك انسحب أعداد كبيرة منهم نحو نهر (الهليس) ليلتحقوا بالقوة التي تركها الملك (توفيل) هناك بقيادة ابن عمه ، إلا أن هؤلاء الجنود علموا بأن الجيش الذي تركه (توفيل) هناك قد تمرد على قائده وتفرق .

أما الملك (توفيل) فقد بقي في ميدان المعركة زمناً بعد هروب معظم جيشه ولم ينقذه من المصير المحتوم سوى حلول الظلام وهطول الأمطار التي أرخت أوتار سهام المطاردين من الجيش العربي ، واستطاع تجميع ما تبقى لديه من القادة والجنود والانسحاب معهم إلى موضع الجيش الذي تركه على نهر (الهليس) ووجد أن الجيش قد تفرق فأمر بقتل قائده وأرسل أوامره إلى المدن والحصون ليقبضوا على الجنود الهاربين ويبعثوا بهم إلى مكان سماه لهم ليجتمع إليه الناس ليلقى العرب ، ثم أرسل إلى أنقرة قوة لحماية أهلها من جيش (المعتصم) ولكن وصلت القوة بعد فوات الأوان حيث وصلوها وشاهدوا أن أهالي (أنقرة) قد تركوا مدينتهم وإلتجأوا إلى الجبال ، فلما سمع الملك (توفيل) بهذه الأخبار انسحبت ومن معه إلى (درولية) وطلب أن تأتيه الأخبار عن عمورية فقطعوا رأسه [٤٥٠] .

تقدم رتل الخليفة (المعتصم) باتجاه (أنقرة) على عجل نتيجة الأخبار التي وصلته على تحرك الملك (توفيل) باتجاه رتل (الأفشين) وكان على رأس المقدمة (أشناس) ولما وصل إلى مسافة (مسيرة ثلاثة أيام من أنقرة) وصلته معلومات تفيد بأن أهالي (أنقرة) التي كانت تتميز بحصنها القوي قد تركوها خوفاً من الجيش العربي نحوهم واشتبكوا معهم بمعركة قصيرة اندحر على أثرها أهالي أنقرة وغنم العرب الكثير من الأرزاق التي كانوا بأمس الحاجة إليها وقد أسروا الكثير فاستطاعوا أن يحصلوا على معلومات هامة منهم حيث علموا أن الكثيرين من أهالي أنقرة اشتركوا مع جيش (توفيل) في المعركة التي نشبت بينهم وبين جيش (الأفشين) وعلموا منهم كذلك نتيجة المعركة وأثناء انتصارات جيش (الأخشين) على جيش الروم وكانت أنباء جيش الأفنيش منقطعة عنهم منذ زمن بعيد وكذلك حصلوا على معلومات تفيد بأن الملك (توفيل) قد انسحب إلى (درولية) وأنه أرسل تعزيزات إلى عمورية [٤٥١].

وفي نفس اليوم استولى (أشناس) على حصن (أنقرة) وفي اليوم التـــالي وصلها الخليفة (المعتصم) على رأس الجيش العربي وفي اليوم الثـــالث جـــاءت أنباء من الأفشين تخبر الخليفة (المعتصم) بأنه قادم نحو أمير المؤمنيـــن ،وفـــي اليوم التالي وصل رتل(الأفشين) إلى أنقرة وبذلك تكامل تواجد الجيش العربـــي بقيادة الخليفة المعتصم في منطقة (أنقرة) يوم ٢٨ شعبان ٢٢٣هـــ/ المصــــادف ٢٥ تموز ٨٣٨ (٤٥٢) .

أثرت هزيمة الجيش الرومي في نفسية الملك (توفيل) تأثيرا كبيرا جعلتـه ينسى حملته المظفره على (زبطة) في العام الذي مضى ، وبعث إلـــى الخليفـــة المعتصم رسلا ليتولوا الشرح وبذل الوعود المذلة ، حيث ادعى (توفيل) بأن قادة جيشه تجاوزوا أوامره عند احتلال (زبطرة) ووعد ببناء المدينة المدمـــرة علـــى نفقته الخاصة وأن يعيد إلى الخليفة سكان (زبطرة) مضافا إليهم من كان عنده من أسرى العرب ، ولم يستجب الخليفة المعتصم لتوسلات الملك (توفيـــل) واتـــهم الروم بالجبن ، وأمر بحجز الرسل لحين الانتهاء من فتح (عموريـــة) .بعـــد أن تكامل تواجد الجيش العربي في منطقة أنقرة أصدر الخليفة المعتصم أوامره إلـــى الجيش العربي بالتقدم نحو (عمورية) بثلاثة أرتال على أن يكون لكل رتل ميمنة وميسرة ، الرتل الأيمن بقيادة (الأفشين) ، الرتـــل المركـــزي بقيـــادة (الخليفـــة المعتصم) أما الرتل الأيسر بقيادة (أشناس) أول من وصلها ونزل علـــى بعـــد ميلين من المدينة ووصل الخليفة المعتصم ثم وصل (الأفشين) في اليوم الثـــالث وضرب الجيش العربي نطاقا محكما من الحصار حول المدينة التي كانت محاطة بحصن قوي ، وكان سورها يحتوي على أربعة وأربعين برجا وكـــانت موطـــن الأسرة المالكة الرومية وكانت يومئذ مدينة عامرة ، قسم رتل عدد من الأبـــراج ومسافة من السور تتناسب مع تعداد الرتل (٤٥٣) .

❁ حـــصـــار عمـــورية

بدأ الحصار في يوم الجمعة ٦ رمضـــان ٢٢٣ هـــ / ١ آب ٨٣٩ م ، وكان الجيش العربي قد هيأ كافة المستلزمات المطلوبة لإدامة الحصار ومهاجمة السور والأبراج ، ونظرا لمناعة أسوار (عمورية) لذا أمر الخليفـــة المعتصـــم ، بحفر خنادق حول المدينة ليحتمي بها المقاتلون من الجيش العربي وقرر الـهجوم بأقصى قوة ممكنة ابتداء هجوم الجيش العربي بقذف المجانيق أحجارا ضخمـــة نحو سور (عمورية) وأطلقت السهام باتجاه المدافعين على السور وتمكنوا مـــن قتل أغلب من كانوا على الأسوار ، وكان آخرون من الجيش العربي يرمون من عجلات مغطاة تحمي المكلفين بالحفر عن الســـور ، أمـــا أهـــالي (عموريـــة) والجيـــش الرومي المحاصرون فكانوا يقذفون الجيش العربـــي بأحجـــار مـــن مقاليعـــهم وسهامهم [٤٥٤]. وكان رجل من المسلمين ســبق وأن أســره الـــروم يسكن عمورية وقـــد تزوج رومية ، فلما رأى المسلمين خـــرج إليـــهم خفيـــة واجتر الخليفة المعتصم أن هناك موضعا في السور ضعيف البنيان حيث سبـــق أن تهدم نتيجة السيول وقد طلب ملك الروم من حاكم (عموريـــة) أن يعيد بنـــاءه إلا أن حاكم المدينة تجاهـــل في تنفيذ الأمر ، وعندما خرج الملك (توفيل) مـــن القسطنطينية خشي حاكم المدينة من محاسبة الملك له في حالة إطلاعـــه علـــى السور المهدوم ، لذلك أمر ببنائه على عجل وأدى ذلك إلى أن يكون ذلك الجـــزء من السور ضعيفا[٤٥٥].

استفاد الخليفة المعتصم من هذه المعلومات الثمينة وأمر بـــأن تنصـــب المجانيق باتجاه تلك الثغرة الضعيفة من السور وأن يركز الرومـــي باتجاهـــها ، وكان نتيجة ذلك أن تهدم السور في تلك المنطقة، وحاول الروم منع التصدع فـــي السور حيث عملوا على سد الثغرة بالخشب وبطنوه بالغير لتخفيف وقع الأحجـــار

وظلوا على ذلك زمنا إلا أن تركيز الضرب على تلك المنطقة أحدث كسرا في الخشب وتداعى كل السور من هذه الناحية وباءت محاولاتهم بالفشل وعلى أثر ذلك وضع الروم تلك المواد وسدوها كي لا يستطيع المهاجمون الدخول منها وأمر الخليفة المعتصم القطاعات الأمامية بالدخول من الثغرة ، ومع ذلك فشل الهجوم لشدة مقاومة الروم وتركز قوتهم ومجانيقهم على هذه المنطقة الضعيفة في السور البالغة الأهمية (٤٥٦) .

ونتيجة الموقف الخطير الذي أصبح فيه المقاتلون دفاعا عن (عمورية) والخسائر التي تكبدوها كتب قائد عمورية (إيتيوس) إلى الملك (توفيل) كتاب يعلمه فيه بتهدم جزء من السور وموقفهم الخطير والخسائر الفادحة التي تكبدوها وقوة الجيش العربي المحاصر للمدينة ، ويعلمه كذلك بأنه عازم على مغادرة عمورية ليلا مع جنوده حيث يحمل على جيش العرب ويشق له ولجنوده طريق بالقوة ليلحق هو وجنده بالملك وقد ختم القائد الرومي خطابه بالعبارة التالية (ليكن ما يكن ولينج من يستطيع النجاة ويهلك من يلقاه الهلاك) وأرسل الكتاب مع رجلين أحدهما يتكلم اللغة العربية إلا أن الرجلين ألقي القبض عليهما من قبل جنود الخليفة وجيء بهما إلى الخليفة المعتصم وقام جنود الخليفة بتفتيشهما فوجدوا بحوزتهما الكتاب ،وأمر بتطوافهما حول سور (عمورية) ووقفا مقابل البرج الذي كان يقيم فيه (إيتيوس) فرآهما وكذلك شاهدهم الروم الذين كانوا في السور (٤٥٧).

وعلى أثر معرفة الخليفة المعتصم بنوايا(إيثيوس) أمر بتشديد الحراسة ليلاً ونهاراً لإحباط نواياهم، وقرر الخليفة المعتصم شن هجوم ثالث مركز على أسوار المدينة والاستيلاء عليها ، وأسر بناء عرادات يديرها أربعة مقاتلين ووضع العرادات على منصات ضخمة محمولة على عجلات وجعل مع العرادات دبابات تتحرك على عجلات وجعلها أيضاً تتسع لعشرة رجال ثم

خصص من الجنود لطمر الخندق بجلود الغنم الممشاة بالتراب لتسهيل عبور الدبابات للخندق والوصول إلى الأسوار للسيطرة عليها وعندما شرع بطمر الخندق بجلود الأغنام الممشاة صوب الروم بمجانيقهم وسهامهم بكثافة على الجنود وكان نتيجة ذلك أن ألقيت الجلود على عجل ولم يمتلئ الخندق بها ، فأمر الخليفة أن يلقي التراب فوقهما وأمر الدبابات أن تعبر الخندق إلا أنها توقفت عند منتصف الخندق نتيجة عدم طمر الخندق بصورة جيدة ، وفشل الجنود في دفعهما عبر الخندق وكاد يموت من كان فيها من الجنود وهكذا انتهت العملية بالفشل [٤٥٨] .

في اليوم التالي أمر المعتصم بإعادة الهجوم وكان (أشناس) وجنوده أول من هاجم الأسوار ولكنه لم يحالفه النصر واستمرت الهجمات الشديدة ثلاثة أيام متتالية وقد ترأس فيها الهجوم (الأفشين)ثم الخليفة (المعتصم) نفسه وكانت صعبه ومع ذلك بدأت الحرب تتطور لصالح العرب تدريجيا نتيجة التركيز على ضرب الثغرة بالمنجنيق ونتيجة الخسائر الكبيرة التي وقعت في صفوف الروم المدافعين عن الثغرة .

❁ سقوط عمورية

كان القادة الروم (بطارقة) قد تقسموا مسؤولية الدفاع عن السور والأبراج وكان البطريق الموكل إليه الدفاع عن منطقة الثلمة التي حدثت في السوريد على (وندو) وكان مقاتلا شديدا ، إلا أن كثرة الخسائر التي وقعت في صفوف قواته من جراء قصف المنجنيق على الثغرة أدى إلى أن يطلب (وندو) العون والمدد من (إيثيوس) إلا أن الأخير لم يلب طلبه لأنه في أمس الحاجة إلى الجنود في القواطع الأخرى من السور ، لذلك اجتمع (وندو) مع مستشاريه

وناقش الأمر معهم وتم الإتفاق على الخروج إلى المعتصم وطلب الأمـــان لـــهم ولعوائلهم مقابل تسليم الحصن بما فيه من السلاح والمتاع [٤٥٩].

ولما أصبح الصباح أمر أصحابه المسؤولين عن الدفاع عن الثغرة بأن لا يحاربوا حتى يعود وخرج هو إلى الخليفة المعتصم وبينما هو يحاور المعتصـــم كان الجنود العرب يتقدمون ويقتربون من السور في حين أمسك الروم عن القتال وأشاروا على الجنود العرب المتقدمين بالوقوف عن التقدم .

استغل الجنود العرب الفرصة وبسرعة خاطفة دخلوا المدينة من الثغـــرة وكانت مفاجئة تامة للروم فهربوا أمام القوات العربيـــة ، وكـــان (ونـــدو) مـــع المعتصم عندما دخل الجنود العرب المدينة مستغلين عدم مقاتلة الروم لهم نتيجـــة أوامر قائدهم (وندو) لهم بعدم القتال لحين عودته فلما رأى (ونـــدو) ذلـــك قـــال المعتصم (كل شيء تريده فهو لك ولست (خائنك) ، أما (إيثيوس) قد استسلم إلى الخليفة المعتصم ، وهكذا افتتحت (عمورية) أقوى حصن بلاد الروم بعد حصـــار استمر ١٢ يوما كانت قاسية على الطرفين حيث قتل في عمورية مـــــن الـــروم ٤٠,٠٠٠ وأخذ الباقون أسرى [٤٦٠] .

أمضى الخليفة المعتصم في (عمورية) خمسة وخمســين يومـــا وأمـــر بترميم (زبطرة) وتحصينها وإقامة حصون أخرى حولها وكان المعتصم في تلـــك الفترة يفكر في حملة على القسطنطينية ويجمع المعلومات عنها وعـــــن طريـــق حصارها برا وبحرا ، وعاد الجيش العباسي إلى سامراء بعـــد هـــذا الانتصـــار الكبير، وصرف الخليفة النظر عن مشروعه في مهاجمة القسطنطينية ، بســـبب اكتشاف مؤامرة داخل الجيش استهدفت حياته [٤٦١].


تم بحمد الله

الهوامش

(١) سقيفة بن ساعدة بالمدينة ، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها ، أما بنـــو ســاعدة الذيــن أضيفت إليهم السقيفة ، فهم من الأنصار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكــانت دار سعد مما يلي سوق المدينة وعندها السقيفة .

(٢) الطبري – تاريخ – ٢١٠/٣ .

(٣) إبن الأثير – الكامل في التاريخ – ط ٢ .

(٤) ابن خلدون – المقدمة – بيروت – ط٣ – ص ١٩١ .

(٥) المصدر نفسه – ص ٢٠٩ .

(٦) عبد المنعم ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ١٦/١-١٦٧ .

(٧) ابن هشام – السيرة – ٦٦١/٢ .

(٨) هو أسامه بن زيد بن حارثة – أمه أم أيمن وكان أسود أفطس ، أردفه رسول الله (ﷺ) خلفه يوم الفتح على راحلته القصواء واستعمله وهو ابن ثماني عشرة سنة ، روي لــه عن رسول الله (ﷺ) – ١٢٨حديثاً ، وروي عنه ابن عباس وجماعة من كبار التــابعين وكانت وفاته بالمدينة وقيل بوادي القرى وحمل إلى المدينة سنة ٥٤ هـ .

(٩) ولا تعقروا نخلاً – أي لا تقطعوه .

(١٠) الدوري – مقدمة في تاريخ صدر الإسلام – ص ٤٥-٤٦ .

(١١) البلاذري – فتوح البلدان – ص ١١٥ .

(١٢) الطبري – تاريخ – ٣٦١/٣ -٣٦٢ .

(١٣) طه حسين – الشيخان – ص ٨٧ -٨٨ .

(١٤) البلاذري – فتوح البلدان – ص ٢٤٢ .

(١٥) المصدر نفسه – ص ٢٤٢ -٢٤٣ .

(١٦) كمال أحمد عادل – الطريق إلى المدائن – ص ٢٠٥ .

(١٧) الأيلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة لأن البصرة حصرت في أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكانت الأيلة حينئذ مدينة .

(١٨) الطبري – تاريخ ٣/٣٣٤-٣٣٧ .

(١٩) المصدر نفسه – ٣/٣٤٨ .

(٢٠) المصدر نفسه – ٣/٣٤٨-٣٥٠ .

(٢١) الحيرة : وتبعد ثلاثة أميال عن الكوفة على موضع يقال له (النجف) .

(٢٢) الولجة : بأرض كسكر موضع مما يلي البر وكسكر كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية لأنها تكثر فيها بشكل كبير ، وحد كوره كسكر من الجانب الشرقي في آخر النهروان إلى أن تصب نهر دجلة في البحر ، أما النهروان فهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد .

(٢٣) في معجم البلدان – عين تمر بلدة قريبة من الأنبار تمر بالكوفة يجلب منها التمر إلى سائر البلاد .

(٢٤) الطبري – تاريخ – ٣/ ٣٩٣ .

(٢٥) تيماء : بلدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق محج الشام ودمشق ولا يلق الفرد: حصن المسؤول بن عاديا مشرف عليه فلذلك كان يقال لها تيماء اليهود

(٢٦) الطبري – تاريخ – ٣/٣٧٨ – ٣٩١ .

(٢٧) ابن الأثير – الكامل – ج٢ .

(٢٨) الطبري – تاريخ – ٣/٣٧٨ –ابن خياط – تاريخ – ص ٨٦ ، البلاذري – فتوح البلدان – ص ١١٦ .

(٢٩) البلقاء : منطقة في شرقي نهر الأردن قاعدتها السلط – وبجودة حنطها يضرب المثل .

(٣٠) البلاذري – فتوح البلدان – ص ١١٧ – ١١٩ .

(٣١) المصدر نفسه – ص ١٢٠ .

(٣٢) الطبري- تاريخ – ٤١٨/٣ – ٤١٩ .

(٣٣) ابن سعد – الطيفان – ٢٠٠/٣ .

(٣٤) ابن خياط – تاريخ ٩١/١ .

(٣٥) الطبري – تاريخ – ٤٤٤/٣ .

(٣٦) المصدر نفسه – ٤٤٥/٣ .

(٣٧) البلاذري – فتوح البلدان – ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٣٨) المصدر نفسه – ص ٢٥٢- ٢٥٣ ، الطبري – تاريخ ٤٥٤/٣ -٤٥٥ .

(٣٩) المصدر نفسه – ص ٢٥٣ .

(٤٠) الطبري – تاريخ – ٤٦٠/٣ – ٤٦٣ .

(٤١) المصدر نفسه – ٤٦٤/٣ – ٤٦٦ .

(٤٢) البلاذري – فتوح البلدان – ص ٢٥٥ .

(٤٣)القادسية : بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ، واختلف في سبب تسميتها ، فقيل سميت بالقادسية بقادس هراة ، وروي ابن عيينة قال مر إبراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً نقلت رأسه فقال قدست من أرض فسميت القادسية .

(٤٤)سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص ، أسلم بعد سنة وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة ، روي عنه قال أسلمت قبل أن تفرض الصلاة وهو أحد المبشرين بالجنة شهد بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، وأبلى يوم أحد بلاء عظيماً ، وهو أول من أراق دماً في سبيل الله ، وأول من رمى بسهم في الإسلام ، وعن جابر قال أقبل سعد فقال رسول الله (ﷺ) : (هذا حالي فليرى أمرؤ خاله) ، وإنما قال هذا لأن سعداً زهري ، وأم رسول الله زهرية ، وهو إبن عمها ، يجتمعان في عيد مناف ، وأهل الأم أخوال ، وكان مجاب الدعوة ، وكان الناس يعلمون ذلك منه ، ويخافون دعاءه

ورمى سعد يوم أحد ألف سهم ، وتوفي سعد سنة ٥٥ هـ وكان آدم قصيراً أقطش وتوفي بالعقيق على سبعة أميال من المدينة ، وكان آخر المهاجرين موتاً

(٤٥) المغيرة بن شعبة ، الصحابي أسلم عام الخندق وكان موصوفاً بالدهاء والحلم ، شهد الحديثة مع رسول الله (ﷺ) في صلحها كلام معروف مع عروة بن مسعود ، توفي بالكوفة سنة ٥٠ هـ .

(٤٦) نقلا عن كتاب الشاهنامة ، ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام ،ج ٢ ص٢٦٥ – ٢٦٦

(٤٧) الطبري – تاريخ – ٤٩٠/٣ .

(٤٨) سورة الأنبياء – الآية ١٠٥ .

(٤٩) أصل معنى كلمة الهرير : صوت الكلب وهو دون النبيح ، وسميت ليلة الهرير لتركهم الكلاب ، وإنما كانوا يهرون هريرا .

(٥٠) درفش : معناها بالفارسية اللواء وفي مفتاح العلوم للخوارزمي الدرفس معرب من درفش كابيان ، والدرفش هو العلم وكان إسم الرجل الذي خرج على الضحاك حتى قتله أفريدون كابي ، وكان علم كاي من جلد دب ويقال من جلد أسد وكان يتيمن به ملوك الفرس فغشوه بالذهب ورصعوه بالجواهر الثمينة .

(٥١) برس موضع بأرض بابل أثار نبوخذ نصر وتل مفرط العلو صرح البرس .

(٥٢) الكوفة بالضم المصر المشهور بأرض بابل في سواد العراق ، ويسميها قوم (خد العذراء) قيل : سميت الكوفة لإستدارتها أخذا من قول العربي رأيت كوفانا وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها ، من قولهم قد تكون الرمل وقيل غير ذلك

(٥٣) المدائن : هي عاصمة ملك فارس ، وكانت مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم ، وإنما سمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن وإسمها عن الفرنج أكتيزيفون بينها وبين بغداد ٢٥ ميلا .

(٥٤) الطبري – تاريخ – ٥٢٩/٣ – ٥٣٠ .

(٥٥) من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وهي أحد المدائن السبع التي سميت بها المدائن وهي في غربي دجلة ، وهي تجاه الإيوان ، لأن الإيوان في شرقي دجلة وهي في غربيه .

(٥٦) الدبابات: جمع دبابه ، وهي سلاح كان يضع من الجلد والخشب ، كهيئة العربة يدخل تحتها المقاتلون عند اقتحام الحصون ، فتقيهم من أسهم المدافعين وحجارتهم التي كانوا يقذفون بها المهاجمين .

(٥٧) البلاذري – فتوح البدان – ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٥٨) ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢٠٢/١- ٢٠٦ .

(٥٩) الطبري – تاريخ –٣٥/٤-٣٦ .

(٦٠) المصدر نفسه – ٣٦/٤ .

(٦١) المصدر نفسه – ٣٦/٤ –٣٧ .

(٦٢) المصدر نفسه – ٣٧/٤ .

(٦٣) إبن خياط – تاريخ ١١٠/١ .

(٦٤) البلاذري – فتوح البلدان – ٣٢٧ .

(٦٥) المصدر نفسه – ص ١٢٢ –١٢٥ .

(٦٦) ابن خياط – تاريخ – ٩٤/١ .

(٦٧) البلاذري – فتوح البلدان – ص ١٢٢ .

(٦٨) سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، ودجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، ودجلة والفرات يقبلان من بلاد الروم ، ويلتقيا قرب البصرة ، ثم يصبان في البحر ، بها من جليلة ، وحصون وقلاع كثيرة – ومن أهم مدنها : حران ، والزهاء والرقة ، ورأس عين ، ونصيبين ، وسنجار ، والخابور ،وماردين ، والموصل وغير ذلك .

(٦٩) البلاذري – قوم البلدان – ص ١٤٠ .

(٧٠) المصدر نفسه - ص ١٤٠-١٤٢ - الطبري - تاريخ -٣/٣٩٥ .

(٧١) البلاذري - فتوح البلدان - ص ١٤٢ .

(٧٢) كانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً ، وهي كورة بالشام ، منها حلب ، وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بغرب العواصم ، وإسم حمص عند الروم (EMESA) .

(٧٣) الرقة : أصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء ، وجمعها رقاق ، وقبل الرقاق الأرض اللينة من غير الرمل ، وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة ، لأنها من جانب الفرات الشرقي .

(٧٤) البلاذري ، فتوح البلدان - ص ١٤٢ .

(٧٥) سورة المائدة ، الآية ٢١ .

(٧٦) اسم هذا البطرق حقرنيوس ، ولد بدمشق ، وبقي راهباً مدة طويلة ببيت المقدس ، ثم رحل إلى الإسكندرية ، ثم طرد منها ، واستقر أخيراً بفلسطين ، وفي سنة ٦٣٤ م تم تعيينه بطريقاً لبيت المقدس ، وفي سنة ٦٣٧م صالح المسلمين .

(٧٧) سورة إبراهيم الآية: ٧ .

(٧٨) سورة الكهف الآية: ١٧ .

(٧٩) سورة التوبة الآية: ٥١ .

(٨٠) ابن خياط - تاريخ - ١/١٠٥ .

(٨١) ابن عبد الحكم وفتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣-٥٦ .

(٨٢) المصدر نفسه - ص ٥٦ .

(٨٣) الطبري - تاريخ - ٤/١٠٤ .

(٨٤) إبن خياط - تاريخ - ١/١١٤ .

(٨٥) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢١٤ .

(٨٦) ذكر الواقدي أن الذي بنى قصر الشمع اسمه الريان بن أرسلان ، وكان هذا القصـــــر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر ، وذلك أنه إذا حلت الشمس في برج من الـبروج ، أو قد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر ، فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت في البرج الذي كانت فيه إلى برج آخر غيره .

(٨٧) البلاذري - فتوح البلدان - ص ٢٢١-٢٢٥ .

(٨٨) الدوري - تاريخ صدر الإسلام - ص ٤٧ .

(٨٩) الطبري - تاريخ ٤١٧/٤ .

(٩٠) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص- ٩٨ .

(٩١) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص- ٩٨ .

(٩٢) ابن خياط - تاريخ ١٣١/١ .

(٩٣) قدامه - الخراج - ص - ٣٧٦ .

(٩٤) المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ٩٩ .

(٩٥) المصدر نفسه - ص ١٠٠ .

(٩٦) قدامه - الخراج - ص ٣٨٩ .

(٩٧) ابن خياط - تاريخ - ١٣٣/١ .

(٩٨) الطبري ، تاريخ ١٧٦/٤ .

(٩٩) الطبري - تاريخ - ١٧٦/٤ - ١٧٧ .

(١٠٠)المصدر نفسه - ٤-٢٥١ .

(١٠١)المعاضيدي - عثمان بن عفان - ص ١٠١ .

(١٠٢)المصدر نفسه - ص ١٠١ - ١٠٢ .

(١٠٣)الطبري - تاريخ ٢٤٦/٤ .

(١٠٤)قدامه - الخراج - ص - ٣٧٩ .

(١٠٥)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٠٨ .

(١٠٦)ابن خياط – تاريخ – ١/١٤٠ .

(١٠٧)ابن خياط – تاريخ – ١/١٣٧ .

(١٠٨)الطبري – تاريخ – ٤/٢٦٦ .

(١٠٩)ابن خياط – تاريخ – ١/١٤٠ .

(١١٠)ابن خياط – تاريخ – ١/ ١٣٨ .

(١١١)المصدر نفسه – ١/١٣٧ .

(١١٢)المعاضيدي – عثمان بن عفان ص ١١٠ .

(١١٣)ابن خياط – تاريخ ١/١٣٩ –١٤٠ .

(١١٤)المعاضيدي – عثمان بن عفان ص ١١٢ .

(١١٥)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١١٣ .

(١١٦)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١١٣ .

(١١٧)ابن خياط – تاريخ ١/١٤٠ .

(١١٨)ابن خياط – تاريخ ١/١٤٠ ، ١٥٨ .

(١١٩)المصدر نفسه – ص ١٤٠ .

(١٢٠)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١١٥ .

(١٢١)ابن خياط – تاريخ ١/١٥٨ .

(١٢٢)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١١٧

(١٢٣)الطبري – تاريخ – ٤/٢٦٤ .

(١٢٤)ابن خياط تاريخ ١/ ١٤٠ .

(١٢٥)اليعقوبي – تاريخ – ٢/١٦٧ .

(١٢٦)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١١٨ .

(١٢٧)ابن خياط – تاريخ – ١٤٠/١ .

(١٢٨)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١١٩ .

(١٢٩)اليعقوبي – تاريخ – ١٦٧/٢ .

(١٣٠)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١١٩ .

(١٣١)المصدر نفسه – ص ١٢٠ .

(١٣٢)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٢١ .

(١٣٣)المصدر نفسه – ص ١٢١ .

(١٣٤)المصدر نفسه – ص ١٢٦ .

(١٣٥)الطبري – تاريخ – ٢٦٩/٤ .

(١٣٦)قدامه – الخراج – ص ٣٧٧ .

(١٣٧)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٢٢ .

(١٣٨)المصدر نفسه – ص ١٢٣ .

(١٣٩)الطبري – تاريخ – ٣١٢/٤ – ابن الخياط – تاريخ ١٤١/١ .

(١٤٠)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٠٣ .

(١٤١)الطبري – تاريخ – ٢٤٧/٤ .

(١٤٢)المصدر نفسه – ٢٤٧/٤ – ٢٤٨ .

(١٤٣)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٠٤ .

(١٤٤)ابن خياط – تاريخ ١٣٨/١ .

(١٤٥)ابن أعثم – كتاب الفتوح – ١١٢/٢ – ١١٣ .

(١٤٦)المصدر نفسه – ١١٣/٢ .

(١٤٧)االمعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٠٥ .

(١٤٨)ابن أعثم – الفتوح – ١٥/٢ .

(١٤٩)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٠٥ .

(١٥٠)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص١٠٦ .

(١٥١)اليعقوبي – تاريخ ١٦٨/٢ ، ابن أعثم – كتاب الفتوح ١١٥/٢ .

(١٥٢)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٠٧ .

(١٥٣)البلاذري – فتوح – ص ١٥٧ – ١٣٣ .

(١٥٤)المصدر نفسه – ص ١٣٣ .

(١٥٥)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٣٥ .

(١٥٦)ابن اعثم – كتاب الفتوح – ١١٧/٢ – ١١٨ .

(١٥٧)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص١٣٦ .

(١٥٨)المصدر نفسه – ص ١٣٧ .

(١٥٩)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٣٧ .

(١٦٠)ابن اعثم – كتاب الفتوح – ١٤٥/٢-١٤٦ .

(١٦١)المصدر نفسه – ١٢٨/٢ .

(١٦٢)الطبري – تاريخ – ٢٩٠/٤ .

(١٦٣)ابن اعثم – كتاب الفتوح – ١٣٠/٢ .

(١٦٤)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٣٩ .

(١٦٥)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٣٩ .

(١٦٦)ابن اعثم – كتاب الفتوح – ١٢٨/٢ .

(١٦٧)المصدر نفسه – ١٢٨/٢ -١٢٩ .

(١٦٨)ابن أعثم – كتاب الفتوح – ١٤١/٢ .

(١٦٩)المصدر نفسه – ١٤١/٢-١٤٢ .

(١٧٠)ابن اعثم – كتاب الفتوح – ١٤٢/٢ .

(١٧١)المصدر نفسه – ٢/١٤٢-١٤٥ .

(١٧٢)العدوي – الامويين والبيزنطيين – ص ٢٥ .

(١٧٣)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٤٢ .

(١٧٤)ابن أعثم – كتاب الفتوح – ٢/١٢٥ –١٢٦ .

(١٧٥)ابن اعثم – كتاب الفتوح – ٢/١٢٧ .

(١٧٦)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٤٤ .

(١٧٧)ابن اعثم – كتاب الفتوح – ٢/١٣٢ .

(١٧٨)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٤٥ .

(١٧٩)ابن اعثم – كتاب الفتوح – ٢/١٣٤ .

(١٨٠)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٤٦ .

(١٨١)ابن خياط – تاريخ ١/١٣٨ .

(١٨٢)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٤٧ .

(١٨٣)المعاضيدي – عثمان بن عفان – ص ١٤٧ .

(١٨٤)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ص٢٧– ٢٨ .

(١٨٥)شلبي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١١١ .

(١٨٦)ابن سعد – الطبقات – ٥/٦٨ .

(١٨٧)ياقوت – معجم – ٧/ص ٨٦-٨٧ .

(١٨٨)البلاذري – فتوح – ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(١٨٩)ياقوت – معجم – ٧/٣٢٠ –٣٣٧ .

(١٩٠)البلاذري – فتوح – ص ١٣٣ –١٦٧ – ١٨٥ – ١٨٨ .

(١٩١)أومان – الإمبراطورية البيزنطية – ص ١٣١ – ١٣٢ .

(١٩٢)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ٤٦ .

(١٩٣)شبلي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١١٥ .

(١٩٤)ابن خلدون – المقدمة – ص ٢٩٤ .

(١٩٥)ابن خلدون – المقدمة – ص ٢٩٤ .

(١٩٦)شبلي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١٢٠ .

(١٩٧)خطاب – قادة فتح المغرب – ٩٨/١ .

(١٩٨)المصدر نفسه – ص ٩٩ .

(١٩٩)خطاب – قادة فتح المغرب – ١٠١/١ .

(٢٠٠)المصدر نفسه – ١٠٢/١ .

(٢٠١)خطاب – قادة فتح المغرب – ١٠٣/١ .

(٢٠٢)خطاب – قادة فتح المغرب – ١٣٨/١ .

(٢٠٣)خط اب – قادة فتح المغرب – ١٣٩/١ .

(٢٠٤)المصدر نفسه – ١٤٠/١ .

(٢٠٥)خطاب – قادة فتح المغرب – ١٤١/١ .

(٢٠٦)الواقدي – فتوح الشام ومصر – ٤١٣/١ .

(٢٠٧)السيد عبد العزيز سالم – تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس – ص٢٤،٩٥-٩٦ .

(٢٠٨)الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية – ص٢٤ .

(٢٠٩)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٢٧٨ .

(٢١٠)الدوري – صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط – ص ٢٤ .

(٢١١)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ٦١ .

(٢١٢)المصدر نفسه – ٢-٦٢ .

(٢١٣)شبلي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١٢١ .

(٢١٤)شبلي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١٢٢ .

(٢١٥)خطاب – قادة الفتح المغرب – ١/١٥٢ .

(٢١٦)خطاب – قادة الفتح المغرب – ١/١٥٤ .

(٢١٧)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٧٠ .

(٢١٨)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٧١ .

(٢١٩)المصدر نفسه – ٢/١٧١ – ١٧٢ .

(٢٢٠)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٧٢ .

(٢٢١)المصدر نفسه – ٢/١٧٣ .

(٢٢٢)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٧٢ .

(٢٢٣)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٧٥ .

(٢٢٤)المصدر نفسه – ٢/١٧٦ .

(٢٢٥)خطاب – قادة الفتح المغرب – ١/١٥٤ –١٥٥ .

(٢٢٦)خطاب – قادة الفتح المغرب – ١٥٥ .

(٢٢٧)المصدر نفسه – ٢/١٥٦ .

(٢٢٨)خطاب – قادة الفتح المغرب – ١٥٥ .

(٢٢٩)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٨١ .

(٢٣٠)المصدر نفسه – ٢/١٨٢ .

(٢٣١)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٨٢ .

(٢٣٢)خطاب – قادة الفتح المغرب – ١٥٥ .

(٢٣٣)جلوب – إمبراطورية العرب – ص ٢١٤ .

(٢٣٤)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٦٢ .

(٢٣٥)ابن خلدون – المقدمة – ص ١٩٢ .

(٢٣٦)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ١٦٣ .

(٢٣٧)ابن خلدون - المقدمة - ص ١٩٣ .

(٢٣٨)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ١٦٤ .

(٢٣٩)ابن خلدون - المقدمة - ص ١٩٣ - البلاذري - فتوح - ص ٣٠٠-٣٠١ .

(٢٤٠)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ١٦٥ .

(٢٤١)ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٠٦ .

(٢٤٢)المصدر نفسه - ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، البلاذري - فتوح - ص ٤٦٦ .

(٢٤٣)ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٠٦ .

(٢٤٤)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ١٦٨ .

(٢٤٥)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ١٦٩ .

(٢٤٦)ابن خلدون - المقدمة - ص ٢٠٧- ٢٠٨ .

(٢٤٧)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ٢٠٨ .

(٢٤٨)البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٠٣ .

(٢٤٩)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ٢٠٩ .

(٢٥٠)البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٠٨ .

(٢٥١)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ٢١٠ .

(٢٥٢)المصدر نفسه - ص ٢/٢١١ .

(٢٥٣)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ٢١٣ .

(٢٥٤)البلاذري - فتوح البلدان - ص ٤٢١ .

(٢٥٥)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ٢١٥ .

(٢٥٦)ماجد - التاريخ السياسي للدولة العربية - ٢/ ٢١ .

(٢٥٧)المصدر نفسه - ص ٢/٢١٦ .

(٢٥٨)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ٢١٧ .

(٢٥٩)المصدر نفسه – ص ٢١٨/٢ .

(٢٦٠)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٣٩٩ .

(٢٦١)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ٢١٧ .

(٢٦٢)المصدر نفسه – ص ٢٢١/٢ –٢٢٢ .

(٢٦٣)جلوب – إمبراطورية العرب – ص ١٩٢ .

(٢٦٤)المصدر نفسه – ص ١٩٤.

(٢٦٥)المصدر نفسه – ص ٢٢٥ .

(٢٦٦)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٨٤ .

(٢٦٧)ابن الأثير الكامل في التاريخ – ١٠٢/٤ .

(٢٦٨)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٨٥ .

(٢٦٩)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٨٥ .

(٢٧٠)المصدر نفسه – ص ١٩٣.

(٢٧١)البلاذري – فتوح البلدان – ص ١٦٧ .

(٢٧٢)ابن الأثير الكامل في التاريخ – ١١٠/٤ .

(٢٧٣)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ١٩٥ .

(٢٧٤)خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٤١/١ .

(٢٧٥)خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٤٢/١ .

(٢٧٦)المصدر نفسه – ص ١/ ٢٤٢ .

(٢٧٧)المصدر نفسه – ص ٢٤٢/١ –٢٤٣.

(٢٧٨)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ٢٠٢ .

(٢٧٩)خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٤٥/١ .

(٢٨٠) التلمساني – نفح الطيب – ٢٤١/١ .

(٢٨١) التلمساني – نفح الطيب – ٢٤٤/١ .

(٢٨٢)المصدر نفسه – ص ١/ ٢٤٨ .

(٢٨٣)خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٥٦/١ .

(٢٨٤)خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٥٦/١ .

(٢٨٥) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٧/١ .

(٢٨٦)خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٥٧/١ .

(٢٨٧) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٢/١ .

(٢٨٨) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٥٨/١ .

(٢٨٩) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٣/١ .

(٢٩٠)المصدر نفسه – ص ١/ ٢٥٣ .

(٢٩١) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٦٠/١ .

(٢٩٢) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٦١/١ .

(٢٩٣) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٦١/١ .

(٢٩٤) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٣/١ .

(٢٩٥)مؤنس – فجر الأندلس – ص ٩٩ –١٠٠ .

(٢٩٦) التلمساني – نفح الطيب – ٢٦٠/١ .

(٢٩٧) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٥/١ – ٢٥٦ .

(٢٩٨) مؤنس – فجر الأندلس – ص ١٠٢ .

(٢٩٩) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٦٦/١ .

(٣٠٠) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٦٨/١ .

(٣٠١) مؤنس – فجر الأندلس – ص ١٠٤ .

(٣٠٢) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٨/١ .

(٣٠٣) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٧٠/١ .

(٣٠٤) التلمساني – نفح الطيب – ٢١٨/١ .

(٣٠٥) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٩/١ .

(٣٠٦) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٧٣/١ .

(٣٠٧)المصدر نفسه – ص ١/ ٢٧٤ .

(٣٠٨) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٧٤/١ .

(٣٠٩) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٨/١ .

(٣١٠) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٧٥/١ .

(٣١١) التلمساني – نفح الطيب – ٢٥٩/١ .

(٣١٢) مؤنس – فجر الأندلس – ص ١٠٧ .

(٣١٣) خطاب – قادة الفتح المغرب – ٢٨٤/١ .

(٣١٤)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ٢٠٧ .

(٣١٥)عماش صالح قتيبة بن مسلم – ص ٧١ .

(٣١٦)المصدر نفسه – ص ٧٤ .

(٣١٧)عماش صالح قتيبة بن مسلم – ص ٧٥ .

(٣١٨)المصدر نفسه – ص ٧٦ .

(٣١٩)المصدر نفسه – ص ٧٩ .

(٣٢٠)عماش صالح قتيبة بن مسلم – ص ٧٩ .

(٣٢١)المصدر نفسه – ص ٨٠ .

(٣٢٢)عماش صالح قتيبة بن مسلم – ص ٨١ .

(٣٢٣)المصدر نفسه – ص ٨١ – ٨٢ .

(٣٢٤)ابن الأثير – الكامل – ٤/١٠٧ .

(٣٢٥)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ٨٧ .

(٣٢٦)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ٩٠ .

(٣٢٧)المصدر نفسه – ص ٩٥ .

(٣٢٨)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ٩٦ .

(٣٢٩)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ٩٧ .

(٣٣٠)المصدر نفسه – ص ٩٨ .

(٣٣١)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١٠١ .

(٣٣٢)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١٠٢ .

(٣٣٣)المصدر نفسه – ص ١٠٣ .

(٣٣٤)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٣٣٥)المصدر نفسه – ص ١٠٤ .

(٣٣٦)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١٠٨ .

(٣٣٧)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١١٠ .

(٣٣٨)المصدر نفسه – ص ١١١ .

(٣٣٩)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١١١ .

(٣٤٠)المصدر نفسه – ص ١١٤ .

(٣٤١)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١١٩ .

(٣٤٢)المصدر نفسه – ص ١٢٠ .

(٣٤٣)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١٢٠ .

(٣٤٤)المصدر نفسه – ص ١٢٢ .

(٣٤٥)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١٢٩ .

(٣٤٦)المصدر نفسه – ص ١٣٠ .

(٣٤٧)عماش – قتيبة بن مسلم – ص ١٣٠ .

(٣٤٨)شلبي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١٣٦ .

(٣٤٩)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/ ٢٢٨ .

(٣٥٠)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٣٧٢ – ٣٧٣ .

(٣٥١)ابن الأثير – الكامل – ٣/ ٢١٨ .

(٣٥٢)المصدر نفسه – ٤/١١١ .

(٣٥٣)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٤٣١ – ٤٣٢ .

(٣٥٤)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٣٣ .

(٣٥٥)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٤٣٢ .

(٣٥٦)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٣٤ .

(٣٥٧)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٤٠٠ .

(٣٥٨)شلبي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١٣٨-١٣٩ .

(٣٥٩)المصدر نفسه – ١٣٩ .

(٣٦٠)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٣٥ .

(٣٦١)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٤٣٧ .

(٣٦٢)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٣٦ .

(٣٦٣)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٣٦ .

(٣٦٤)المصدر نفسه – ٢/٢٣٧ .

(٣٦٥)ابن الأثير – الكامل – ٤/ ١١٢ .

(٣٦٦)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٣٨ .

(٣٦٧)شلبي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ٧٦ .

(٣٦٨)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٣٨، ٢٤١ .

(٣٦٩)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٤٤ .

(٣٧٠)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٤٥ .

(٣٧١)ابن الأثير – الكامل – ٤/ ١٤٦ .

(٣٧٢)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٤٦ .

(٣٧٣)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٤٧ .

(٣٧٤)ابن الأثير – الكامل – ٤/ ١٤٦ .

(٣٧٥)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٤٨ .

(٣٧٦)ابن الأثير – الكامل – ٤/ ١٤٧ .

(٣٧٧)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٤٩ .

(٣٧٨)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٤٩ .

(٣٧٩)ابن الأثير – الكامل – ٤/ ١٤٤ .

(٣٨٠)المصدر نفسه – ٤/١٤٧ .

(٣٨١)ابن الأثير – الكامل – ٤/ ٧٧ .

(٣٨٢)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٥١ .

(٣٨٣)ابن الأثير – الكامل – ٤/ ١٧٤ .

(٣٨٤)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٥١ .

(٣٨٥)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٤٠٣ .

(٣٨٦)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢/٢٥٢ .

(٣٨٧)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٢٣٦ .

(٣٨٨)ابن الأثير – الكامل – ٤/ ١٤٧ –١٤٨ .

(٣٨٩)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٢٣٦ .

(٣٩٠)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢٥٣/٢ .

(٣٩١)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢٥٤/٢ .

(٣٩٢)البلاذري – فتوح البلدان – ص ٣٣٤ .

(٣٩٣)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢٥٤/٢ –٢٥٥ .

(٣٩٤)ماجد – التاريخ السياسي للدولة العربية – ٢٥٥/٢ .

(٣٩٥)المصدر نفسه – ٢٥٥/٢ .

(٣٩٦)شلبي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ٩٦ .

(٣٩٧)شلبي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١٢٩ .

(٣٩٨)جلوب – إمبراطورية العرب – ص ٣٦١-٣٦٢ .

(٣٩٩)شلبي – التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – ص ١٣٠ .

(٤٠٠) الدوري – العصر العباسي الأول – ص ٤١ .

(٤٠١)المصدر نفسه – ص ٦٨ .

(٤٠٢)الثعالبي – لطائف المعارف – ٢٢ .

(٤٠٣)ناجي ، وآخرون – الدولة العربية في العصر العباسي ص ٨٢ .

(٤٠٤) الدوري – العصر العباسي الأول – ص ٩٢ .

(٤٠٥)المصدر نفسه – ص ٩٣ .

(٤٠٦)جلوب – إمبراطورية العرب – ص ٤٩٤ .

(٤٠٧)ناجي ، وآخرون – الدولة العربية في العصر العباسي ص ٨٢ .

(٤٠٨)المصدر نفسه – ص ٨٣ .

(٤٠٩)ناجي ، وآخرون – الدولة العربية في العصر العباسي ص ٨٣ .

(٤١٠)المصدر نفسه – ص ٨٤ .

(٤١١)جلوب – إمبراطورية العرب – ص ٤٩٦ .

(٤١٢)ناجي ، وآخرون – الدولة العربية في العصر العباسي ص ٨٣ .

(٤١٣)جلوب – إمبراطورية العرب – ص ٥١٥ .

(٤١٤)ناجي ، وآخرون – الدولة العربية في العصر العباسي ص ١٥٣ .

(٤١٥) الدوري – العصر العباسي الأول – ص ١٤٥ .

(٤١٦)ناجي ، وآخرون – الدولة العربية في العصر العباسي ص ١٥٤ .

(٤١٧) الدوري – العصر العباسي الأول – ص ١٤٧ .

(٤١٨)المصدر نفسه – ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٤١٩)جلوب – إمبراطورية العرب – ص ٥٩٧ – ٦٠٠ .

(٤٢٠)ناجي ، وآخرون – الدولة العربية في العصر العباسي ص ١٥٥ .

(٤٢١) الدوري – العصر العباسي الأول – ص ٢٢٢ .

(٤٢٢)ناجي ، وآخرون – الدولة العربية في العصر العباسي ص ١٥٥ .

(٤٢٣) الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي – ص ٣٤ .

(٤٢٤)المالكي – رياض النفوس – ١/١٨٧ .

(٤٢٥) الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي – ص ٣٩ .

(٤٢٦) الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي – ص ٣٩ .

(٤٢٧)المصدر نفسه – ص ٤٠ .

(٤٢٨)المالكي – رياض النفوس – ١/٤٠٠ .

(٤٢٩)المصدر نفسه – ص ١/١٨٧ – ١٨٨ .

(٤٣٠) الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي – ص ٤٩ .

(٤٣١)المالكي – رياض النفوس – ١/١٨٨ .

(٤٣٢) الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي – ص ٥٠.

(٤٣٣)المالكي – رياض النفوس – ١/١٨٨ .

(٤٣٤) الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي – ص ٥٢.

(٤٣٥)المصدر نفسه – ص ٥٤ .

(٤٣٦) الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي – ص ٥٥.

(٤٣٧)المالكي – رياض النفوس – ١/١٧٣ .

(٤٣٨) الدوري – صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامي – ص ٧٧.

(٤٣٩)جلوب – إمبراطورية العرب – ص ٦٤٨ – ٦٥٠ .

(٤٤٠)الدباغ – معركة عمورية – ص ٣٢ .

(٤٤١)المصدر نفسه – ص ٣٤ .

(٤٤٢)الدباغ – معركة عمورية – ص ٣٤ .

(٤٤٣)المصدر نفسه – ص ٣٥ .

(٤٤٤)الدباغ – معركة عمورية – ص ٣٥ .

(٤٤٥)الدباغ – معركة عمورية – ص ٣٥-٣٦ .

(٤٤٦)المصدر نفسه – ص ٣٦ .

* مرج الأسقف تقع عند المخرج الشمالي امضيق جبل طوروس ، وهي جنوب مدينة ملنقوبية .

(٤٤٧)الدباغ – معركة عمورية – ص٣٧ .

(٤٤٨)الدباغ – معركة عمورية – ص٣٨ .

(٤٤٩)الدباغ – معركة عمورية – ص٣٩ .

(٤٥٠)الدباغ – معركة عمورية – ص ٤٠ .

(٤٥١)الدباغ – معركة عمورية – ص٤٠ .

(٤٥٢)المصدر نفسه – ص ٤١ .

(٤٥٣)الدباغ – معركة عمورية – ص ٤٢ .

(٤٥٤)الدباغ – معركة عمورية – ص ٤٢ – ٤٣ .

(٤٥٥)المصدر نفسه – ص ٤٣ .

(٤٥٦)الدباغ – معركة عمورية – ص ٤٣ .

(٤٥٧)الدباغ – معركة عمورية – ص ٤٤ .

(٤٥٨)المصدر نفسه – ص ٤٥ .

(٤٥٩)الدباغ – معركة عمورية – ص ٤٥ .

(٤٦٠)الدباغ – معركة عمورية – ص ٤٦ .

(٤٦١)المسعودي – مروج الذهب – ٣/٤٧٣ .

  

المصادر والمراجع

م	المصادر	
١	ابـن الأثـير	عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني (ت٦٣هـ) (الكامل في التاريخ ، تصحيح عبد الوهاب النجار مصر ١٣٤٨ هـ) .
٢	ابـن أعـثم	أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣٤١هـ) (كتاب الفتوح) ٨ أجزاء ، مطبعة مجلس دار المعارف حيد آباد – ١٩٧٢ .
٣	البـلاذري	أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر (ت ٢٩٧هـ) (فتوح البلدان) راجعه وعلق عليه – رضوان محمد رضوان – بيروت – دار الكتب العلمية ١٩٧٨ .
٤	التـلمـساني	أحمد بن محمد المقرى (ت ١٠٤١هـ) (نفح الطيب) – تحقيق – محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – القاهرة – ١٣٦٧ هـ .
٥	الثـعالـبي	أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ) (الطائف المعارف) تحقيق إبراهيم الأبياري – القاهرة – ١٩٦٠ .
٦	ابن خلـدون	عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨ هـ) (مقدمة ابن خلدون) – بيروت – دار إحياء التراث العربي – ط(٣) – (د .ت) .
٧	ابن الخـياط	خليفة (ت نحو سنة ٢٤٠ هـ) (تاريخ خليفة بن خياط) – تحقيق – أكرم ضياء العمري النجف – مطبعة الآداب – ١٩٦٧
٨	ابن سـعـد	محمد (ت ٢٣٠هـ) (الطبقات الكبرى) – بيروت – دار راصد – ١٩٦٠ .
٩	الطـبـري	أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) (تاريخ الرسل والملوك) – تحقيق – محمد أبو الفضل إبراهيم – مصر – دار المعارف – ١٩٦٧ .

١٠	ابن عبد الحكم	أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ) (فتوح مصر وأخبارها) – ليدن – ١٩٢٠ .
١١	قدامه	أبو الفرج قدامه بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ٣٣٧ هـ) (الخراج وصناعة الكتابة) – تحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي – بغداد – ١٩٨١ .
١٢	المالكي	أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد ٤٣٥ هـ) (رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم و نسائهم و سير من أخبارهم وفضلائهم) – تحقيق – حسين مؤنس – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٥١م الجزء الأول .
١٣	المسعودي	أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) (مروج الذهب) – دار الأندلس – بيروت – ١٩٦٥ .
١٤	ابن هشام	محمد بن عبد الملك (ت نحو سنة ٢١٨ هـ) (السيرة النبوية) – تحقيق – مصطفى القادر إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي – مصر – مطبعة اليابي الحلبي – ١٩٥٥ .
١٥	الواقدي	محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ) (فتوح الشام ومصر) .
١٦	ياقوت	شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) (معجم البلدان) – تحقيق أمين الخانجي ٨ أجزاء – القاهرة – ١٩٢٣ .
١٧	اليعقوبي	أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤هـ) (تاريخ اليعقوبي) – جزآن – بيروت – ١٩٦٠ .

ت	المراجع	
١٨	الأنـبـاري	د. عبد الرزاق علي (تاريخ الدولة العربية) بغداد ١٩٨٥ .
١٩	أومـان	(الإمبراطورية البيزنطية) ترجمة طه بدر – القاهرة – ١٩٥٣
٢٠	جلوب ،جون	(إمبراطورية العرب)- ترجمة وتعليق ، خـيري حمـاد – دار الكتاب العربي – بيروت- ١٩٦٦ .
٢١	حسين ، طه	الشيخان ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٩
٢٢	خـطـاب محمد شيت	قادة فتح المغرب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٦٦ .
٢٣	الـدوري	العصر العباسي الأول، بغداد –١٩٤٥
٢٤	عبد العزيز سالم	(مقدمة في تاريخ صدر الإسيلام) – بيروت ١٩٦٠ .
٢٥	الـدوري تقي الدين	(صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسـلامية مـن الفتـح العربي حتى الغزو النور مندى) – بغداد ١٩٨٠ .
٢٦	الدبـاغ لطفـي حمدي و حـازم حسن العلي	(معركة عمورية) – بغداد – ١٩٨٦ .
٢٧	السيد عبد العزيز ساهم بالاشتراك مع أحمد مختـار عبادي	(تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس) – بـيروت – ١٩٦٩ .
٢٨	شلبي ، أحمد	(التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية) – (د.ت)
٢٩	عماش ، صـالح مهدي	(قتيبة بن مسلم الباهلي) بغداد – ١٩٧٨
٣٠	العـدوي إبراهيم أحمد	(الأمويون والبيزنطيون) – مصر – ١٩٦٣ .

ت		
٣١	كمال أحمد عادل	(الطريق إلى المدائن) – بيروت – ١٩٧٧ .
٣٢	المعاضيدي،عبد القادر ،محمد جاسم المشهداني	(عثمان بن عفان ذو النورين) – بغداد – ١٩٨٩ .
٣٣	مؤنس حسين	(فجر الأندلس) – الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٥٩ .
٣٤	ماجد عبد المنعم	(التاريخ السياسي للدولة العربية) – الجزء الأول – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٦٧ .
٣٥	ماجد عبد المنعم	(التاريخ السياسي للدولة العربية) الجزء الثاني – عصر الخلفاء الأمويين ، (د .ت) .
٣٦	ناجي عبد الجبار وآخرون	(الدولة العربية في العصر العباسي) – بغداد – ١٩٨٩ .

المحتويات

*****